

الافتتاحية



وطن بحجم بعض الورد

دة. امتنان الصمادي *

تمر بنا هذه الأيام نفحات الذكرى الثالثة والستين لاستقلال المملكة الأردنية الهاشمية، وقد استوقفتنا ألوان من الفرح بهذا العيد الوطني مبعث اعتزاز كل أردني وأردنية. وليس الاحتفال بعيد الاستقلال بظاهرة غريبة أو خاصة، بل عرف عام تتولاه كل دولة ذات كيان مستقل ووجود له مقوماته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية وغيرها. ولا بد لكل عيد من هذا النوع أن يأتي الاحتفال به سعيا لبلورة مفهوم الاستقلال لجيل الشباب في ظل رؤى الماضي والحاضر والمستقبل، أما الماضي فيتجسد بعملية الاستذكار للأمجاد والبطولات التي سطرها العظماء في دحر العدو والتخلص من النفوذ الخارجي ليظلوا القدوة التي تحتذى، وتتجلى رؤى الحاضر متمثلة بالقدرة على الالتفات إلى الواقع ومعالجة شؤونه، ومراجعة مقوماته، ورصد سلبياته لتجاوزها، وتعداد إيجابياته للاستزادة منها، وتنطوي

رؤى ثالث الأثافي (المستقبل) على معيار المراجعة الحقيقية لمفهوم الاستقلال من حيث إعداد البرامج الخاصة التي تنهض بالدولة المستقلة، وتعمل على تعزيز مقوماتها وإعادة تحصينها في وجه كل معتد.

وفي غمرة الاحتفالات بهذه المناسبة لاحظنا كثرة المقالات في الصحف اليومية التي تستذكر هذه المناسبة العظيمة، ومن الجميل أن لفت انتباهنا ذلك الحجم الكبير لمعجم الألفاظ الخاصة بهذه المناسبة الذي تتعرض لها كل المقالات؛ فمن الحرية إلى الكبرياء والإباء والازدهار الوطني والكرامة القومية والنهضة والمجد والسؤدد والبطولات والعزة والتضحية والشموخ والعطاء والولاء، حتى تصبح هذه المترادفات وكأنها السياج الذي يرسم حدود الوطن، وحقل الحب الذي يرتع فيه.

وانصرف عدد غير قليل من كتاب الأعمدة إلى بيان حقيقة الاستقلال بأنه مرتبط بالتخلص من النفوذ الخارجي، مستذكرين مجد التحرير الذي تكلل على يد المؤسس المغفور له الملك عبد الله الأول، وهو بلا شك صانع الاستقلال بدافع الحرية بوصفها مطلباً لكل حر، ولا بد أن أؤكد هنا أن مطلب الهاشميين الأحرار في حماية هذا الوطن يستدعي منا بيان دورهم في بنائه ونهضته، حتى وإن كان هذا الوطن بحجم بعض الورد.

وفي ضوء ما سبق يتضح لنا أن الاستقلال في أجلّ معانيه مشروع حياة نسجه الأولون، وينبغي على اللاحقين من أبناء الوطن صيانة هذا النسيج، وما الاحتفال بعيد الاستقلال سوى فرصة لقياس حجم الإنجاز والتنمية بوصفه تتويجاً لمسيرة الخير والعطاء التي أبرزها المغفور له الملك الحسين بن طلال، وإذا كان الهاشميون –أطال الله بقاءهم- منذ المؤسس رحمه الله إلى جلالة الملك عبد الثاني ابن الحسين ركزوا دعائم الاستقلال بأساس متين قائم على الأمن والاستقرار والتنمية والعدالة والمساواة بين المواطنين مهما اختلفت مشاربهم، بوصفهم القدوة، ينبغي أن يكون تعبيرنا عن هذا الاستقلال بصورة تليق به، وذلك بأن يكون إلى جانب استذكار التخلص من النفوذ الخارجي واستدعاء بطولات التحرير التي سطرتها القيادة الهاشمية، التركيز على مسألة الاستقلال عن الولاء لغير الوطن. من هنا تأتي أهمية التربية الوطنية وغرس مشاعر الانتماء والولاء للوطن والقائد؛ فمعاني الاستقلال تتجلى بوضوح عندما تنجح فينا منظومة القيم العربية والإنسانية في بناء الوطن مؤسساتٍ ومعاهدَ وعقولاً.

لذا ينبغي أن يُنظر إلى الاستقلال على أنه ليس ذكرى سنوية تستدعي الفرح في أيام معدودة فحسب، وليس قصيدة أضاعت إيقاعها واستهلكت ألفاظها، بمقدار ما ينبغي أن يكون منهج حياة ولحظات من البناء المستمر والعمل الذي يتطلع إلى الأمام، ويؤشر على الإخلاص لوطن سياجه منيع بأهله حتى يصبح وطننا هو الذي يعيش فينا أكثر مما نعيش فيه، فتحمله معنا أينما حللنا ضابطاً خفياً يقظاً يردنا قبل الزلل بفضل شرارة الحب لترابه

وقيادته التي تبرق كلما أظلمت الدنيا علينا، فلا نصبح مخترقين من الداخل أو الخارج على حد سواء .

ولنا أن نتغنى بالوطن كما تغنى به أوائلنا عبد المنعم الرفاعي وعرار وحسني فريز وعيسى الناعوري وفؤاد الخطيب وغيرهم الذين أحسوا به وطناً يكبر بين ضلوعهم، ففرحوا لفرحه، وتألموا لألمه، واستنشقوا عبيره، ولنا أن يكون تغنينا به على نبض إيقاع جديد يحفظ هويتنا في ظل هذا العالم المتماهي مع بعضه بعضاً، فنصنع الأغنية الوطنية مليئة بالمعاني السامية مجبولة بالعشب الأخضر، ونؤطر وثائقه بأغصان الشجر، ونجعل العلم زاداً يذكرنا بأمهاتنا وهن يصنعن الخبز ويجمعن الغلال، وننبذ التبعية الجوفاء، ونميز بين التقليد والتأثر، ونحارب المحسوبية، ونقر قاعدة الرجل المناسب في المكان المناسب، عندها يكون فرحنا بالاستقلال في ظل رؤى المستقبل عيد امتلاك للإرادة واستعادة للذات حتى لا تفقد بوصلتها في حصنها العربي المنيع، ولساننا يردد مع الشاعر حيدر محمود قوله الجميل:

أردن أرض العزم أغنية الظبا نبت الـسيوف وحد سيفك ما نبا
في حجم بعض الـورد إلا أنــه لك شوكة ردت إلى الشرق الصبا

---

*رئيسة التحرير المسؤولة



وزير الثقافة ضيفاً على "أقلام جديدة"

الربيحات: يؤلمني أن يُسأل رجل الشارع عن الوزارة فلا يعرفها

أدارت الندوة: دة. امتنان الصمادي
أعدّها للنشر: إبراهيم السواعير



نظرة عامة

نصح وزير الثقافة د.صبري الربيحات الطلبة أن يتجاوزوا "الري المعرفيّ بالتنقيط" وصولا إلى المبادأة وتخطّي السور الجامعي، وأن يُضاعفوا الساعات الجامعيّة الحقيقية بالدرس الذّاتي واستغلال ما في الجامعة من محفّزات البحث والتعلُّم، لأنّ أدواراً تنتظرهم، وتتطلّب قدحاً للأذهان ومواكبة للمستجد.

وكشف د.الربيحات، في الندوة التي دعته إليها مجلّة أقلام جديدة، وقدّمته فيها رئيسة تحرير المجلّة دة. امتنان

الصمادي، عن متعة أن يكون الطالب جامعيّاً؛ فيشتعل عقله وتصقل شخصيّته مُحاوراً متفائلاً غير منكفئ؛ يؤمن بثراء التنوّع وتكامل "الشخصيّات" العربية والعالميّة؛ ولا يتمّ ذلك دون فتح الأستاذ الجامعي آفاق طلابه والنّأي بهم عن التلقين إلى التفكير وإعادة صياغة السؤال والمفاضلة بين الإجابات.

"الجامعات مراكز إشعاع فكري وثقافي؛ تتنافذ على المؤسسات الإعلامية والثقافية والتعليمية"

وانطلق د.الربيحات، في الندوة التي حضرها نائب رئيس الجامعة الأردنية أ.د.صلاح جرار مستشارٌ تحرير المجلّة، يرصد "ليونة" الشخصيّة الأردنية "المطواعة" من غير ضعف، المتفاعلة مع المحيط، وهي الشخصية -والقول للوزير- التي تقترب من "أخلاق النبوّة" في التأشير على الصّارخ الخَطر.

تالياً تفاصيل الندوة التي شارك بها الأديب جريس سماوي أمين عام وزارة الثقافة والأديبة سميحة خريس، بالإضافة إلى د.مازن عصفور، وهيا الحوراني، وبنان الصبيحي، وعدد من طلبة الجامعة:

الصمادي: سؤال الهويّة

في حوارنا اليوم مع وزير الثقافة، فإنّنا ندرك ما للثقافة الوطنية من أهمية بين قضايا الفكر والحضارة، فهي سؤال الهوية بصورة من الصور، ولابد من البحث في دور الجامعات في رعايتها وصقلها وبثها إلى المجتمع المحلي والعربي بصورة مرضية، تعزز روح الانتماء وترفع معيار الوطنية والثقة بالنفس في ضوء المتغيرات الراهنة خلافا لما هو سائد.

وتستمد ندوتنا هذه أهميتها من أن الثقافة الوطنية تحتاج منّا في ظل ما يعرف بثقافة العولمة أو العولمة الثقافية، أن نكثف الجهود للوقوف على مفهوم الثقافة الوطنية في الأردن بوصفها جزءاً لا يتجزأ من الثقافة العربية والثقافة الإنسانية بفعل التأثر والتأثير، وخاصة أن الأردن دولة ذات موارد محدودة وموقع حرج استراتيجياً لا يمكن لها أن تكون منغلقة أو متطرفة وهي حاملة لواء الثورة العربية الكبرى وشاهدة على معارك الفتح الإسلامي التي انطلقت نحو العالم، وأن قوتها في قيادتها. فهي أرض ذات تاريخ وحاملة للغة القرآن وهي ملجأ الأحرار والمظلومين، ومقومات ثقافتها الوطنية تقوم على هذه المرتكزات، ولي أن أقتبس من محاضرة الدكتور خالد الكركي التي ألقاها في كلية القيادة والأركان قوله "على كل واحد منا أن يكون أردني الهوى والرؤية والولاء"، وإذا ما جاز أن تزدوج الجنسية فلا يمكن للولاء الوطني أن يكون مزدوجاً.

ولا نريد للثقافة الوطنية أن تكون ثقافة النخبة، بل ثقافة الأكثرية كي تؤتي أكلها في تحضير أبناء المجتمع لإكمال تشكيل الهوية وتنويرهم بحقوقهم وواجباتهم، وتشكيل وعيهم ورؤيتهم للكون والحياة.

نأمل في ندوتنا هذه أن يطلعنا معالي الوزير على دور الوزارة في رعاية الثقافة الوطنية، وأبرز مشاريعها المستقبلية، ومدى تفعيل دور الجامعات في حركة النهوض

الثقافية، ولعله يكشف لنا عن حجم طموحاته في تفعيل مشروع القراءة في ظل سيطرة وسائط تقنية معرفية متعددة بوصفها عماد الثقافة وعاملاً مهماً في تشكيل الشخصية الوطنية في ظل العولمة، وكيف يرى تجربة إصدار مجلة أقلام جديدة عن جامعة حكومية لتعنى بأدب الشباب والأدب الجديد، وما السبل التي تجعل مثل هذه التجربة تبقى حية.

لنا أن نطمح إلى عدد من المشاريع التي تترجم أفق التعاون بين الوزارة والجامعات من خلال تحديد بعض مظاهر رعاية الثقافة لدى شباب الجامعات منها: الاهتمام بإصدار مجلات متخصصة بأدب الشباب وقضاياهم، ورفع نسبة مشاركة الشباب في الفعاليات الثقافية محلياً وعربياً ودولياً، ودعم فكرة سلسلة الكتاب الأول الذي يهتم بنتاج الأدباء الشباب.

وزير الثقافة: فلسفة الطالب

سعادتي بأن أكون معكم في هذه الجامعة، الجامعة الأم، لها سببان: الأوّل أنّ الذكريات تحيلني إلى السبعينيات من القرن المنقضي أيام كنتُ طالباً، يتزوّد بسلّة كتب ومراجع أتسابق وزملائي في الوصول إليها؛ ندرسها ونقف على مراميها، فنعيدها بعد أسبوع، لنعود بمثلها، وهكذا مضت بنا الحياة في هذا الصرح العلميّ «أم الجامعات.

والسبب الثاني أنّ «الشباب»هذا القطاع العريض الذي نعوّل عليه كثيراً، يستحقّ منا أن ننتدي للبحث في همومه المعرفية وطاقاته التي قد تبدو مُعطّلةً إن نحن لم نفتح لها آفاقها الرحيبة على المستوى المؤسسي والمجتمعي، وليست وزارة الثقافة استثناءً من ذلك.

في الواقع، ما دمنا ننتدي لحوار الشباب وتأطير معارفه فإنني سأنطلق للحديث عن الشخصيّة الطلابيّة الواعية، المؤمنة بدورها، العارفة لما ينتظره مجتمعها، وهي الشخصيّة المثقّفة التي لا تكتفي بالمقرر دون سواه؛ فالثقافة- بعريف- ليست في أن تكون شاعراً أو قصّاصاً أو مسرحيّاً أو سينمائياً حسب؛ وإنما هي في أن تكون، أيضاً، ملمّاً بالمحيط، مدركاً لمتغيراته، متبصّراً بتقلباته.

الواقع أنّ المرء سرعان ما يكتشف شخصيّته بالمقايسة؛ سواء أكان في أميركا اللاتينية أم في الهند، وله أن يسأل: هل ذوقه يختلف، وهل معتقداته تتباين، وهل ما يضحكه أو يزعجه هو للآخرين كذلك؟!.. ولنا أن نستفيد من كون "شخصيّتنا الأردنيّة" سهلةً وصعبةً في آن؛ وسهولتها تنبع من كونها وسطيّةً، من غير ضعف، فتكون صعبةً بصعوبة اختراقها، وتكون وسطيّتها بانفتاحها المريح على محيطها بكلّ متغيّراته، كما أنّ "مطواعيتها" أو ليونتها لا تنفي وقفتها الواحدة إن ألمّ بهذا الوطن خطب- لا سمح الله- أو تنادت الظروف للجهد الجماعيّ أو القول الجماعيّ المعبّر عن "الناس"؛ ودعوني أضرب مثلاً أنّ تعبيراً حقيقياً ديمقراطياً شعبويّاً كان بأصرح عنوان أيّام "تفجيرات عمان ألفين وخمسة"، وكانت الشخصّية الأردنية آنذاك- وما تزال

> "..الثقافة- بعريف- ليست في أن تكون شاعراً أو قصّاصاً أو مسرحيّاً أو سينمائياً، حَسْبُ"

ظاهرةً تنكر على المفسد فساده، وتمنع عن هذا البلد الاتهامات، وكنّا وما نزال نتخلّق بأخلاق النبوة أو نقترب منها، وكانت الشخصيّة الأردنية تفرح المحلل والدارس من غير الأردنيين قبل أن تكون مصدر فخر لأصحابها، وإذا كانت "شخصيّتنا" هذه حالها فإنّ قيادتنا الهاشميّة التي تلتقي والناس في نبضهم وحراكهم و"بوحهم" تعزز هذه الشخصيّة، وتلهمها بكثير ثقافات؛ فتتوالد الثقافات "الفَرِحة"، و"المؤمنة"، و"الواقعيّة"، و"الحالمَة"، و"الشفيفة"، و"المتسامحة"، ولنا في جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله ما يوسّع من ثقتنا العالية ومكاشفاتنا البيّنة، ولست بحاجة لأن أذكّر أنّ كل واحدٍ منا في نفسه ما فيها من تسامح الحسين الباني رحمه الله، وثقة الملك المعزز أدامه الله، وعروبة الشريف الهاشميّ طيّب الله ثراه، وحكمة الملك الجدّ المؤسس الشهيد، ووطنيّة الملك طلال بن عبد الله؛ ففي كلّ مُستَجَدٌ يتولد الأمل من غيوم القنوط، كما يُستولد الفرح من ركام الحزن.

وصدّقوني ليس عيباً أن نحلم أو أن نكون "رومانسيين"؛ وليس متعباً أن نعانق الواقع بثقة الحلم والمقدرة على تحقيقه، ونؤيّد التطبيقيّ بالواثق النظريّ؛ وإن نحن فعلنا ذلك أدركنا أن بلداً مثل بلدنا؛ فقيراً بمـوارده الماديّة قد يساوي بلداً في هذا المجال مثل تشاد، غنيّاً بنفوس أبنائه الطيّبة الواعية المدركة لدوره المحوري الصعب.

وأقول: الأردنيّ كريمٌ بطبعه؛ وأبناؤه يأخذون عنه صفاته، ألا ترون أن الأردنيّ يولمُ لضيوفه بخمسمئة دينار، في حين أن دخلَه يساوي مئتي دينار فقط! أليس هذا تعبيراً صادقاً عن النفس الزكيّة المتعاونة التي ما في يدها ليس لها بل هو مبذولٌ للناس!

هذا يدعو للفخر، ويجعلنا نسأل: أيّ إيثارٍ هذا الواقع يجبرنا على أن نفضي إلى فضائنا العامّ ونتحرر من ضيق الخاص إلى رحابة العامّ، وألا نترك "الوشوشة" تستمرئ انكفاءات الجهد وإخلاصه للكواليس الهدّامة؛ فأنتم أيّها الطلبة وكلاء التغيير في بلادكم؛ فانظروا بعينٍ من الوفاء لآبائكم الذين أودعوا فيكم طموحاتهم، واستثمروا بكم كثيرَ فرصٍ ضيّعوها عليهم لتتنعموا بها أنتم، وتجنوا ثمارها، وإني ناصحٌ لكم أمين: هؤلاء ما يزالون ينتظرون؛ فأقصروا ما فيكم من غُلْواء التطرّف، وحمّى الجاهلية في التعصّب لغير البناء والانتماء، وكونوا جميعاً مشروع حضارة أردنيّة هاشميّة تظلّ مضرب المثل للقريب والغريب.

أيّها الطّلبة: لا تعتمدوا "الريّ المعرفيّ بالتنقيط"؛ وتجاوزوه إلى المبادأة والانفتاح على المحيط، وضاعفوا "ساعاتكم" المنهجيّة الحقيقية في الجامعة بما هو ذاتيّ، وناكفوا أساتذتكم بما يغني الدّرس ويشدّ جوانبه؛ ناكفوهم مناكفةَ الطالب مستعجل الإحاطة بكل ما

> "لنا أن نستفيد من كون (شخصيّتنا الأردنيّة) سهلةً بانفتاحها على المحيط، صعبةً بصعوبة اختراقها"



حوله لأستاذه واسع الصّدر مدرك حماسة التلميذ، وأصدقكم القول إنّ الأستاذ إن وجد في نفس طالبه جمرةً تتوقّد فرح بها، ويحزنه أن تُطفأ جمرات الإبداع بين ضلوع الطلبة أو يخسر طالباً نجيباً ضيّعته ظروفه؛ فكم من أساتذة غالبوا ظروفهم وربحوا رهان محيطهم عليهم؛ فخرجوا للناس قامات بلغت العالميّة، وما كان ذلك إلا بتجاوزهم اللحظة المُحبطة إلى المُقبلة الخالية من شوك الأيّام وقهر "المادّة".

أيّها الطلبة: اعتمادكم على أهليكم لا ينبغي أن يجعل أيديكم "ناعمةً" بحجّة الدراسة؛ فاعملوا وأسهموا بجزء من "المصروف" و"ثمن الساعات المعتمدة"، ولكم أن توفّقوا بهمّة الجادّ المسؤول، ولنا أن نسأل: لماذا تظلّ درجة "الاعتماديّة" عند شبابنا أعلى منها في المحيط العربي، ولنا أن نزيد السؤال درجة معكم: آباؤنا الذين هم في الخمسينات والستينات من أعمارهم مثقلون بفواتير "تعليمكم"؛ فلا تحمّلوهم تبعات الأيّام، وأعوّل عليكم خيراً عميماً؛ فلا يكون "الفرحُ" ثقافةً لتوالد ثقافات "الركون"، و"الواجهات العصبوية"؛ بل ليستفزّكم جوُّ الجامعة إلى "حلحلة" الجمود ونبذ التمترس وراء "الأبيض أو الأسود"، ولنتعرّف على آخرين في الجامعة، ولنتجاوز "أبناء الحيّ" أو "القرية" إلى التعارف بمعناه الباني، وأقول: مما يؤسى له أن تتحوّل جامعاتٌ إلى ساحات للجهويّة أو الإقليمية البغيضة، أو التفاخر بـ"السكاكين"، وهي حتماً ليست ثقافة الحريّة التي يمتاز بها الطالب الجامعي في اختياره أستاذه الجامعيّ و"مادّته" ووقت محاضراته!

أيّها الطلبة:

قد يعنّ لأحدكم السؤال: وماذا فعلت وزارة الثقافة إزاء هذا كلّه؟! وكيف تعتني بالشباب الجامعي بالتعاون والتنسيق؟!.. وما هي برامجها في نشر الثقافة وتعريف طالب الجامعة بالوزارة، راعية الثقافة الرسمية؟!.. فأقول:

باب الوزارة مفتوحٌ للجميع؛ وقد يكون في غفلة من الطالب والمسؤول موصداً- ربما عن غير قصد- ولكنّا في كلّ جولاتنا ما نزال نوضّح الدّور: ليست الوزارة ببعيدة، وعلى الشباب ألا ينظروا إليها على أنّها عاليةٌ أسوارها عليهم، وأنهم ستفجعهم "النخبة"

ويُستصغر شأنهم؛ فهم شركاء، وإذا نحن لم نحتف بهؤلاء فبمن نحتفي؟!.. هذا ليس قولاً إنشائياً ولكنه واقع:

"..كانت جولاتنا الثقافية تلحّ علينا: كيف يرشح الفعل الثقافي الإبداعي على حياة الناس، ويؤثّر فيها ؟!"

" فا لا ستر ا تيجيّة الوطنيّة للشباب" شاركت فيها وزارة الثقافة بمحور الإعلام والثقافة من بين محاور وطنيّة تسعة، فكانت ورشات القصّة والشعر والفنّ والأدب تجول المحافظات والمناطق البعيدة سعياً وراء تماسٍّ مع الشباب.

أسعى وطاقم الوزارة نحو "شعبويّة" الثقافة أو جماهيريتها، ولا أحبّ أن تبقى الثقافة بمعنييها: المؤسسي والعلمي بعيدةً عن "الناس" بعامّة؛ فما بالنا ونحن نتحدث عن قطاع كبير نُهيّئه لمسؤوليته القادمة، هو قطاع الشباب بكل ما فيه من طاقات!

وأصارحكم: يؤلمني أن يُسأل رجل في الشارع عن الوزارة فلا يعرفها، أو طالب المدرسة فلا يعلم أهدافها، أو الأستاذ الجامعي فلا يعلم موقعها، أو الطالب الجامعي فلا يدرك أنشطتها أو مشاريعها الكبرى؛ من مثل: التفرغ الإبداعي أو مدن الثقافة الأردنية أو مكتبة الأسرة!

ولذلك كان لا بدّ من التعريف بها؛ فكانت جولاتنا الثقافية في المحيط ترضينا بعض الرضا لأننا وجدنا فيها لهفةً عند الأقاليم البعيدة للمشاركة؛ والسؤال: كيف يرشح الفعل الثقافي الإبداعي على حياة الناس، ويؤثّر في حياتهم؟!

في الواقع ما تزال قرانا الأردنية وبوادينا مصدر ثقافاتٍ لا ثقافة، وما يزال الكثير لم نستمدّه من أهالينا بعد؛ فالجماعة المتعاونة المباركة جهد أبنائها أحرى أن تُحترم وهذه الثقافة العالية في "مباركة الجيران" والعمل التعاوني لنا اليوم أن نسقطها على شبابنا؛ فلا يتنصّل الشّاب من واجبه، ولا يتفاخر على أقرانه أو "يستفزّهم" بالاستهلاك الزائد عن الحاجة الذي ليس له أدنى معنى؛ فتشتري الفتاة فستاناً بالقيمة "س" لتضخّمها بالقيمة "س١" أمام زميلاتها، ويفعل الشّاب ذلك لينتهي بنا المطاف إلى ذيوع ثقافة "التباهي" و"الحياء" مما هو طبيعي و"التصنّع" بما هو غير طبيعي، وذلك كلّه بالتراكم يعطّل كثيراً من طبيعة الحياة أو بداهتها.

ونستمرّ في إطار ثقافة "الفرح" التي ننشد؛ لتكون تجربة المدن الثقافيّة في عامها الثالث؛ فتكون "الكرك" بعد "إربد" و"السلط"، والغاية من المدينة الثقافية أن نبني مجتمعها المحلي ثقافياً، ونؤسس لبنية تحتيّة مناسبة تؤجج الحراك الثقافي وتدعمه.

أيّها الطلبة:

المكان الأردني غنيّ التفاصيل، وفي استلهامنا "مكاننا" علينا ألا نبخس أحداً حقّه، فالذاكرة الجمعيّة يشترك فيها أكثر من بطل، كلٌّ في مجاله، ألا ترون "الدّاية" التي قد لا يفطن أحد إلى تعبها وتنقّلها من بيت إلى آخر، وخصوصاً أيّام الثلج، ألا ترونها "بطلةً" لنصّ الحياة؛ ثمّ ألا ترون

الجنديّ الأردني في "الكرامة" بطلاً في مبدئه، بل ألا ترون معلّم المدرسة يستثمر بطلابه بطلاً، وكلّ مجتمعنا الطيّب المنتج كذلك؟!

أيها الطلبة:

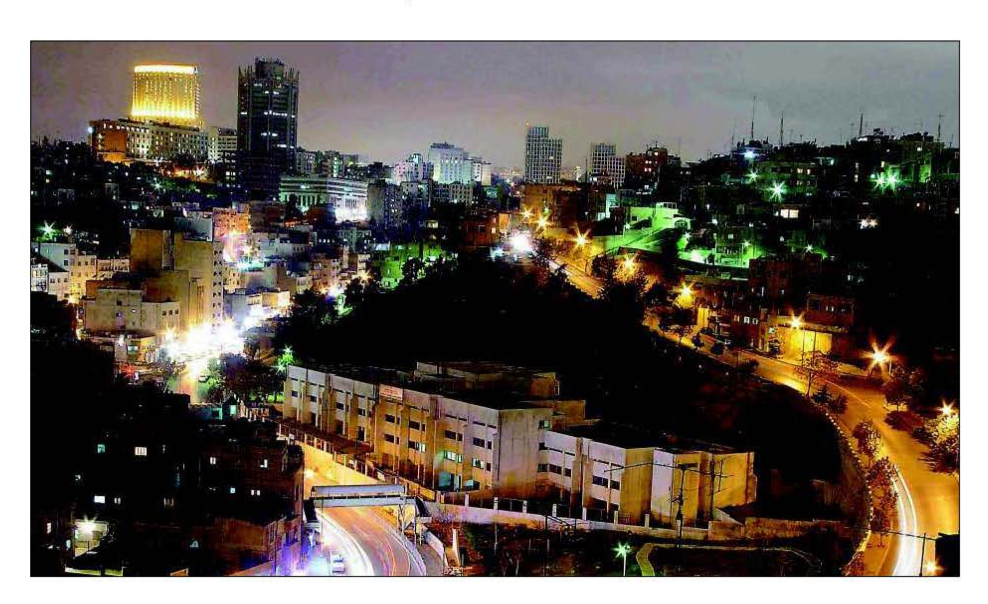
نسعى ليكون مهرجان الأردن بمذاق مختلف؛ نحسّ بمذاقه من اسمه، مهرجاناً أردنيّاً ذا طابع ثقافي، وأنبّه على نقطة مهمّة: لا بدّ من إشراك "الناس" المحيطين بالمهرجان- المحيطين بمواقعه- بفعالياته؛ وأصارحكم فقد كانوا يشعرون بالعزلة عنه؛ وهذا أدعى لأن نحاسب أنفسنا؛ فنفسح لهم مكاناً فيه، فلا يعقل أن نتكلم على "الثقافة لكل الأردنيين وننسى قطاعات كاملة من الأردنيين" بعيدةً عن المشاركة؛ أليس "شمول الثقافة" أمراً نتغنّى به ليل نهار؛ فلِمَ لا نطبقه واقعاً يفرح به ابن المدينة والحيّ والقرية والمخيّم؟!

والعالم يحتفل بيوم الكتاب العالميّ وحق المؤلّف يستمرّ مشروع مكتبة الأسرة الأردنية في عامه الثالث، فضمن الرؤية: "مواطن قارئ ومثقف ومستنير"؛ تطمح وزارة الثقافة إلى إصدار مائة عنوان في الدورة الثالثة لمشروع مكتبة الأسرة الأردنية هذا العام بواقع خمسة آلاف نسخة من كل عنوان – أي نصف مليون نسخة، ومضاعفة عدد مراكز التوزيع لتشمل التجمعات السكانية الكبيرة خارج مراكز المحافظات.

وفي ظلّ المشروع الكبير نسعى لمراكمة مشروع صغير أسميناه "اقرأ واستمتع!"، وهو غير مكلف، الهدف منه إشراك طلبة الجامعات والفنانين والمسنّين.

أيها الطلبة:

برامج وزارة الثقافة كثيرة، لكنّي أودّ تذكيركم باحتفال المملكة رسميّاً وأهليّاً بالقدس عاصمة الثقافة العربية ألفين وتسعة، وهو احتفالٌ أردنيٌّ عربي بالمدينة الأسيرة المقدّسة، ونحن باحتفالاتنا أردنيين وعرباً فإننا نرسّخ الحق العروبي في فلسطين وندعم صمود أهلنا وسط الحصار والقمع



وسياسات التهويد.

أيها الطلبة :

لديّ الكثير، وأترك لكم أن تناقشوا ونسعد بكم طلبةً غير هيّابين في طرح السؤال وتقصّي المعلومة.

سماوي: ديمقراطيّة الوسطيّة

حين نتحدث عن الثقافة الوطنيّة نسأل: هل الثقافات الوطنيّة في العالم جُزرٌ معزولة عن مثيلاتها في اليابان وفرنسا والصين؟!

الواقع أن الإجابة حتماً ستكون بالنفي؛ لأننا نشترك جميعاً في مداراتنا الإنسانيّة، ونسهم بما نستطيع في هذه الفسيفسائيّة العالميّة، ولا ينفي ذلك كوننا مشارقةً أو مغاربة أو هنوداً أو صينيين أو بريطانَ أو أميركيين، ولنا في تراثنا العربي الإسلاميّ ما نفاخر به، وقد وضعنا مداميك في البنيان الحضاري ما يزال غيرنا يذكره ويسجّله شمعةً مضيئةً في تاريخ البشرية.

"نشترك جميعاً في مداراتنا الإنسانيّة، مشارقةً كنّا أو مغاربة أو هنوداً أو صينيين أم بريطانَ أو أميركيين"

وحين يشير د. الربيحات إلى الوسطيّة، فإن ذلك يدفعني إلى القول إنّ الوسطيّة موقفٌ ديمقراطيٌّ ينفتح على "الآخر" ولا يلغيه. ولكن، علينا أن ننبّه على ثقافات أخرى ليست إنسانيةً- ما دمنا نتحدث أو نتوق إلى الثقافات التي تستهدف الإنسان وتحمل فكره المتحرر المنطلق لصالح إعمار الكون؛ فلا يغيب عن بالنا ما للثقافات الاستعمارية العرقيّة الغازية الفاسشتيّة من خطر وهي تنأى بنفسها عن ذلك المشروع الإنساني الكبير فتنطوي على ما يحيلنا على عصور بادت كان المرء فيها يُفتتن بما يجعله عصبويّاً متقوقعاً لا يرى أبعد من أرنبة أنفه.

في موضوع ندوتنا أودّ أن أبين أن شخصيّة الطالب الجامعي بمنزلة العجينة التي تتشكّل وتأخذ قالبها في مقبل أيّامها؛ فإما أن تقف عاجزةً بالنمط والروتين وإما أن تصبو بالمعرفة إلى عالمٍ أرحب فتكون عفيّةً ويكون الوطن معافى.

في الحقيقة أستطيع القول إنّ الوزير قد أوفى الموضوع حقّه في انفتاح الوزارة على المحيط الشبابي، ويحضرني هنا موضوع العولمة، وأصارحكم أننا كلّنا يسأل: كيف يقف الطالب الجامعيّ من قضايانا العربية المصيرية وقضايا يشترك بها كل البشر من مثل قضايا: الإعدام والإجهاض مثالاً لا حصراً؟ وقد علمت أننا في بلدنا نحاول أن نتخفف من حكم الإعدام أو ننسحب منه، وهذا لم يأت من فراغ بل إن أساسه اتفاقيات دولية تتقصّد حماية هذا الكوكب ومن عليه، ومن هذا المنظار يجيء تركيز الوزارة على معلومة أنّ أكثر متلقي الخدمة من حزمة مشاريع وزارة الثقافة ينبغي أن يكون من الطلبة الجامعيين، وقد جاءتنا التغذية الراجعة من واقع استمارات الوزارة التي وُزّعت في مراكز بيع مكتبة الأسرة في المحافظات؛ فكان طلبة الجامعة وأبناؤنا في فئاتهم العمرية الطفولية الأكثر تردداً وشراءً، وهذا يعني أننا بخير قراءةً وثقافةً وأنّ شبابنا الأردني تستهويه الثقافة،

وأشجّعه على التعبير الديمقراطي الفاعل بالثقافة الوطنيّة التي باتت تدرّس في المدارس والجامعات.

خريس: الرواية التنويرية

يفرحني أن الجامعة الأردنية تعود إلى دورها التنويريّ بمؤتمراتها ومجلاتها وتوجّهها الثقافي، وهذا أمرٌ يحمد لها، وهذا ما يؤكّد أنها ليست "ساعات معتمدة" فقط، بل إنّ الأكاديميّ حين يمزج الدرس بالواقع يطبّق ما نردده من أنّ الجامعة هي المختبر الحقيقي لتنمية الإبداعات وتوجيهها وتحفيز الجمر المتوقّد للمعرفة والمشاركة والتعبير.

في الحقيقة يسعدني أن أقلّب صفحات "أقلام جديدة"، وقد تحمّستُ لها، وأدركت أنها ستسدّ كثيراً من النقص الحاصل في مجلات ترعى الشباب وتؤطّر مكنوناتهم وما يحسّون به، فتعزز ما يمكن أن نراه أديباً مبدعاً وتتلافى ضعفاً لم يتجاوز به صاحبه أسوار الجامعة، وهذا الانفتاح المبرر على الإعلام والوسط الثقافي من المفرح أن يجيء من تلقاء الجامعة نفسها؛ لأنّ صفحات الملاحق الثقافية والمجلات المحيطة قد لا تفطن أو لا تعطي هؤلاء الشباب مساحةً مرضية في التعبير.

وفي الواقع فإنّ الطفل، أيضاً، بوصف ذهنه وعاءً ينتظر ما يغريه بالمتابعة، يضع السؤال أمام أعيننا: هل نعزز فيه فطرته وهو يشبّ على القراءة والنظر والاختيار واتخاذ القرار؟ وأودّ من واقع رئاستي لتحرير مجلة حاتم في جريدة الطفل أن أقول إنّ عقلاً ذكيّاً يستوعب وينظر ويفاضل، فإما أن ندفعه إلى ما هو إيجابي أو نقتل فيه كلّ ذلك بالإهمال والانتظار حتى يكبر!

في الحديث عن "الثقافة الوطنيّة" أقول إن مفهوماً واسعاً يجب أن نتعدى به الضيّق المحليّ إلى الواسع العالميّ؛ فلا نقصر عقول أبنائنا عن إدراك المحيط ومتابعة متغيراته والنظر في مستجداته.

والصحيح أننا ونحن ندخل سنّ الكهولة لم نجد ممن سبقنا كثيراً من الدعم أو التوجيه، وهذا ما يجعل من هذا الجيل محظوظاً جداً في ظلّ الاهتمام به والتوجيهات المتتالية مؤسساتيّاً وعائلياً، مقايسةً بنا أيام "شبابنا".

نقطة أخرى مهمّة هي معضلة اللونين "الأبيض والأسود" لدى جيلنا في الانسياب بلا حدود نحو تيارات المحيط الغربيّ أو الانكفاء على الفكر الأصولي دون الاستماع للمُحاور الآخر لعلّ ما ينفع بين يديه.

وإذا أردتُ أن أتحدث عن الرواية فنّاً أدبيّاً في تأطير الهويّة الوطنيّة أو "شدشدة" جوانبها فإنني يمكن أن أصفها بأنها ليست مجرّد "حكايا" القصد منها التسلية أو الإضحاك؛ بل إنّ الرواية مشروع وطنيٌّ قبل أي شيء؛ ولكنه مشروعٌ ينطوي على إبداع يتجاوز التنظير إلى الرصد والزّج بـ"الرسالة" أو الحل بين ثنايا السطور بتقنيات يمكن تعلّمها والاجتهاد بشأنها بالممارسة.

وإذا كان مسموحاً لي أن أتحدث عن تجربتي الشخصيّة في الانطلاق من المكان الأردني؛ فلست الوحيدة في ذلك، ويمكن أن أشير إلى "شجرة الفهود" وتوثيقي لـ"إربد"، و"القرميّة" واتكائي على النهضة العربية الكبرى، و"دفاتر الطوفان" في نشوء عمان في الثلاثينيات وقبلها، واليوم أعكف على "يحيى الكركي"؛ وأفتّش فيه عن علاقة منطقتنا بمصر ودمشق؛ بوصفها منطقة انفتاح فكري وخط "دفاعي"؛ وكأنّ قدرنا الجغرافيّ أن نظلّ هكذا؛ وفي الرواية انتبهت إلى "المهمشين" واستدعيت أباءنا وأجدادنا وعدت إلى الجذر الضارب؛ فنحن شجرة وارفة الظلال لا تنتهي بالعطاء.

السواعير: التهيئة الثقافة

يحضرني قبيل حديثي أبياتٍ لشاعر المهجر إلياس فرحات، وهو يذكر معاناته شاباً واعتماده على نفسه: ونشرب ما قد تشرب الخيل تارةً، وطوراً تعاف الخيل ما نحن نشربُ!".

وأسأل: أين شبابنا من ذلك؟!.. وفي الجانب الثقافي أقول:

مما يجب أن يُفطن له أنّ العمل الثقافيّ لن يكون جادّاً؛ ما لم يكن مدعوماً بتهيئةٍ ثقافيةٍ لدى العامة؛ لا تقضي على المفهوم التقليديّ المترسّخ عند المتعاطين مع الوزارة حسب؛ وإنّما تسعى لزيادة الوعي الثقافي



بـدور الــوزارة لـدى من لم يسمع بهـا، أو يـدرك مهامها؛ ولنا في جولاتنا الـثـقـافـيـة- إعـلامـيـينَ فــرادى، أو بمـرافـقـة الوزارة- ما يجعلنا نصرّ على المكاشفة وتوضيح الدّور.

والـواقـع أنّ الـوزارة عليها أن تجري دراساتٍ في المـيـدان؛ فتستعين بمَـن هـم مـن ذوي الخـبـرة والمعرفة؛ ويكون ذلـك بتصميمها استمارةً؛ تدرس بها ما يتوقّعه الناس – بعامّة- منها، وما يمكن أن يتصوروه عنها، فتغذّي بها نشاطاتها، وتراجع مسؤولياتها، وتعزز نقاط القوة، وتمنع الضعف، أو تقضي على أسبابه.

كما أنّ عليها أن تعدّ برنامجاً ترويجيّاً عـالي المستوى؛ يدخل فيه الإعـلام شريكاً بأشكاله: المكتوبة، والمرئيّة، والمسموعة، وعليها أن تستمع إلى النقد قبل أن تفرح للمديح.

إن شبابا من دون ثقافة، لا يعول عليه، ولنا أن نسأل أنفسنا: كيف يسيل منطق الآخر بدفوعات مقنعة، في حين يبقى شبابنا مرهونين للفزعة الثقافية، وهم لا يقرأون كتابا، أو يستلهمون فكرا، أو يتمتعون بلسان حاضر يضع مصلحة بلاده في المرتبة الأولى، ويقايس على نجاحات الأمم والشعوب.

وفي الجانب الثقافيّ علينا ألا نهمل ما في صدور شبابنا، وعلينا ألا نفرض عليهم فكراً أحاديّاً؛ بل علينا أن نضعهم بصورة ما يكتبونه، قبيل أن يدفعوا به إلى المطابع: كتابا ينحاز لفكر أو يسايره، رواية موحية، ديوانا

> **"..لنا أن نسأل: كيف يسيل منطق الآخر بدفوعات مقنعة، في حين يبقى شَبابنا ضعافاً، لا يتمتعون بلسان حاضر".**

يحمل خلجات النفس وما تعيشه من رغبة في التعبير عن فرحة تلقي ثقافة الآخر، أو الإحساس بالاغتراب المتراكم. وعلينا إزاء ذلك أن ندرّبهم "المحاججة" بالمنطق؛ لا بثقافة التعنصر الفكريّ الذّباح.

والواقع أن المشاركة الحقيقية للشاب الأردنيّ إنما تنطلق من أنه عدّة المستقبل، عليه المعول؛ فلابد من كونه واعياً، صاحب رأي، لا يستحي من تراثه، كما لا يتهيّب الانفتاح، والأخذ عن الآخر ما ينفعه؛ وكان أن الشاب الأردنيّ كثيراً ما يقف حائراً بين هذين الحدين المتطرفين؛ فإما هذا بإطلاق، وإما ذاك بإطلاق.

(كما أنّ على الشاب الأردني أن يتعلّم فن" المحاججة"؛ فلا يتهيب الانفتاح، أو يستحي من تراثه.) وإذ تسعى الوزارةُ إلى التميّز، وتنطلق من توجيهات صاحب الجلالة في رسم سياساتها، والسير في برامجها: فإنّ المشتغل بالإعلام يلمس ما للوزارة من جدّيةٍ وطموح؛ وهو جهدٌ يتراكم.

ويفرحنا أنّـه جاء في الاستراتيجية الوطنية للشباب أنّ مما ترعاه؛ انطلاقاً من توجيهات جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين: شبابٌ مؤمنٌ بعقيدته، منتم لوطنه، مُوالٍ لقيادته، ساعٍ؛ يعمل بصمتٍ. وإذ يفرح المهتمّ بحكمة جلالة الملك، وسداد رأيه، وصائب فكره؛ وإيمانه بدور الشباب؛ فإنه يشدّ على يد الوزارة في عنايتها بهذا العنصر الفاعل، المشكّل نسبةً عالية في تركيبة المجتمع، ويتذكر قول من قال: إنّ

الشبابَ والفراغ والجِدَة / مفسدَةٌ للمرء أيّ مفسدة.

جرار: الأجندة الثقافيّة

لعلّي والجميع نلاحظ ما للوزير من جديّةٍ منذ أن تسلّم حقيبة "الثقافة" بفكره ومعارفه الأكاديمية والخبراتيّة علمنا أنّ الوزارة التي يكون وزيرها مثقفاً وأمينها العام مبدعاً مثقفاً وطاقمها يؤمن بـ"المرحليّة" في التعامل مع المستجدّ، والأخذ بأسباب التطور: إدارةً وفهماً وتنفيذاً.. علمنا أنها ستخلص للثقافة بعمومها وستدخل مرحلةً تُفرح المراقب وتبهج المهتمّ، وهذا واضحٌ بيّنٌ من جولات الربيحات وتعريفه بالثقافة ودورها: إطاراً معرفيّاً وسلوكاً مجتمعيّاً وتنظيميّاً إداريّاً، وعلمنا أنّنا ونحن نكاشفه في شأن "الشباب" نضيف ما ينفع أبناءنا ويدفعهم نحو المزيد من الفهم الواعي المسؤول للحياة بِكُلّيتها، ونسعى بنشاطات الجامعة وتوافرها على عمادة ضخمة تعتني بالإبداعات أن نجاري الدول المتقدّمة في حفز المخبوء بالخوف والخجل وعدم المقدرة على التعبير.

إنّ مجلة "أقلام جديدة"، وهي تنتظم كلّ شهر، وتخضع لتدقيقٍ فنيٍّ ولغويٍّ وأدبيٍّ وتحريرٍ إعلاميٍّ عالي المستوى وتحظى برعاية رئيسة تحرير جادة وحريصة على المتابعة، قد حققت أهدافها واستثمرت بالشباب؛ ففتحت ذراعيها لهم وتزيّنت صفحاتها بإبداعاتهم، وتنفّس بها شبابنا بما يحملونه بين جوانحهم من أدب وفن وما يستلهمونه من فكر.

وأجزم أنّ سنتها الثالثة جعلت لها مريدين وأصدقاء وأحبّة ومتابعين؛ يسألون عنها، ويطالعون "موادّها"، ويتوقون للكتابة فيها، وفي كلّ ذلك خير عميم نأمل أن يستمرّ بإذن الله.

وفي هذا السياق فإننا نطمح إلى أن تدعمها وزارة الثقافة؛ لأنها ليست للجامعة الأردنيّة وحدها، بل لكل الوطن ومحيطه، وهي بذلك تضيف مع غيرها من المجلات جديداً، وترعى شباباً، وتسعى لغاية.

أما وقد كاشفنا الوزير، وحلّ ضيفاً على أقلام واستذكر دراسته في الجامعة، ومكوثه ساعات في مكتبتها ، فإنّ سؤالين شفيفين يدفعنا إليهما صدق توجّه الوزير وحرصنا على تأكيد دور الوزارة، وهما: بما أنّ الوزراة- كما تناولها الوزير موجّهة أساساً نحو شخصيّة المواطن الأردني طالباً كان أم أباً، عاملاً كان أم أستاذاً جامعيّاً، فإننا نردد مع غيرنا سؤالاً نحسبه مهماً: إلى متى تبقى "الثقافة" الوزارة ذات مكانةٍ هامشيّة في أولويات الحكومة؟!

والسؤال الثاني: هل من تسهيلات في هذا "الروتين المالي"؛ فيظل العمل الثقافي رهيناً بوزارة الماليّة؛ فيتعطّل كثيرٌ من المشاريع أو على الأقل ينسحب أصحابها أو يقنطون من المتابعة؛ ونحن إذ نسال ذلك فإننا ننطلق من كون الثقافة أولويّةً مهمة، في ظلّ تبني جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين حفظه الله الثقافةَ بـ"صندوق الثقافة" الذي أفرحنا وطمأن بأنّها من أولويات جلالته، وقد كفل به ما يعيد للمثقف الأردني ألقه ويجدد بين حناياه أرواح إبداعه.

عصفور: فلترة الريادة

أعتقد أنّ شبابنا يخشون من الوزارة- الثقافة- لأنهم ربما لا يحبّون أن يواجهوا "النخبة" المثقّفة التي تستصغر من شأنهم، وتحبطهم قبل أن يدخلوا الوزارة، فنكون إزاء

"فترة الريادة أو النخبة"، وأنصح الوزارة بأن تزيد من مساحة العناية بالشباب؛ ليتعرفوا على مشاريعها وما يمكن أن يفيد طموحاتهم أو يأخذ بأيديهم.

الحوراني: رقيّ الأغنية الوطنيّة

أعتقد أنّ تعزيز مفهوم الثقافة لدى الجيل الشابّ مطلبٌ مُلِحٌّ؛ واسمحوا لي بتعليق ينقل ما نشعر به جميعاً من ضياع الذّوق الفنّي في الأغنية المحليّة، وتحديداً تلك التي تتغنى بالوطن؛ ونحن إذ نناقش هذا الموضوع فإننا لا ننكر على الفنان أو الهاوي أو الفرقة الفنيّة التغنّي بالوطن وتمجيده، بل يسعدنا ذلك، ولكن ما يسعدنا أكثر هو أن تكون الأغنية الوطنيّة ملبيةً لشروطها الفنيّة اللائقة. والسؤال: كيف تنظر الوزارة إزاء هذه الأغنية التي تطلع علينا صبح مساء وفيها ما فيها من رداءة الكلمات والإيحاءات التي لا تكون في محلّها وإهمال عناصر اللحن والموسيقى المصاحبة؟ ولعلّ هذا يدفعنا إلى الاستفسار عن المنع أو الرقابة في إجازة الأغنية تمهيداً لبثّها.

الصبيحي: تنمية الثقافة والسياسة

لديّ سؤالان عامّانِ، الأوّل تمهّد له العلاقة الجدليّة بين الثقافة والتعليم؛ وهو: لماذا لا تخرّج مؤسساتنا الثقافيّة أجيالاً مثقّفة؟!

والثاني: هل التعليم وحده قادرٌ على صياغة تنمية ثقافيّة تواكب العصر وتنهض بالمجتمع؟

ولديّ، أيضاً، سؤالٌ خاصٌّ لوزير الثقافة، الأوّل: بما أنّ د. صبري الربيحات جاء من وسط سياسيّ؛ بمعنى أنّ نقلةً واضحةً بين اشتغاله وزيراً في "التنمية السياسية" مرّةً، ومرّةً في وزارة الثقافة؛ بما تنطوي عليه هي الأخرى من تنمية الثقافة، فهل من رابطٍ بين الحقيبتين؟!

طلاّب من كليّة الفنون: هل من عناية بنا طلاباً يدرسون الفنون؛ فنسهم في مشاريع الوزارة وجدارياتها، لأننا نحن الأقدر على التعبير عن هويّتنا من غيرنا؟!

الوزير: نحن ننظر إلى الإبداع بوصفه شموليّاً إنسانيّاً عاماً، وهذا لا يمنع من التعبير عن الهويّة، ويمكن للوزارة أن تشرككم في جداريات معيّنة في مدينة الثقافة "الكرك"، فتشتغلون وتحسّون بقيمة جهدكم فنّاً في عيون الناس، إضافةً إلى ما يمكن أن تعلّموا به طلبة المدارس في المدينة وقراها في هذا المجال.

> **"ليست "أقلام جديدة" للجامعة الأردنيّة وحدها، بل لكل الوطن ومحيطه"**

سماوي: شكراً لحماسكم في المساهمة والتعبير عن الهويّة؛ ولكن أرجو ألا نغلق الباب أمام مساهمات غيرنا؛ فلا نتقبّل ما يمكن أن تضيفه الفنون العالميّة، ومع ذلك فإنني بصفتي عضواً في مجلس كليّة الفنون في الجامعة الأردنيّة فإنني أرجو أن يكون "تشبيكاً" ما بين الوزارة والكليّة.

الوزير: سلوك الثقافة

كلّ ما قلتموه صحيح! وقد تعلّمت منكم كثيراً. أمّا الثقافة فليست هامشيّةً بحال، كما أن مساحتها التي قد تزداد أو تظل على حالها أو تنقص لا تعني أنها هامشيّة، ولعلّ هذا مرهونٌ بعوامل كثيرة يطول شرحها،

ولكن أودّ التنبيه على أننا يجب أن نتشرّب الثقافة بالسلوك؛ فنتهيّأ للثقافة أولاً ونمارس ما يمليه علينا فهمنا لها؛ فإذا ما وصلنا إلى نشر الثقافة في الأقاليم وعرّفنا غير المهتمّ بها، بل وجذبناه ليتقبّلها، وجعلناها سلوكاً حيّاً عند الأكاديمي والسائق والعامل والشرطي تتحول إلى واجب مع الأيام... إذا ما وصلنا إلى ذلك ساعتها يمكن أن نطالب (مؤسساتيّاً) بتوسيع مساحة وزارة الثقافة في مشاريعها و"ميزانيتها".

في مفهوم الثقافة أختلف مع كثير من منظري مفهوم المواطنة؛ فهو "ليس في عسكرة المشهد الثقافي" أو قصره عن محيطه، ولكنه في الانفتاح شريطة الاستناد إلى الثّابت؛ ألا ترون العصفور يأخذ لون المنطقة التي يصدح بين جنباتها؟!.. خذوا على سبيل المثال شاعراً خليجيّاً أو عراقيّاً أو مغربيّاً أو مصريّاً ألا تحسّون أنه ينطلق من مكانه، فيتشكّل شعره بوحي من ظلاله؟!.. ولكنّا كثيراً ما نحسّ أن شاعراً أردنيّاً بالرغم من "صوته" المدوّي لا يتكلّم!.. كيف؟!... لأننا نحسّ أن الصوت لشاعر بجانبه؛ أتدرون لماذا؟.. لأنّه لم يكن صادقاً مع محيطه في التعبير، فتغيب الهويّة وتتشتت الإيحاءات، وتذوب الدلالة! أمّا فيما يخصّ توسيع نافذة الإبداع فنحن جادّون في ذلك، وندرس إمكانيّة إقامة خمس مخيّمات في الكرك وحدها، وفي سبيل جعل كلّ محافظاتنا تستفيد مما حولها من مهرجانات اعتقد أننا لا نترك فرصةً تمرّ دون الاستفادة منها وتطويعها لهذا الهدف.

"فلترة الريادة أو النخبة" ليس موجوداً في وزارة الثقافة؛ وإذا أحسستم به أشّروا لنا عليه لنتفاداه. في بلدنا نأمل أن تكون الأغنية الأردنيّة لائقةً بقامة هذا البلد العريق، فتكون كلماتها ذكيّةً بما لا ينفّر منها، وتظل موسيقاها عذبةً خاليةً من النشاز، وتدوم في أفئدة الناس بما عرفوه عنها من رومانسيّتها وواقعيّتها غير الصاخبة، واستفزازها المفرح لعروق متلقيها، وأنا أعتقد أن تشوّهاً يمكن أن يصيب أغنيتنا إن تركنا "الحبل على الغارب" لكلّ مُقحمٍ نفسه على الفنّ أو الأدب.

طالبة : كيف يرى وزير الثقافة مشروع مكتبة الأسرة الأردنية في ظلّ الاستغناء عن الكتاب بالمعلومة الجاهزة على الشبكة العنكبوتيّة "الإنترنت"، وانتشار وسائل لم تكن متاحةً أيّام كان طالب العلم يبحث عنه في كتاب؟!

الوزير : في الواقع مشروع مكتبة الأسرة الأردنيّة نجح نجاحاً بالغاً بشهادة مراقبين ومهتمّين، ويكفي أن يُباع الكتاب بخمسة وثلاثين قرشاً؛ ولولا أننا خشينا من أن يصبح اقتناؤه استهلاكيّاً لمجرّد ملء الرفوف أو تزيين "الديكور" لكنّا قدّمناه مجّاناً.

وفي تنوّع مواضيعه ما يغني، وفي دوراته الثلاثة يسعدنا أنه يؤشر على حراك. أما كيف يواجه الكتاب "القراءة النتّية" فهو موضوعٌ شائكٌ طويل، ليس أوّله أن متصفّح الكتاب يعيش في صفحاته، ويتذكّر كلّ فقرة أين وردت منذ القراءة الأولى للكتاب، وثانيه أنّ كل ما ينشره "النت" ليس بالضرورة أن يكون صحيحاً، وثالثه أن الناس ليسوا كلّهم متصفحين إليكترونيين، ورابعه أنّ الكتاب غالباً ما يحقق صفحاته، وأنا لا أنفّر من "النت" بالترغيب بالكتاب، ولكنّي أظل أقول إنّ: أعزّ مكانٍ في الدّنا سرج سابحٍ، وخير جليسٍ في الزّمان كتابُ.



قصائد

سـارة *

دة. آمـنـة الـبـدوي**



سارةُ غصنٌ يانعْ
يرتادُ القلبَ وينبِضْ
شفقٌ ممتدَ....
فوقَ جباهِ الأفقِ الشّامخْ
نفسٌ ترنو
نحوَ حنانِ القسوة
سارةُ
تركضُ تلهو
تتسابقُ والموتَ على الشّرفات
ترتسمُ البسمةُ شاحبةً
فوقَ الشّفتين
إصرارٌ وعنادٌ
يسكنُهُا
وحنانٌ أخّاذ....
يطلُعُ من عينيها
ترنو للجنّة.....

وتسابقُ صدرَ الرِّيح
الهاربِ من دفء العينين
صوتٌ يطلقُ موسيقى الرّوح
سارةُ
إصرارُ الطفلة في
دمعةْ
ترفضُ أن تنزل
إلاّ للوجعِ
الصّاخبِ في الرئتين
وتجفّفَ بعدَ مسكّنِها
دمعاً
لتعاودَ رحلةَ
إصرارٍ وعنادْ
وإباءٍ يتحدّى
المرضَ المتسرّبَ
بينَ خلايا الجسم
وتعاودها دنيا الحُلْم
تحجُبُ عنها ألماً
يتنَقّلُ .....يهرُبُ
يرنو.... نحوَ براءتِها
ليغافلَها
ويعاودَ رحلَتَهُ
ثانيةً
ثالثةً
عاشرةً
لكنْ سارةُ
ترنو نحوَ الأفقِ العلويّ
تتحرّرُ من حمّى الألمِ
الصّاخب
تتسامى الرّوح
وتصعدُ
تصعد
يتلاشى الألمُ الصّاخب
تنتصرُ الرّوح
تصعَدُ
نحوَ اللامرئيّ
المرئيّ
نحوَ الأفقِ الأبيض
يتجدّدُ حلْمٌ بحياةٍ
أجملْ
كانت سارةُ ترقُبُها
عبرَ العمرِ المزهرِ
بثماني وردات
ذَبُلَت لتعاودَ رحلَتَها العلويّة
فتزهر فوقَ التّربِ الأبيض
ناصعةً
تروي قصّةَ حُلُمٍ
ممتدٍّ أخضرْ

---

* طفلة قضت بالمرض العضال بعد صبر عجيب، عيونها تشعّ ذكاءً وإيماناً وتسليماً بالقدر ، وتنظر للجنّة.

** أستاذة جامعية/ ك.الآداب



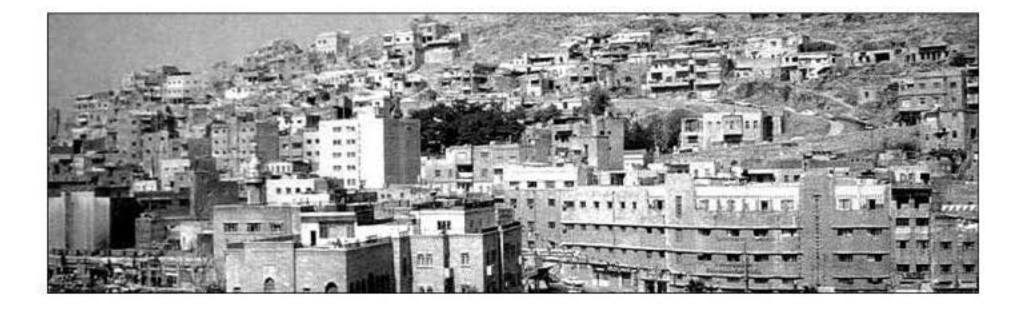
قصائد

صرخة الهوى

أحمد بن بريك *

ذَرُوني أذُودُ الحزن في صَرخة الهوى   وأمشي طريقا سُدَّ في سالف الدهر
ترافقني دُرمُ عَروبٌ عفيفة   كريمة خَلْقٍ طلعها صفحة البدر
تكبّلني ألفاظها مَزْجَ رقّة   وَتأسرُ قلبي في الهوى بسمة الثغر
أنيسة لُطف قد غفوت بنحرها   وأيقظني من سكرتي مطلع الفجر
فإن رُمْتُ مأوىً خبَّأتني بحضْنها   وإن رُمْتُ وَرْدًا عطفُها خيرَةُ الزَّهر
وإنْ رُمْتُ لفظًا ألهمتني خواطراً   وإن رُمْتُ شعْرًا زيَّنَتْ حينها شعري
أقول وقد أنشى فؤادي حديثها   وفاح أريجُ الحب أهْوَاك يا عمري
دَعيني أفي وَعْدًا لقبرٍ قطعته   فلا تنكري حبي وسرتُ إلى القبر
أجِدَّكَ فالأحلام مَرْعًى مُتَيَّمٍ   وَمَرْعَى فؤادي صَرْخَةُ الحبِّ في الصدر

* شاعر من الجزائر





قصائد

عام آخر

أسـامـة غـاوجـي*

مـغـيـبٌ بـاردٌ وبـكـاءُ نـاي ... وأثـقـالٌ عـلـى كَـتـفٍ تـكسَّـرْ
وأحـلامٌ تَـرى في كـفِّ حـرٍّ ... وربـانٌ بـكـفِّ المـوتِ أبـحَـرْ
فـكـم أسـكـرتُ عـمْـري بـانـتـظـارٍ ... وكـم عـمـراً بـخـوفي سـوف أسـكَـرْ
فـلـم تجـرِ الـريـاحُ بمـا اشـتـهـيـنـا ... وكـم حـلـم تـبـسّـمَ ثـم أدبَـرْ
وكـم أوريـتُ حـبـاً في قـروحـي ... فـأحـيـا الحـبُّ قـلـبـيْ ثـم أقـبَـرْ
وكـم واريـتُ مـن شـوقٍ بـلـيـلٍ ... فـلـم يـأتِ الـصـبـاحُ سـوى لـيُـنـشَـرْ

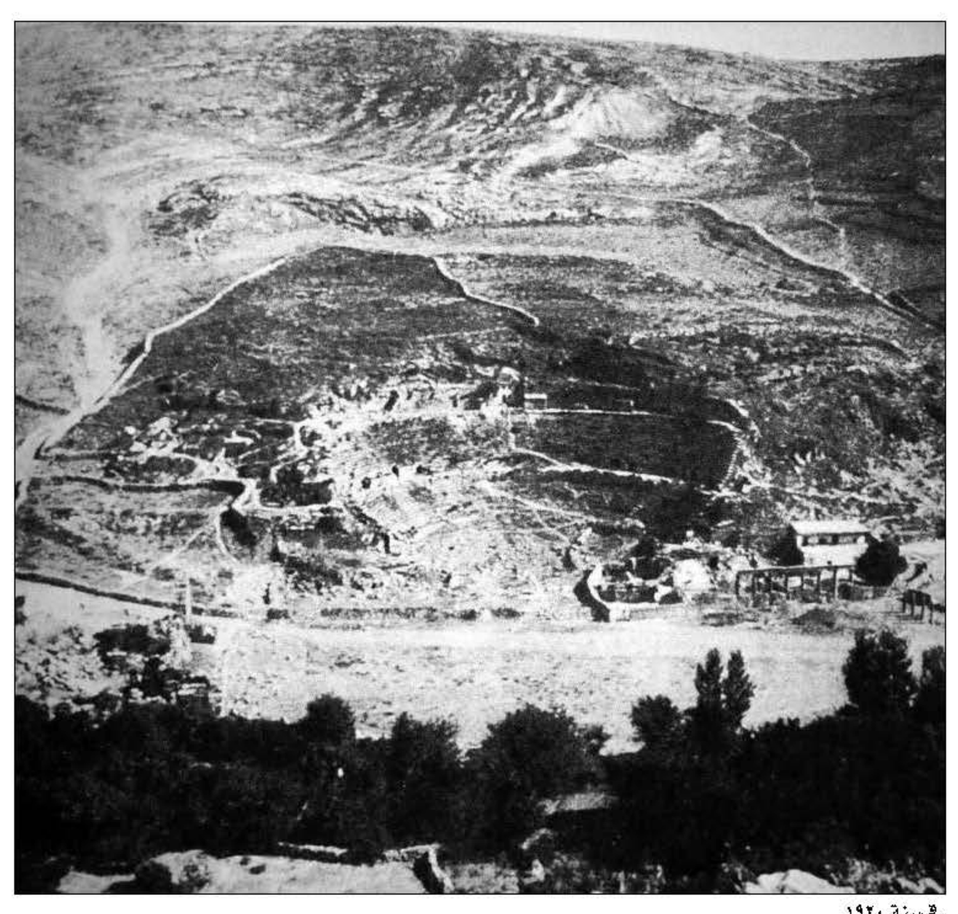
***

أتـيـتُ الأرضَ مـلـتـحـفـاً بـلـيـل ... ثـقـيـل بـالـظـنـون دنـا فـأنـذَرْ
ولم أعـبـأْ بـنـجـم تحـت ظـلّـي ... وكـم قـمـرٍ عـلـى قَـدمـي تـبـخـتَرْ
طـويـتُ الـضـوءَ،كـلَّ الـضـوء، قـسْـراً ... ظـلامـاً في عـروقـي قـد تجـبَّـرْ
فـكـيـف تـنـفـسَ الإصـبـاحُ لـيـلـي ... «أريـسـيـاً» يـدوسُ بـسـاطَ «قـيـصَـرْ»؟
وكـيـف ظـهـرتِ شـمـسـاً في عـيـونـي ... وألـبـسـتِ الـورودَ الحـمـرَ أحـمَـرْ؟
وأسـكـنـتِ الـسـمـاءَ الـطـيرَ حـراً ... فـصـار الـكـون في عـيـنـيَّ أنـضَـرْ؟

***

وكيف الآن غافلني غيابٌ   كأنّ الحُبَّ ما صلّى وكبّرْ
أأقتات اضطرابي في خشوع   وأحيا الليل محبرةً ودفترْ؟
سُقيتُ الوصل من كفٍّ كريمٍ   فكيف الآن أشربُ والمدى قَفْرْ
أمنْتُ إلى ضياءِ ضمِّ ليليَّ   فلا أمَّنتُ أشرعتي إلى بَرْ
أنا الإعياءُ يسكن في وتيني   ومن كفيَّ أهوالٌ تبعثرْ
سأجمعُ ما تبقى من يقيني   وأصنعُ من جروح الأمسِ خنجرْ
وفي أطرافِ أخيلتي سأبني   قصورَ الحبّ من عاجٍ ومَرْمَرْ
وفي صعبِ الردى سأطلُّ فجراً   ونهراً في دُنا عينيكِ يسهَرْ

*طالب جامعي/ ك.الهندسة



في سنة ١٩٢٠



قصائد

أرض الكرامة ليس تقبل

إسماعيل ريحان *

أزجي التحيةَ للمليكِ الغالي ... ولشعبهِ في عيدِ الاستقلالِ
عيدٌ تألقَ في الزمانِ وقد غدا ... آياتِ إكبارٍ ورمزَ نضالِ
جثمِ البغاةُ على الصدورِ وما دروا ... أن سوف تثارُ عزةُ الرئبالِ
فتبعثروا لما رأوا وهجَ السنا ... يغزوهمُ بسواعدِ الأبطالِ
أرضُ الكرامةِ ليس تقبلُ غازياً ... فالموتُ دون القهرِ والإذلالِ
تلكَ القيادةُ قد رأت نيلَ العلا ... بالتضحياتِ وليس بالآمالِ
ربت على الصدقِ الرجالَ وهيأت ... للعاشقين المجدَ خيرَ مجالِ
حريةُ الإنسانِ أعظمُ مغنمٍ ... وبدونها فالعيشُ محضُ خيالِ
وقفت جحافلنا بوجه عدوها ... فمضى يغادرنا بدون مطالِ
وغدت صروحُ العلمِ تنهضُ والربا ... تزهو فما شيءٌ هنا بمحالِ
وغدت لنا بين المدائن نهضةٌ ... من بعدِ دحرٍ للعدا وزوالِ

سرح هناك الطرفَ تلفِ عجائباً — لا أستطيعُ بيانها بمقالِ
قلمي عن الإيضاحِ يعجزُ فانظروا — يظهر مضيئاً ذا المقام العالي
سلمت يدُ الأبطالِ وأسمُ إلى العلا — يا موطناً هو أعظم الآمالِ

---

* شاعر من الأردن

بيت الشعر الأردني



ويخلد منطقنا

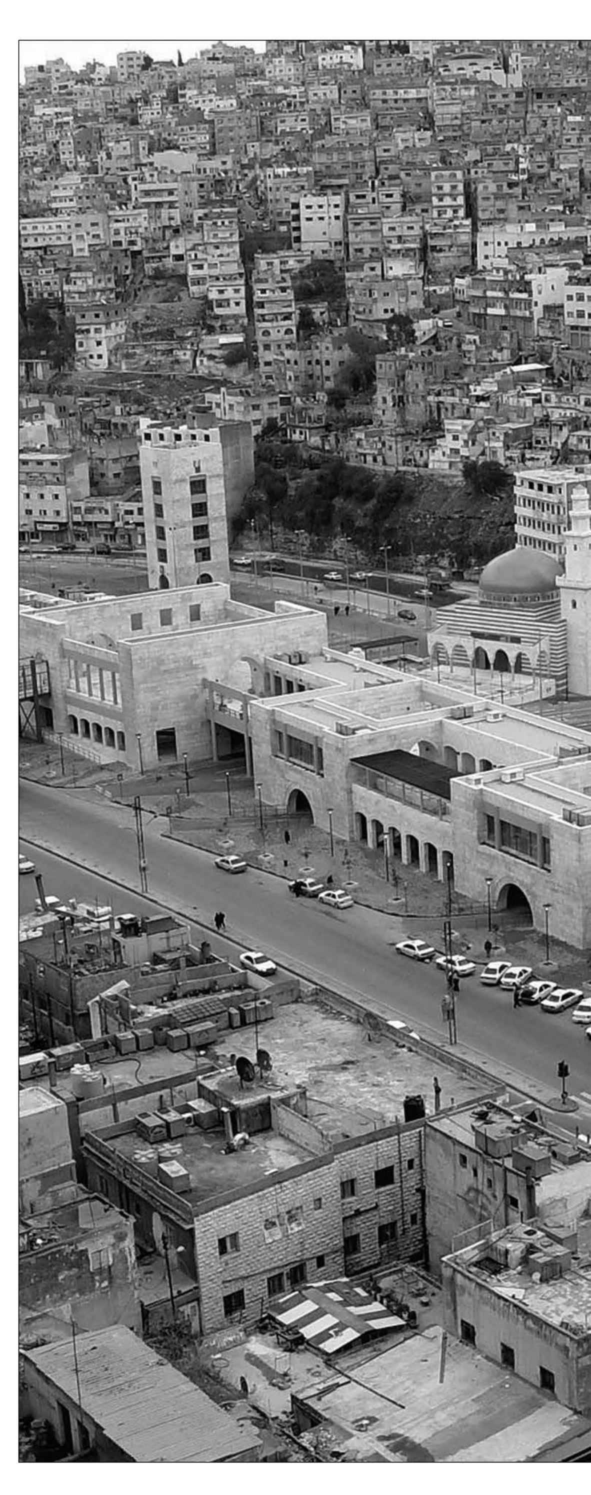


حســـــن بســـــام*

بوحُ الأنسام يداعبني في اللّيل، ودفءُ الأمطار،
فأغفو مبتسماً ما بين الطير وأوطاني...
أصحو مبتسما،،
أسألُ عن لونِ الجوّ،،
تدغدغني صحو وأغاني...
أمشي مبتسماً،،
والناسُ يضايقهم هذا / مجنونٌ يخلقُ منطقَه،،
ويُكمّلُ رسمَ قصيدته في كلّ مكانِ...
أحيا مبتسما أرضى،،
وجناح المطلق يحملني لعيون أرضى،،
أفترش الفلّة أرضاً وسماءً،،



مجمع رغدان السياحي



أملؤها بشتاء ثان...
وأحبّكُ مبتسماً،،
والكلْمَةُ آهٌ،،
ويغنّي ويردّد لحنَ الإيماءة عصفورٌ،،
والماءُ يبارك خطوتنا،،
والخطو يعمّد قلبينا،، / همساتٌ بين الأغصانِ...
أزهرَت الجنّة قافيةً، أبياتاً،،
في غمرة هذي الروحين،،
تلملمُ ما لم يحكَ، وتنسج ضحكاتٍ،
فتعطّرُ روحَ البستانِ...
طيبٌ،،،
والناس يضايقهم هذا / مجنون يخلق منطقه،،
ويكمّل رسمَ قصيدته في كلّ مكانِ...

***

العينُ كتابٌ،،
والأميَّةُ تغزو قريتَنا،،
العينُ ضياءُ..
نغماتُ يقينٍ شرقيٍّ، والعودُ حياكةُ جدّي،،
والشرقُ حكايةُ جدّي،،
وحبيبي والخطوةُ والماءُ..
أسودُ عينيها المتنبي،،
أبيضُ مهجتها الشعراءُ..
أحمرُ وجنتها تاريخي،،
أخضرُ منطقها الشهداءُ..
أخجلُ والحرفُ يطاوعني،،
هاءت في كلِّ مساءٍ أحرفها،،
والفلّة تملؤني،،

والفلّة أرضٌ وسماءُ..
ويحاكي ليلَتنا شعرُ الصوفيِّ،،
وأوراقُ التاروت تشاهدنا وتبشّرُ أرواحَ...
والناس يضايقهم هذا،،
مجنونٌ في يد مجنونة.
وغناءُ..
ماذا، أن نرسمَ شعراً ونكونَهْ؟.
ونقبّلَ فاهُ وجبينَهْ؟
ماذا، أن نلجَ البحرَ لتعبرَ في العمر سفينَهْ؟.
هي بوح حرٌ وإباءُ..
والناس يضايقهم هذا،،
والناس يموتون ويخلد منطقنا،،

وتظلّ سفينتنا،،
يحملنا طيرٌ،،
وأغان،،
بسماتٌ،،
دفءٌ
وشتاءُ..
يا ربُّ،،
جمالٌ أنطقنا،،
والله جميلٌ،، ويشاءُ..

---

* طالب جامعي/ ك. الهندسة



جبل القلعة



مفترق التنادي



رضا بورابعة *

نضج الحزن و استوى في فؤادي ... فانتشى تحته لهيب الحدادِ
وانبرت خفقة الجوى فوق صدري ... حينَ هامت رياحُها بالرّمادِ
وتشظّى هبوبها بين بوحٍ ... في ارتجافٍ و نظرة في سوادِ
تاهَ دمعي و لم يجدْ كيف يغفو ... فوق وجهي، أيكتفي بالمدادِ؟
تاه دمعي و لستُ أعرفُ تيهي ... كهف صمتي، تردّدي أم عنادي؟؟
دقّ شكّي و واقعي في اعتزالٍ ... عن حروب سهتْ عنِ الأمجادِ
عن حروب مضتْ على عتباتٍ ... واستقرّتْ بساحةِ الإنشادِ
ساحةٌ تستفيضُ حبرا فيسعى ... من دواتي لصفحتي فأنادي
يا وجودي لقدْ سقَيتَ همومي ... بالرّزايا ولوعتي في ازديادِ
كيفَ ترتادُ ساحل الموتِ موجا؟ ... والأسى صدّ مركبي لاقتيادي
هل سأنجو و وجهتي من ضباب ... وارتحالي غياهبي وارتعادي؟؟
أنت حظٌّ يناله الحرّ حلماً ... أنا حلمٌ محاصرٌ بالجمادِ



يا قيودي تنبّهي لست خطّا ... مستمرا أخطّه باعتياد
رُبَّ سطر تملُّهُ الياءُ حلاً ... فتضحّي بأسطُر للمنادي
أيّها الحبُّ يا ضحايَ تحرّكْ ... علَّ شمسا تضيء رحْلي لزادي
علَّ لونا من المبارق يصحو ... فيصفّي السّناءَ والنّورُ شادي
علَّ حرفا يداعبُ السّطر لطفا ... وابتهاجا بمصرع الأصفاد
يا لَوهمي!! وهل تنام المساعي ... والمآقي تمور طوع التّعادي
يا شجوني دعي خيالي طليقا ... أو دعيني لغربتي وانفرادي
لستُ أرضى عداوةً من صميمي ... فلْتواسي تخبُّطي بوداد
لستُ أرضى تلاعبا من دموعي ... فلْتولّي مناك صوبَ البعاد
سلّمي الصّدقَ للحياة وفاءً ... واستليني صراحة الآباد
أنت حرفٌ يحدّه الحسّ حدسًا ... يستقي اللّيل أو نجوم الرّشاد
ها قد احتلْت وافترَيْت جمالا ... فامتَطيتُ القصيدَ والوهمُ حادي
أيّ حسنٍ يدوم والشّرّ يلهو ... بالأماني ويزدهي بامتداد؟
في زمانٍ تحيّر القلبُ منه ... أيماري أم ينحني للكساد؟
حيرتي! يا مفارق الشّعر عندي ... اهدئي واصمتي فصمتك هادي
ذاك كوني مراده معَ نفسي ... أن يذلّ انتحابها باضطهاد
يا «أنا» -والنّداء أضنى يراعي ... والشّجى أرهق الصّدى بالتّنادي
يا «أنا» لا تدعْ فؤادي أصمًّا ... واترك النّار تنتشي في الوهاد
كلُّ حزنٍ سينجلي ذات صبحٍ ... والرّؤى سوف ترتقي للجياد

* شاعر من الجزائر



قصائد

إبداعات

لـم يلـد أحداً

عبد القادر الحصني *



لنجمكَ أن يغادرَ
ما على نجم إذا خطبته عاليةٌ سماءٌ
غير أن يصعدْ
حزيناً نصفَ حزنٍ
لم يلد أحداً،
ولكن كان محكوماً بأن يولدْ
فتحمله من الأرضين أرضٌ،
ثمّ يحملها
لينهدَ في اتّجاه الحلم
لم يكذب عليه الحبُّ
لم تخدعه سوسنةٌ
ولم يمدح سوى ظلٍّ لذاكَ الحلمِ..
ظلٌّ ليس أكثرَ
لم يقل أحد سواه عن الضباب بأنّه ليلٌ وأبيضُ
واضعاً في الاحتمال مشبّهاً،

أو شُبهةَ لشبَه بالظلِّ،
يمكن للأظلَّةِ أن يميل رمادها في الشمسِ،
مضطَراً،
على الأسودْ
ويبقى الشعر...
يبقى في نبوّته بلا سيف ولا دولةْ
ينحّي قولهم،
ويمدُّ أجنحةً،
ليرفع فوقهم قولَهْ
ليكتشفوا بأن الحلم بابٌ
ليس مضطَراً لأن يوصدْ
وشالُ صبيّة...
سفرٌ على الكتفينِ
فوق قوامها الأملدْ
فلا ينحلّ أو يُعقدْ..
«كزهر اللوز أو أبعدْ»

***

قد كنت أنتْ
حجر الفلاسفة القديمِ
وغربة الجرح المقيم
ولوعة التذكار.. في حلِّ من التذكارِ كُنْت
موزّعاً في القمحِ، تخرج من أساطير
السطورِ
مكّللاً بالغار والزيتونِ، مغسولاً بماءِ
الليل،
مبتسماً كما القمر الجميلْ
واليومَ تغفو، حيث لا زمن سوى الأبد
الطويلْ

في حيث لا معنى لما يُدعى الكثير أو القليلْ
تغفو على شفتيك في الكلمات كلُّ الممكناتِ،
ويستحيل المستحيلْ
ليكون ما قال المغنّي
في الرحيلِ
من الرحيل
إلى الرحيلْ
ويكون أن يتصالح الخصمان فيكَ،
من القتيل إلى القتيلْ
ليتاح أن يرتاح صمتك،
عندما تنمو على هدبيك أعشاب الجليلْ
قد كنتَ أنتَ
ولم يكونوا همْ،
وكان أن «اتّكأتَ على مياه، فانكسرتْ»
فإذا سُئلتَ،
وسوف تُسألُ عن تفاصيل الحكاية
في الرواية والدراية والغواية... والحصانْ
ولسوف تُسألُ: لمْ أتيتَ، و لمْ رحلت؟
ولمْ أخذتَ، ولمْ تركتَ؟
ولَمْ بقيتَ، ولمْ رجعتْ؟
فأَتحْ لهم أن يعرفوكَ ويجهلوك،
ويجهلوك ويعرفوكَ،
ودع لهم أثر الفراشة في أثير اللا مكانْ
يكفيك أنّكَ لم تكن إلاّكَ ..
أنّكَ كنتَ أنتْ
.. «لا تعتذرْ عما فعلتْ»

* شاعر من سوريا



قصائد

خواتمُ ملغومةٌ بالبكاء

عبد المجيد التركي *

أين عتقي من النار
والماءُ مشتعلٌ في عروقي
يكادُ سنا لهفتي
يُخرجُ الشمسَ عن طورها..
أين عتقي
وهذي الخواتمُ
ملغومةٌ
بالحنين إلى امرأة
قيَّدتني خلاخلها
بالبكاء على امرأة
ليس تحوي المعاجمُ أوصافها
إنَّ بي رغبة
في الممات على يدها
أو على رجلها..
آه يا امرأةً

كلما فكَّرتْ باغتيالي
تُقبّلني
كيف تقسِمني شفتاكِ
كتفاحة
ما تهنَّت بحُمرتها..
لستُ أنسى ولا أنتِ
ذات صباحٍ
أضاء لنا وحدنا:
كنتُ أشربُ والماء مبتهجٌ
في يديكِ على غير عادته
وزهور الستائرِ
تنفُثنا عطرها..
آه يا امرأةً
كلما خدَّرتني أصابُعها
يعتريني ارتباكُ الأضاحي

ويورقُ في كريات دمي ألفُ عيد.

***

أترينَ المرايا
وقد هربت من براويزها
لتُرينا اكتمالاتنا..
يا حبيبة
رفقاً بهذي المرايا
التي كاد يطمرها صدقُ أنفاسنا
للمرايا شجونٌ
وذاكرة
سوف تفقدها حين تبقى معلّقةَ
تتلفتُ صوب فراغٍ
ملأناه رائحة
وصلاة
ودمعاً
وثرثرة
وانهماراً
وأغنية
ماتزالُ المرايا تردّدُها وحدها
في خشوعٍ
يليق بتخمة أحزاننا..

***

من يُقلّمُ أظفارها
ويُفتّش عن نفسه
في ضفائرها
من سيملأ سُرّتها تعباً
ويجاري ارتعاشاتها



كلما رَكّبَ البردُ أجراسَهُ
في مفاصلها..
ها أنا ذا أعودُ
وبي خيبة
كمكالمة لم يُردّ عليها
أسائلُ أظمى الملاءاتِ
عن دافقٍ
جفّ في غفلةٍ
من مناديل بهجتنا
من يراني أبدّدُ دمعي
كما يفعل الوارثون بأموالهم
كلُّ شيء
- إذا أسرفَ الناسُ فيه -
سينفدُ
إلاّ الدموع.

* شاعر من اليمن



باسمي وباسمك .... باسم الجنوب



عــلاء أبــو عــواد *

وأعبرُ جسر الظلام وحيدا
على كاهلي ألفُ همٍّ ووهم
تؤججُ في احتراق الأغانيّ
لتلقي على الروح هماً جديدا
فأهربُ للشعرِ
لكن تتوهُ المطالعُ عني
وتهربُ مني لحقل البنفسجِ
عمرٌ منَ التيه
تاهت به ذكرياتي
وما تهتُ عنها
فصرتُ البعيدا
أحدّقُ في الليلِ

أحصي النجومَ
وعطفاً على الأمس يومي يجيءُ
ويأتي الغدُ
فأينَ سأخطئ في الغدّ
إني سئمتُ التشابه في الذكرياتِ
سئمتُ الوقوف أمام المرايا
فأين سأخطئ ؟
أينَ؟
وأيُّ النجوم تكونين أنتِ
وأيُّ النجومَ أكون أنا
وهل في السماءِ
هو الموعدُ ؟



تعالي
فإنَّ التشابه أعمى البصيرةَ
والقلبُ أعياه هذا الزحامْ
تعالي
فما ظلَّ غيرُ البنفسجِ عندي
لأُبقي على الروحِ
دون انقسامْ
تعالي
فإني معي
قد بدأتُ الخصامْ
أتدرينَ أين ارتديتُ البنفسجَ ؟
وهل تعشقين البنفسجَ مثلي
ونرجسكِ الغضُّ يبعثُ في الشعرِ
فوضى الكلامْ
تعالي إذاً
تعالي لصدري
تعالي
أتدرين ماذا أخبئ فيه ؟
أخبئ قلبا يُعطِّلُ عن نبضه في المساء
وآلام عمرٍ تفوق السنين التي قد حييتُ
وأرشيفَ حزنٍ بحجم ملفات من أتقنوا
خنق صوتِ الشعوبْ
أخبئ فيه عفونة قهرٍ
تواطأ فيها الزمانُ
مع الريح
لكن ستمحى بشمس الجنوبْ
وقد تسأليني لماذا الجنوبْ ؟
لأن الجنوبَ يحبُّ الحياةَ كما ينبغي أن
تكون الحياةْ
وقد ينبغي أن تكون بعكس الحقيقةِ
إن كان لون الحقيقة زيفاً
وقد ينبغي أن يكون عدواً
لكلِّ الجهات
لأن الجنوب يجيدُ التشبُّثَ بالأمنياتْ
أتدرين ماذا يكلف هذا التشبُّثُ بالأمنيات؟
يكلفُ عبءَ انكسارِ السماءِ
وضعْفَ الحياة
وضعْفَ المماتْ
يكلِّفُ أن تدخل الريحُ للذكرياتْ
وكم في الجنوبِ من الذكريات
ولكن يكلِّفُ أن تدخلَ الريحُ للذكرياتِ
بدون المرورِ بأيِّ الدروبْ
لذلكَ
تكبرُ فيه الشقائقُ يوماً فيوما
وتصبح فيه القوافي رصاصاً
وعشقُ الترابِ
صلاةً وصوما
وتصبحُ فيه الأغاني
حروبْ
وليست جميعُ الحروب سواءً
وليست جميع الحروب
حروبْ
أتدرين ؟
هذا المشاكسُ صارَ يُحمِّلُ وزنَ القصيدةِ
أكثرَ مما يطيقُ
وأكثرَ مما تطيق الصورْ

كأني بهذا المشاكسِ منذُ الطفولةِ
يَحملُ عنّا
غيابَ القمرْ
ويَحملُ وعدَ انكسار الرياحِ
على معصميهِ
ووعدَ الرجوعِ
للونِ الشجرْ

كأني به صار عبئاً علينا
يحاصرُ فينا التأخرَ عنهُ
يحاصرُ فينا
احتضار الحضارة
موت البشرْ

* شاعر من الأردن



قصائد

جنازة الحرف

عمر أبو الهيجاء *

إلى شارع المتنبي **

بكى الورق/
على أرصفة المتنبي
حتى آخر
قطرة حبر
في ريشة
الشعراء،
يا دجلة
يا الفرات المصبوغ منذ
هولاكو
بالأزرق
اليوميّ،
بكى الحرف في حلق
(سلمان داود وسعد الصالحي وموفق
محمد
وعبد المنعم حمندي)
بكى شارع النهر،
بكى شارع الرشيد
و الشناشيل البغدادية،
فطارت قبرات الشعر محمومة
بالنار
والريح.
يا أناي/
ويا الأصدقاء في جعبة القلب
حين مررنا سوّيا
في الشارع الطافح
برائحة الحروف،
كنا نقرأ تفاصيل أرواحنا
المبثوثة على قارعات الهواء

مصفوفة بالأسماء
والتراتيل،
مرّت أصابعي
على سهو منّي
ملتقطة كتبا محشوة بالصراخ،
كأني أرى الآن
السيّاب، الجواهري
البياتي، سعدي يوسف
والحيدري،
يحترقون
من وجع الحروف الشاخبة دما
في طرقات المتنبي،
دم على الكلام،
وجنازة الحرف
محمولة على أكف القصائد،
موسيقى تفيض
بين يدي «نصير شما»
المذبوح
على
حيطان المكتبات،
شارع بامتداد فواصل الجرح
على أغلفة
الدواوين
الراقصة
على
موسيقى
الروح،
دم في منتصف السطر،



دم يصيح بين المفردات،
دم على الكلام
مثل
طير
يشق ليل
الخفافيش
ولا ينام،
طير يطلق نشيده في أعالي
القصيدة، و يبحر في قافية
النص،
كريشة
مسنونة في صدر الطغاة،
وينشد مجروحا
للحياة.
سلام/
لسعف النخيل،
لبغداد تتوضأ بالدمع،
سلام على الرصافة
والمقاهي القديمة،
سلام/
على العراق يؤلمه نزف السؤال،
وعطش النهرين لوصايا الصيادين،
وفي حضرة النصّ نار الأولين،
سلام/
في انتحاب الماء على الماء
قبيل الرحيل،
سلام/
علينا،
نبكي كما نشتهي
أول الحرف
وآخر
السطور.

** شارع المتنبي: رئة الثقافة العراقية، تعرض إلى تفجير في الخامس من آذار ٢٠٠٧ ، أدى إلى احتراق العديد من المكتبات التي تحتوي على مخطوطات قديمة ونادرة، ويعد مزارا يوميا للمثقفين العراقيين والعرب.

* شاعر من الأردن

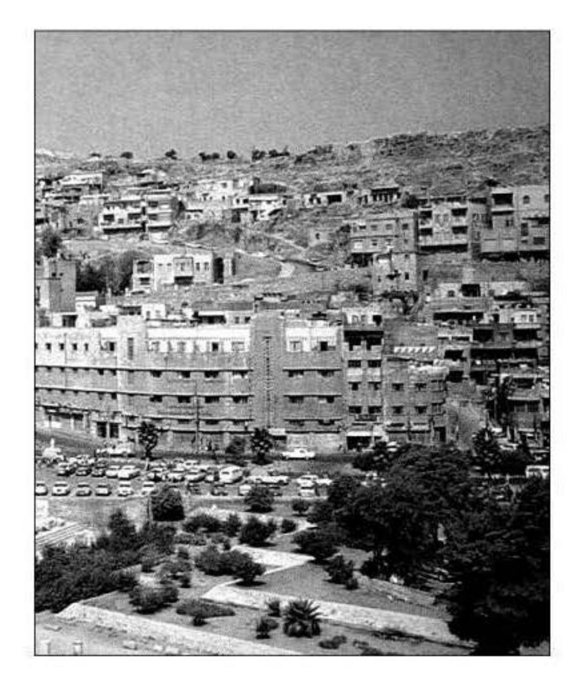


قصائد

على هامش الصمت



محمد دحيات *



في البدء:
أحتاج في العتمة هذه
فكرةً واحدة مضيئة،
لأصغي إلى نبضي
يوشوِشُ قلبي
أنفاسَ الحياة
فيكتملُ الصمت.

***

الصمتُ، شنقُ المفرداتِ
وحَرقُها في زفرة
الصمتُ، صوتُ صريرِ أسنانٍ
تعضُّ على الكلام

وأحرفٌ مسعورةٌ تتفتفت
الصمتُ، حظوةُ مُحسنٍ:
حظٌ عظيمٌ ناله
من دون أيِّ درايةٍ
عن كُنهه،
لكن وعاهُ قائلٌ
الصمت، آخرُ آخرُ الكلماتِ
ينطقها مريضُ الموت
أوْ إن شئتَ أبلغُ
ما يُقولُ لعائديه شاكراً

الصمت، أوسعُ أن يُؤَطَّرَ
في كلام أو يشكِّلهُ
تتابعُ نقطتينِ
نهاية السطرِ الأخير
الصمتُ، توقٌ عارمٌ
غدَقَ المسافة
بينَ عينيْ عاشقيْن.

---

* شاعر من الأردن



في سنة ١٩٨٥



الليلُ يَتَصرّفُ كمجنون



محمد عريقات *

(١)

الليل يَتصرّفُ كمجنون/ وأنا أحبُّك بتوحُشِ غابة

أتَصيَّدُ وجهَك دونَ جدوى

والأماني بعيدةٌ كشحمة أذني ...

حيثُ الخيبَةُ تسودُ التفاصيل/

والأمل ملقى في خزانة الأحذية.

حُضورك من يستطيع إصلاحَ روحي من الفقر،

روحك الغنية بالقمح، المكتنزة

بالطمأنينة والأصدقاء..

كل الأوقات المتدحرجة أمامي كحجرِ نَرد/

الأيام المتقافزة كجندبٍ مريض

تسعى إليكِ كلّ نَفسٍ برِهانٍ أقلّ


فوضى منتظمة - بيوت عمان

تعودُ بدمي من مزاريب المقاصل باردةً كالوفاة..
قلبي المهشّم كزجاج نافذة جرَّني إليه
بعكّازه المعقوف كشيطانٍ مازح/
والرصيف المعقود بقدمي كَرَسن
سَحَبني إلى سلَّة الانكسارات،
ومن البابِ الذي استيقظَ بوخزة المفتاح
أطلَّت غرفتي على عدم مجيئك..
من أفزعَ الحساسين في خواء ليلي؟
وشتتَ مسامعي الموثوقة منذ أمَدٍ بوتدِ كلب ميِّت؟
وأنا العامرُ بخرابي/
المعتمُ كقبرٍ خلفَ جرح مضيء كشجرةِ برتقال
غيرَ هاجسٍ ما أفشى بقربك
وانسحابك المحفور في الهواء
من الخطوةِ الأخيرةِ نحوَ جرسِ البيت..

(٢)
أقلدُ الهواء/
يزورك رغمَ النافذة المغلقة كصندوق/
المشرعة إذا ما الرغيف جاعَ لفَم مطبق
أتفلّتُ من لعنة الصلصالِ وأفشل..
الندم يلتفُ حولي، كأفعى في صحنِ قش
والنصل الذي يعبُرني سبقتهُ السلحفاةُ
إلى آخر الطريق..
منتزعاً كل شيء أرهقَ حواسك
وشَغفي بالكحولِ لم يُمس بأذى..
ثمة دموع دبقة تتربَّصُ خلف حنجرتي
تنتظرُ الدَلَفَ الرتيبَ من الذاكرة
والفرح في القبو السحيق يتعتق!

حيثُ عيناي تتشرَّبُ العتمة جرعات
كانَ السرير ينهرني بذراع وحش
والأشياء تمارسُ من حولي وظيفتها بذاكرةٍ مسبقة
كما لو أننا نسيرُ إلى الأعماقِ
بيدينِ متشابكتين كشجرٍ متوحش..

(٣)

النبضُ المتشنّجُ يضربُ بقبضتيه صدري
كَسَرَ رتاجَ الروح وانرشقَ على الزجاج
حالما غَلَّقت النوافذَ وقالت: لستُ لكْ..
البلادةُ تتخطى الفاجعة/
والصبرُ بدعةٌ مكتوفةٌ للخراب
أهبطُ عن فوّهةٍ تلوَ أخرى
والمرارةُ لغمٌ في حلقي المنذور
بتصاعد أحرفك الأولى..
قلقٌ كرقّاص الساعة
وكبرميل فارغٍ أتدفّقُ بالوحشةِ
عالقٌ في شوكِ رحيلك
كالعهنِ الميلول أتتبّعُ أجلي..
حياتي النافرة عن السياقِ المفترض
تحيلُ يومي إلى مرابٍ حاذقٍ،
وتحيلني إلى فريسةٍ حانقة
لولا أنّي ألوي عُنُقها بالكحولِ
وأخدشُ صقلها بقلم عابث
أقفزُ عنها وأتركها علبةً فارغة لقطط التنقيب،
وبابتذال أستحلفُ الكونَ بغمّازتيك
أن يهدأ..





(٤)

بصلابةِ الورقِ المقوّى أقاومُ غيابكِ/
حينَ الجثث تسرّبت لبيوتها
أدركتُ أنّك أكثرَ من ميّتة،
والخذلان كما ترغبين يظللُ نافذتي باعتياد..
وبعينٍ مغمضةٍ وأخرى تدسُ نظرتها عبرَ سمِّ الخياط
أراقبُ العالم يضحكُ بشدقي حمار من مسرّتي الخامجة،
وفكرة الانتحار بأدواتِ مطبخك الأنيق
تسرّبت نحو مساماتي الفاغرة
لولا وصول سيّارة الإسعاف..
وكشجرِ المقبرة راحَ ينمو غنائي أشعث وكئيباً
من بقيّةِ حياة غافلتِ الموت لتظلل الشواهدِ
ببهجةٍ كاسدة.

* شاعر من الأردن



الأزهارُ تموتُ في آذار



محمد نصيف *

من الفؤاد اللظى سطّرتُ أشعاري ... فصغتُها حليةً في جيدك العاري
إني كتبتُ على الجدران مأثرتي ... شعراً يقصُّ على الأجيال أسراري
على الصخور حروفُ الحبِّ أنقشُها ... حرفاً فحرفاً بلا ضعف بأظفاري
حتى جعلتُ على الآفاق أحرفَهُ ... تُروى غراماً على الدنيا بإكثار
لقد رسمتُ على عينيك ملحمتي ... في الحبِّ إذ كنت لي شعري وقيثاري
بنيتُ حُلمي على بركان أمزجة ... أكلما ثارَ يمحو كلَّ آثاري
أبعدما لامستْ نهديك جانحتي ... أعودُ يسحقُني رفضٌ كإعصار
مجنونةٌ أنت كالإعصار عابثةً ... إذ تسحقين عهودي دونَ إخباري
إذ تتركينَ شراعَ الحبِّ تدفعُهُ ... ريحُ الأماني كما تهوى بإبحار
كم كنتُ أجهدُ نفسي في تَذلُلِها ... أمامَ عينيك في صمت وإجهار
ما كنتُ أحسبُ أن الحبَّ سيدتي ... ثوبٌ يُباعُ على الدنيا بأسعار
فليس شيئاً عذابُ الصبِّ عندكَم ... بل الأحبُّ إليكُمْ فرقُ دينارِ

غـريـبـةٌ أنـــتِ لا أدري أراغـــبـَـةٌ حقـاً بهجرِ الـهـوى أمْ شئتِ إعثـــاري
إذا صَـحـبـتُ عــداك الـيـومَ واحــدةً فلـيسَ للعشقِ بـلْ للأخذِ بـالثارِ
أأرجـــعُ الـيـومَ مـنـفـيـاً بـــلا وطــن فيقتلُ الحبَّ غـدراً طبعُك الناري
كـــلُّ الـــزهـــورِ بـــآذارٍ ولادتـــُهــا إلاّ زهـــوري فقـــد مـاتـــتْ بـآذارِ

---

* شاعر من العراق





قصائد

مهمة الطير

هـانـي عـبـد الجـــواد *

لو كنتُ طيراً
لاستعرتُ مشاعري ولطرتُ نحوكَ
مثلَ إنسانٍ يداري خوفه أو شوقَهُ
ولقلتُ: إنِّي مستعدٌ للكلام على لسان
الطيرِ
فاغتنم الزمانَ
لأنني قد أختفي إن غبت عني مرةً
خلف الأفق...
سأصبُّ فنجاني كما اعتادتْ عليَّ حبيبتي
وإذا أتت نحوي الكواكبُ
ثم قالت كيف تشربُ قهوتكْ؟
سأقولُ إني لم أكن يوما من الأيام
أشرب قهوتي بالسر خلف الشمسِ
لم أعتدْ على هذي الطرق..
طفلان كنا؛
لم نردْ أحداً يقول بأننا نحيا
وسر حياتنا
وجعٌ على وطنٍ سُرِقْ...
كنا نرى شمساً
فنحكي أنَّ شمساً من هنا عَبَرتْ
ولا أدري لماذا كلما أحكي
يُشارُ إليَّ من شخصٍ بعيدٍ
أنَهُ يضع الحبالَ
على العنق..
قد كنت طيراً
واعتزلتُ مَهَمَّتي
إذ إنني أدرى بنفسي: لم أُطِق..

* طالب جامعي /ك. الطب



قصص

المصير



إيـــاد نــصـــار *

يجلس على سريره وحيداً في الغرفة. أغلق على نفسه كل شيء. أسئلة كثيرة تدور في رأسه بلا أجوبة. اختزل الماضي والحاضر والمستقبل في دوامةٍ من الأفكار المضطربة. لكن السؤالَ المخيفَ كان عن المصير. هل ساقته قدماه إلى القدر المحتوم في هذه الغرفة الموحشة وحيداً؟ للموتِ طعمٌ لاذعٌ مخيف. كم قرأ عن الموت كأيٍّ شيء عادي. لم يغمره هذا الإحساس بالعدمية والقلق من قبل. أثارت قصص الموت المأساوية الحزن في القلب، لكنه في ذات الوقت كان يمارس التنظير عن فلسفة الموت، فيشعر بمعنى الحياة. مفارقة غريبة لكنها الحقيقة. هل ستموت الأحلام هنا؟ هل ستنتحر الآمال الوليدة على رمال الصحراء؟ شعر بالغربة عن المكان. ستكون نهايةً عبثيةً حزينة ، ستمرٌّ ولن يشعر بها أحد. لأولِ مرةٍ يتشبّث بالحياة. مستقبل غامضٌ أقلُّ وطأةً على النفس من الذهاب إلى عالم اللاعودة المجهول. لم يخفْ من شيء أكثرَ من المجهول. ظنّ لوهلةٍ أن الأدباءَ الذين انتحروا واجهوا المجهول بشجاعة. القضيةُ معقدةٌ أكثر مما يظن. لكن خوفَه من المجهول يزداد وتتصاعد وتيرته. لم يعن له الأمر شيئاً قبل أيام قليلة. آه كم تغيّرْنا الأيام. كلهم هربوا لكنّه أصرَّ على البقاء. حاولوا إقناعه بالذهاب معهمً. واجهَ ضَعفَهم بابتسامةٍ صفراء. شعر أن الخوف من الموت صار هوساً مبالغاً فيه. أحس بداخله قوةً أكبرَ تعطيه شجاعةً نادرة، لم يعهد أنّ نفسه تحتملها. لم يحس بالخوف قبل أيام. لكن يبدو أن المقاومة بدأت تنهار.

قفز عن السرير فجأة. تناول منشفةَ قماشٍ قديمةً من أدراج خزائن المطبخ. بلّلها بالماء. وضعها على حافة الباب الخشبي. أطفأ التلفاز كي لا يبقى في الغرفة أي نور حوله. أدار مفتاحَ المذياع. شعر بالقلق وتوجس قلبُه خوفاً من الآتي. لقد مرّت عدةٌ ليالٍ وهو على هذه الحالة. أعصابه مشدودة وفكره يحاول أن يتخيل حجم الكارثة. يبدو الأمر مرعباً. لم يحدث شيء لكن الخوفَ يكبرُ يوماً بعد آخر. لم يشعر بالأمان. الغرفة محاذيةٌ للشارع. النافذة عريضة، ومن الممكن أن يدخلَ من بين قطع الزجاج. هناك مسامات حول جهاز التكييف.

لو حدث شيء سينتهي به الامر جثةً هامدةً مدفونةً في غرفة منعزلة ولن يسمعَ به أحد. قفز عن سريره، تناول شريطاً لاصقاً وصار يحكم إغلاق حواف جهاز التكييف من كل الجهات. سحب مفتاح الباب من مكانه، سدَّ مكانه بإحكام، لم يترك فتحةً صغيرةً إلا وفكّر بها. انتهى من وضع اللاصق بإحكام حول النافذة. تطلع في أرجاء الغرفة. الوضع خطير ولا يحتمل المجازفة. بدأ الحر يزدادُ في الغرفة. شعر أنها تحولت إلى ما يشبه الزنزانة. لا يستطيع تشغيل جهاز التكييف في مثل هذا الوقت. بدا مضطرباً وهو يحاول البحث عن منفذ مهما كان صغيراً، وقلبه يخفق سريعاً. وقف على كرسي. مَدَّ جسمه للأعلى. بالكاد وصلت يداه إلى أعلى المكيف. تعب وهو يحاول اغلاق المنافذ العلوية. ارتخت يداه وهو واقف على رؤوس أصابع قدميه يحاول الوصول للفتحات العليا. أنزلهما ليرتاح قليلاً. يتصبب العرق من جبينه، والجو حار. الساعة الخامسة عصراً، والغرفة أصبحت مظلمة بعض الشيء. شعر بالعزلة وتسرب الخوف إلى أعماقه كالطوفان. كل شيء يوحي باقتراب النهاية.



تذكر حامد أنه كثير الضحك والسخرية مما يجري. يتهكم على كل شيء. يظنُّ أن الأمرَ لعبةٌ ولن يحدث شيء. قال إن ما جرى قد جرى، ولكن هذا الخوف ما هو إلا فقاعةٌ ستنفجرُ، وسيكتشفُ العالم أنها كانت فارغة! مجرد فرقعة مثلَ صوتِ الرعد! قال إنه لن يتزحزحَ من مكانه مهما حصل.. هنا طاب الموت! لم يظنْ حامدُ أنَ شبحَ الموت سيهبط على هذه الرمال! ما أسهل أن تبقى الكلمات مجرد كلمات! فها هو أولُ مَنْ هرب. أما سمير لم يخف قلقه وخوفه. كان يقهقه عبارتَه المعتادة «الهروبُ يعدلُ ثلثي المراجل»! وما الداعي لموتٍ مجاني في قلب الصحراء؟! سمير واقعي إلى درجة الجبن. ولكنَّ أكرم حاول إخفاءَ خوفه وتوترِه باصطناع الهدوء! يتحدّثُ كثيراً عن ذكرياته في الخدمة العسكرية، وأحياناً يتحول إلى محلّلٍ عسكري. كلمات كبيرة وعبارات منمقة. يجبر أسلوبه الآخرين على الاستماع له! كان يضحك في سرّه من تحليلاته.

قبل أسابيع كانوا يحسون بملل قاتل في هذا المعتزلِ البعيد. يقتلون أيامهم برتابة فظيعة. ليس سوى تفاهات الحياة اليومية.

كم صارت تعني لهم شيئاً، فليس هناك ما يفعلون أمام الوقت المتثائب البطيء. إنهم مثل رجال كنفاني الذين تكدّسوا في الخزان تحت لهيبِ الصحراء الحارقة. كلُّ واحدٍ في عينيه بريقُ آمالٍ كبيرة. بدأ يدرك أن الطريق لن تؤدي إلى شيء يذكر. سيدفن نفسه هنا من غير معنى للوجود. فكر في رئيسه هاشم. هل يريد أن يصبح مثله؟! مجرد التفكير به يخيفه ويجعله يحسّ بالخيبة. كل يوم يسمع هاشم يتحدث عن نفسه فيتحسر. سنوات طويلة ضاعت وهو يندب حظه. كلما رآه تتجسد له النهاية العبثية الحمقاء. لا بد من الخروج من هنا. لقد هربوا جميعهم وبقي هو وحيداً.

دوّى صوتُ صفيرٍ حادٍ أثار في نفسه الرعب. لم يسمعْ مثلَ هذا الصوت من قبل. صوت يثير الهلع. جلس على سريره، أمسك منشفة مبلّلة كثيراً بالماء ووضعها على أنفه وفمه. زاد صوت النذير حدة، شعر بخطر داهم يمكن أن ينقضّ بأية لحظة. أخذ يفكر بالأمر من ناحية رياضية، كم يبدو محتملاً أن يكون هو الهدف؟ كل إنسان في المدينة الكبيرة يشعر بخوف أن يكون هو. الموت لا يعرف الرحمة. الناس مذعورة وليس أمامها سوى الاختباء. ولكن أين؟ يمكن أن يطالك أينما كنت. أصبح الناس رهائن الخوف والموت المجاني المحتمل. أمسك المنشفة قريباً من أنفه بإحكام. هل يمكن أن يسقط فوق هذه البناية؟ ستصبح ركاماً ودماراً وخرائب. مضت فترة وهو ما يزال على قيد الحياة. تنفس الصعداء قليلاً. أخذ يفكر في الخطر الداهم الآخر. الموت الصامت الذي سيتسلل مع الهواء. خطرت له هواجس مرعبة. هل يمكن أن تقع كارثة بهذا الحجم؟ الأمر أصعب من أن يتخيله ذهنه. أمسك المنشفة بإحكام زائد. أخذت أطرافه ترتجفُ والشحوب بادٍ على وجهه. بقي في مكانه متجمداً ينتظر لحظة النهاية، متهيئاً ليلاقي مصيره. مرت لحظاتٌ وهو ما زال على قيد الحياة. مرت دقيقة وهو ما زال يحس بأنه موجود. مرت دقائق أخرى. تنفس الصعداء. عاد صوت الصفير متواصلاً هذه المرة. أدرك أن المصير المحتوم مسألة وقت فقط. عاد إليه القلق والخوف والتوجس. صار يفكر في مأساة ستتجسّد فصولها ولن يكون موجوداً ليراها أو يرى ما سَيُكتب عنها.

قضى ليلة طويلة وهو يصارع الأفكار السوداء. استسلم للنهاية. شعر أنه عاجز عن فعل شيء. أيقن أن عليه أن يتحمّل نتائج اختياره. كانت أطولَ ليلةٍ في حياته. بقي الصفير يأتي بين حينٍ وآخر وأصوات الانفجارات تتردّد هنا وهناك. لم تعرفْ عيناه طعم النوم. بقي متوتراً خائفاً كسجينٍ ينتظر ليلة التنفيذ في زنزانته. لم يصدقْ أن النهارَ قد لاح أخيراً. هل يستحقُّ الامرُ كلَّ هذا العناء؟ ولكن الأمكنة كلها لم تعد آمنةً. بقي متردداً. في الصباح جاء شكري ليطمئن عليه. استغرب كيف يبقى وحده. أصر عليه أن يذهب معه إلى بيته. فرح بداخله، فعلى الأقل سيكون هناك آخرون لو حدث له شيء. لم يكن يعرف شكري جيداً من قبل. التقى به في الحافلة عندما قدم إلى هنا أول مرة. لا يتذكر كيف أصبحت علاقته بشكري قوية. ربما كان الإحباط والشكوى المرّة التي تعتمل في صدر شكري. ولكنه محظوظ وكثير الأسفار. لا يقضي الصيف الحارق هنا. أما هو فقد مضت الآن سنتان من غير أن يخرج خارج حدود المدينة! حزم حقائبه وخرج مع شكري. قرر في داخل نفسه وهو يدير المفتاح أنه لن يعود إلى هذا المكان مرة أخرى.



يسكن شكري قرب المطار في بيت واسع. يسكن معه بعض زملائه في الشركة. يعرفه من قبل فقد زاره فيه عدة مرات. بيت واسع كأنه مهجور من قلة ساكنيه. في الليل عندما سكنت الحركة، كان صوت الطائرات مخيفاً. اهتز البيت كأنما يوشك على الانهيار من شدة الصوت. لم تهدأ الطائرات تلك الليلة. صوت محركاتها عالٍ كهدير الرعد. كلما أقلعت طائرة أو هبطت كان البيتُ يهتزُّ من عنفِ الصوت كأنما سينخلعُ من أساسه. شعر بالرهبة. ما أن يتلاشى صوت طائرة حتى يبدأ صوتُ أخرى. كابوس لم يتوقف طوال الليل. كان البيت قريباً من المطار فبدا كما لو أنها تطير وتهبط من فنائه! كلها ملأى بنيران الموت. ماذا لو سقطت إحداهن؟ ماذا لو سقطت حمولتها؟ ستشتعل جهنم على الأرض حينها. فكر في الضحايا الذين ستلقي عليهم حممها. إن كان قد تملكه الخوف من مجرد سماع صوتها، فكيف بأولئك الأبرياء الذين ستلقي عليهم نارها المدمرة. تباً للعنةِ الحرب. لقد غيرت الحربُ كل شيء. قضى الليل مستيقظاً خائفاً متوتراً تحت وطأة كابوسٍ رهيب. لم يغمض له جفن من التفكير في بؤس الضحايا الذين تنتظرهم بعد ساعات لعنة الشر والتكنولوجيا المتوحشة.

طلع النهار بعد ليلة بائسة أخيراً. وجهه منتفخ وعيونه يبدو عليها الاحمرار. نهض واستعد للخروج. لم يكن شكري هناك. خرج مبكراً. قرر أن يخرج من البيت أيضاً. لن يبقى فيه ليلة واحدة أخرى. لم يكن يظن أنها مأساوية إلى هذا الحد. صفق الباب خلفه وخرج. بقي يسير في الشارع. طريق طويلةٌ مزدحمةٌ وضيقةٌ، بالكاد تسمح بالسير على جانبيها. الطقس حار، لكنه بقي يمشي حتى وصل المكان. بناية قديمة من خمسة أدوار في حي شعبي مزدحم. حولها مشاغل وورشات صغيرة لتصليح السيارات، ويمر بجانبها جسر علوي. وعلى الطرف المقابل بناية حديثة مستطيلة ضخمة من الرخام من عدة أدوار. عند مدخل البناية وجد عبد القادر واقفاً عند سيارته والميكانيكي ينظر إلى محركها. سيارة ولّى زمانها. آخر ما يفكر به عبد

القادر هو صيانتها. لا يكترث لنظافتها من الداخل. جعلها مثل مستودع متحرك يضع فيها كل شيء! يعيش عبد القادر وحده في شقته، فقد أرسل زوجته وطفله منذ أن وقعت الأحداث إلى بلده. سأله عبد القادر عن ظروفه ، فأخبره بما حصل معه في الليلتين السابقتين. قال: ولماذا لم تأت إلى هنا منذ اليوم الأول؟!

قضى ليلة هادئة عند عبد القادر. سهرا حتى وقت متأخر مع بعض الأصدقاء. لم يكن هناك من حديث سوى الحرب اللعينة. كانت أجواء الخوف والترقب تغطي على كل شيء. لم يكن يودّ أن يزور عبد القادر في مثل هذا الظرف. ولكنه كان بحاجة إلى شيء من الهدوء بعد ليلتين مريرتين. في المساء وهما في أثناء زيارة جار في نفس البناية، فقد دوّى الصوت الرهيب مرة أخرى. بدا التوتر والخوف على الجميع. ازداد الصوت حدّة وبقي مستمراً. أحس أن الأمر سيكون أكثر رعباً من ذي قبل. صعد عبدالقادر إلى سطح البناية ليراقب. قال إنه منذ أن بدأ يسمع الصوت، فإنه يصعد للسطح ليرى الأشياء على طبيعتها في السماء! بقي جالساً مع الرجل الغريب متوتراً قلقاً ينتظر سماع صوت الارتطام العنيف.

بكى الأطفال بحرقة. سمع النساء يتمتمن بأدعية من شدة الخوف. هل يعقل أن يكونوا هم الضحية من بين الملايين في هذه المدينة؟ لا مجال للاحتمال هنا فالقضية قضية مصير ويمكن أن تقع كارثة مرعبة. دوّى بعد لحظات صوت ارتطام عنيف جداً، اهتزت البناية، سمع أصوات زجاج يتكسر. تأرجحت البناية بهم من شدة الضّربة. أحس انها أصيبت. لم يصدق أنه ما زال يرى ويسمع. كانت الضربةُ عنيفةً كأنما شقت البناية من نصفها. سمع المرايا وهي تقع وتتهشم. راوده شعور أن البناية ستنهار بين لحظة وأخرى. لا يحتمل الموقف الانتظار. قفز سريعاً لا يلوي على شيء. نزل من الطابق الخامس على الأدراج. لم يظن أن الزمن سيمهله كي يصل الأرض. عندما وصل مدخل البناية، رأى أعداداً غفيرة من البشر تتجمع حولها. سمع صوت سيارات الشرطة والمطافئ. نظر حوله فصعق من هول المنظر. تحولت البناية الضخمة المجاورة إلى كومة من ركام. كان منظراً مخيفاً. من يا ترى يقيم فيها ؟ لا يبدو أنه نجا منها أحد. انهارت الطوابق بسرعة وأصبحت كتلاً فوق بعضها. رأى الصحفيين يتجمهرون في المكان. ستنتشر أنباء الكارثة خلال لحظات في كل أنحاء العالم. لم ينتظر أكثر من ذلك فقد كان المشهد أكبر من أن تصفه الكلمات. أخذ يسير ويشق طريقه من بين الزحام بصعوبة مبتعداً عنهم. لم يتوقف أو يلتفت للوراء، بقي يسير على قدميه دون أن يعرف وجهته. المدينة مزدحمة برغم الحرب، بقي يسير في الشوارع هائماً على وجهه، التمعت في خاطره فكرة، انعطف يميناً عند زاوية الشارع وبقي يمشي. أحس بالإرهاق وحلقه ناشف متيبس كالأرض العطشى، بقي يمشي حتى وصل المكتب. قالوا له لا يوجد رحلة إلاّ في الصباح. اشترى تذكرة وجلس بين مقاعد الانتظار. انتحى زاوية وتكوم فيها. راح يغط في نوم عميق من الإعياء والتفكير. حين فتح عينيه كان ضوء الصباح قد ملأ المكان. وبدأ الناس بالتجمع. عند الثامنة كانت الحافلة تغادر المدينة!

---

* كاتب من الأردن



قصص

ورد يبكي



بسام الطعان *

ارتفعت صيحات مفاجئة في الشارع الذي لم يرتد كامل يقظته بعد، فانفتحت كل الأبواب والشبابيك، ثم انتشر خبر هز البلدة كلها وحوّلها إلى خلية نحل.

طار النوم من عينيَّ، فخرجت مسرعاً وأنا أرتدي منامتي ثم لحق بي أخي، وأبي و... و... رأيت حركات غير طبيعية، ورأيت الرجال والنساء والأطفال يركضون باتجاه الغرب وقد تشعبت الدهشة في ذواتهم.

«ماذا حصل؟».

لم يكلف أحد نفسه بالرد على سؤالي، فركضت خلفهم إلى أن رأيت ما رأيت.

وأنت يا عريس، يا صديقي الوفي، كنت مرمياً بين الأشجار المزروعة في مدخل البلدة الغربي، ترتدي بذلتك السوداء، وقميصك الأبيض، وربطة عنقك الذهبية، وكانت سكين لئيمة مغروزة بغرور في أقصى صدرك، فتبدو وكأنها إسفين أسود مغروز في كومة من الثلج، أبعدت من في طريقي واقتربت منك، فرأيت خرائط الدم مرسومة على رقبتك وصدرك وتسريحة شعرك، وكانت البراءة ومعها كل ابتسامات الأمس، ليلة عرسك، واضحة على شفتيك وعينيك المفتوحتين.

بحثت عن عروسك بين الوجوه الكثيرة فلم أجدها.. كثيرون كانوا يحسدونك على حبها لك، وعلى جمالها الخارق ونقاء روحها. سألت عنها وأنا أتأبط الهذيان، فلم يرد

عليّ أحد.

«هل هربت أم خطفت في عتمة الليل؟»

آه يا صديقي.. قبل ساعات كنا زوجتي وأنا في حفل عرسك، وبعد أن رقصنا وغنينا وضحكنا وترنمنا مع المواويل في النادي المكتظ بكل أنواع الفرح، ودعناك وودعنا عروسك التي كانت تتأبط ذراعك وترش من حولها البسمات، وحين سرت معها باتجاه السيارة لتجمعكما ليلة من أجمل الليالي، لوّحت لنا، وطلبت منا أن نزورك، فوعدناك مع تلويحة أن نكون عندك في المساء.

«أين العروس؟» ، صاح أحدهم.

«الكل بحث عنها في البيوت والبراري وعلى ضفتي النهر، ولكن لا أثر لها وكأنها تحولت إلى نقطة ماء في بحر متلاطم الأمواج. صاح آخر وهو يبكي.

إيه.. إيه يا عريس، يا يتيم الأبوين، هل تتذكر أيام الشقاء؟ وهل تتذكر كيف جمعت من تعبك وسهرك الليالي، وأيضا من تعب أختك، مهر العروس؟ تشتغلان في الليل والنهار دون كلل أو ملل، تجمعان القرش فوق القرش، وتحرمان نفسيكما من أشياء كثيرة كنتما بأمس الحاجة إليها والآن ضاع كل شيء، وتركت أختك الوحيدة، لمن تركتها يا مسكين؟ ها هي تفترش التراب، تلعقه، تنثره على رأسها، تنتف شعرها نتفاً عجيباً تذرف الدموع المدرارة، تطبع على وجهك البارد قبلاتها الأخيرة وتتساءل بكل عذابات الأرض.

«من هم القتلة، وبأي ذنب قتلوه؟ فهو كان مثل حمامة السلام».

لا تسمع إجابة من أحد، فتسقط مغشية عليها، وحين تفتح عينيها مرة أخرى، تبقى صامتة للحظات، تنظر من حولها وكأنها تبحث عنك بين الوجوه، ثم تنتحب من جديد وقد جف فمها من العطش الطويل:

«والله ليس لي غيره، لا أخ ولا أخت فلماذا قتلوه؟.. يا عالم يا ناس، لأي سبب قتلوه، لماذا تركوني وحيدة؟ لماذا لم يقتلوني قبله؟»

تتوقف عن النحيب وكأنها تذكرت شيئا مهماً، وبعد لحظات تهز رأسها وتقول مع الشهقات:

«حين عدنا إلى البيت، باركت زواجهما، قبلتهما ودخلت إلى غرفتي، تمددت، وقبل أن يأخذني النوم، سمعت صوت ارتطام شيء، لكني لم أخرج من غرفتي، ليتني خرجت، ليتني لم أنم، نمت ولم أشعر بشيء حتى سمعت دقات عنيفة على الباب، وحين فتحته لم أصدق ما سمعت، هرولت إلى غرفة العروسين، فكانت مرتبة كما لو أن أحداً لم يدخلها...».

لم تستطع أن تكمل، وسقطت على الأرض مرة أخرى.

كغصن جاف تهزه الريح، كنت أسير خلف نعشك في صباح شبه ميت، أقطع دروب التيه وخطاي تتدثر بالفوضى والهذيان، ومع كل شهقة تخرج من حنجرتي، كنت أبكي بكل لوعتي وضعفي، وأزفك إلى عرسك الجديد بمرارة وحزن كبير بحجم الكرة الأرضية.

كنت تستريح على الأكتاف، وأنا أنظر إليك ولا أملّ من النظر، وفجأة رفعت رأسك، أرسلت نظراتك إلى الوجوه المنكسرة، وحين وقعت نظراتك عليّ، قلت بلهفة وكأنك قادم بعد غياب طويل:

«أين أختي وعروسي؟».

مسحت دموعي وقلت بصوت سمعه

الجميع:

«ها هي أختك خلفي، إلى جانب زوجتي، وهي محاصرة بالحزن والقهر والعذاب، ها هي حافية القدمين، مبعثرة الشعر، ممزقة الثياب، وها هو الورد الأسود ينبت تحت قدميها، ورد يبكي يبكي يبكي مليء بالأشواك، كل من يمر من فوقه أو من جانبه، يتألم ويحزن ويمتد حزنه إلى القمر، أما عروسك يا صاحبي فهي غائبة في المجهول، وربما هي الآن تسأل عنك وتقول أريد عريسي».

عندئذ بكيت بألم فقلت لك:

«لا تبكي أرجوك»

سقطت عليّ النظرات المستغربة، فلم أبال بها، تابعت الحديث والرد على أسئلتك، فراحت الرؤوس تهتز بأسف:

«اتركوه يفعل ما يريد».

«كان من أعز أصدقائه».

«لم أر مثل وفائهما».

«سيجن المسكين».

ليتني أجن وأنسى كل هذه الآلام. استعدوا لمواراتك الثرى، فقلت وأنت تحترق بنار لا تعرف الانطفاء:

«لا تردموا الحفرة، اتركوها مفتوحة أرجوكم، فربما جاءت عروسي، وإذا جاءت ورأيتها، عندئذ اردموها بالإسمنت إن أردتم».

لكنهم لم ينتبهوا إليك، انهالت الرفوش على التراب، فهتفت وأنا أحس بأن كل سكاكين البلدة مغروزة في صدري:

«لن يكون إلا ما تريد يا صديقي».

اقتربت منهم، أبعدتهم بكل قوتي وصرخت بأعلى صوتي:

«ألا تسمعون؟ لا تردموا الحفرة، اتركوها مفتوحة كما يقول لكم».

«بماذا يبرطم هذا؟» صاح أحدهم بغضب تولد فجأة.

أبعدوني عنهم وعادوا إلى عملهم، حاولت أختك أن ترتمي فوقك، لكن رجلاً ظالماً وبلا قلب، أمسك بيدها وأبعدها رغما عنها.

غادر الجميع المقبرة وتركوني وحيداً مع الفجيعة والغياب، وحين لم يبق غير الصمت، سألتك بصوت ليس فيه إلا الوهن:

«قل لي يا صديقي، من هم القتلة؟».

«هم الذين يعشقون الموت بلا سبب».

بقينا ننظر إلى بعضنا بعضاً؛ أنت تنظر وتهز رأسك حينا، وحيناً تغمض عينيك وأنا أنظر بحنان الأب والأم والأخ وأتحسر.

«والله العظيم سأزورك في كل الأوقات. قلت حين فاجأني صوتك:

«لا تتركني وحيداً، وكلما اشتقت إليّ تعال إلى هنا».

وحين بكيت وقبلتك، ربتّ على كتفي وقلت:

«يكفي البكاء.. اذهب الآن وابحث عن عروسي، وإذا وجدتها قل لها أنني أريدها لأمر مهم».

ولم تخبرني عن هذا الأمر على الرغم من إلحاحي الشديد، فنهضت بقلب يقطر دماً، رجعت أدراجي إلى البلدة، ولم تنقطع زياراتي إليك، كنت أجلس إلى جانبك، أسليك وتسليني في النهار أو في عتمة الليل، وفي كل مرة تسألني عن أختك فأجيب، وعن عروسك فتموت الكلمات في حنجرتي.

---

* قاص من سوريا



قصص

الوسام

حسام الرشيد *

بينما هو غارق إلى أذنيه في عمله، دعاه مدير المصلحة إلى مكتبه لأمر مهم، اشتعل عقله بالهاذيات من الأفكار السوداء، ماذا يريد مني يا ترى؟ لم أقصر في المهام الموكولة إليّ، منضبط في حضوري وانصرافي، أنجز المعاملات في أقصر وقت، أحظى برضا المراجعين، علاقاتي مع زملائي الموظفين متميزة، عليّ أن أذهب إليه لأقطع دابر الشك.

دخل إلى مكتب مدير المصلحة في الدور الرابع وهو ممتقع الوجه يتأرجح في خطواته يمنة ويسرة، فلما رآه غارقا في كرسيه الوثير، يتدلى سيجاره الغليظ من طرف فمه، انعقد لسانه عن الكلام واستبدّ به خوف عارم، بعد فينة من الصمت، اقترب منه المدير وربت على كتفه مشجعا، ثم قال له والسرور يعلو وجهه:

- أنت مثال الموظف الملتزم يا...

- هذا شرف لا أستحقه.

- لا تقل هذا، نحن مقصرون بحقك، سنقيم لك حفل تكريم في مطلع الشهر القادم تقديرا منا لجهودك المتفانية، وسندعو معالي الوزير إلى هذا الحفل.

- شكرا يا سيدي.

نهض المدير من كرسيه وناوله وسام الموظف المجتهد، ارتعشت أصابعه لمرآه، فرك عينيه غير مصدق، هذا لي... لي أنا، فيما كانت عبارات الثناء تتطاير من فمه كالرذاذ، بصوت متلعثم استأذن المدير بالانصراف ورجع إلى حجرة مكتبه!...

وما لبث أن نادى زملائه بصوت متبختر:

- هلموا إلي... هلموا إلي...

خفّوا إليه من مكاتبهم خفوف الطير، وكأن على رؤوسهم الطير، عندما رأوه واقفا على ركام من الملفات، كأنه طاووس مزهو بريشه الملون، دارت عيونهم في محاجرها وجعلوا يتساءلون:

- ماذا جرى له؟...

هنيهة وقال لهم بازدراء:

- هذا الوسام لا يستحقه سوى الموظفين المتفانين في أعمالهم!...

صاحوا بصوت متذمر:

- لكنك...

- حقا إنكم حاسدون!...

سرعان ما تحلقوا حوله ورموه بنظرات غضب، وهم يتمتمون بأصواتهم الساخرة :

- إنك لا تحضر للمصلحة إلا متأخراً!...

- المراجعون متذمرون من معاملتك الفجة معهم!...

- تقضي وقتك بين شرب القهوة وقراءة صفحة الأبراج!...

- دائما تثير الفتنة بين الموظفين، والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها!...

- سحقا لك!...

- أحرى بأمثالك أن ينالوا وسام الموظف المهمل!...

يقهقه بصوت عال، انقضوا عليه وأوسعوه ضربا، راح يصيح بصوت شبه مخنوق:

- دعوني... دعوني...

على نحو مباغت...

رن جرس المنبه، صحا متقاعسا من نومه اللذيذ، كانت عقارب الساعة تشير إلى العاشرة والنصف صباحا، ارتدى ملابسه على عجل ومضى إلى المصلحة ممتطيا ذنب الريح، وثمة وسام متدل من صدره لا يراه أحد سواه!...

---

* قاص من الأردن



قصص

لغات حديثة



رمـــزي الـــغـــزوي *

المـدرب يـدلـقُ قسوتهُ علينـا، وتثقلنا أوامـره الحـارقة: فقبل الفجر نصحو،ولم يكحلنا النوم، برضانا، أو الماء البارد رشقاً!، وعلى عجلٍ نلبس، ونحلق وجوهنا جرفاً حدَّ الاخضرار، ونلمِّعُ أحذيتنا العزيزة!، ونهرعُ على صافرته إلى الميدان الترابي الواسع.

نركض، ونـدور، ونشدُّ المعدة الخاوية، حتى تضرس عظامنا، ونقرفص، ونزحف زحفَ البطة، وزحف الدودة، وزحف القرد، والصافرة تحركنا حيناً، والشتائم أحياناً، وفي ذاكرتنا نجترُّ على وجعِ أيام الجامعة القريبة!، والقهوة المرتشَفة في مطعم الكلية، والصبايا يتسربن بيننا، وفي دمنا كالياسمين!!، وتتذكر صديقتك الخجولة، إذ تطلب منك كشكول محاضراتك، كي تنسخ آخر درس، لكنَّ الحميّة تأخذك، فتأخذ دفترها، وتتعهد لها بكتابة المحاضرة. وتعيده في اليوم التالي مترعاً بالقصائد الخجلى!، التي تليق بقلب كبير.

تبتسم لذكرياتك؛ وينبهك المدرب، ويسألك عن شيء من التمرين، فتتلعثم؛ فيطفح حقدهُ عرقاً بارقاً على جبهته العريضة، فيأمرك أن تبلل نفسك بالماء، وأن تتدحرج على الأرض، كجذع نخلة، مائة مرة، بل مائتين.

تفعل ما تؤمر به، وتنهي عقابك باكياً بكاءً صامتاً تحت الجلد!، حتى تلاشت الذكريات

من رأسك، كما تلاشى لون ملابسك، التي غدت طيناً.

والمدرب يحقد على الجامعيين،هكذا اعتقدنا، ويصب جام غضبه عليهم، ويصفهم بالنواعم، وتربية (الشبس)، ولا يثق بمهارتهم؛ لذا تراه يُمطرهم عقاباً يتلوه عقاب.

وذات طابور مسائي، وقف المدرب أمامنا كتمثال شارد الذهن، عليه سحنة الحزن، وآذاننا مفتوحة على مصراعيها تنتظر أوامره وتعليماته،ثم فكَّ المدرب تصنمهُ، وقال: من منكم يستطيع أن يتحدث لغات حديثة؟!!!، فلم يجبه أحدٌ، لكنه أعاد ذلكَ بصوت أكثر حدةً، بعد أن تنحنح، وقال: أقصدُ من منكم يتكلم الفرنسي أو بالألماني، أو بالإيطالي، أو (بالزفت)!!.

ابتهجنا نحن خريجي الجامعات الأجنبية فربما جاءنا الفرج بعد الضيق، فرفعنا أيادينا، فطلب أن نقف جانباً، وكنّا نقارب العشرة، اقترب منّا، وتنفس بعمقٍ وقال: هل أنتم متأكدون من أنكم تجيدون تلك اللغات؟!، فأشرنا برؤوسنا نعم، فقال: ما دام الأمر كذلك، فعليكم أن تركضوا حول الميدان سبع مرات قبل أن نبدأ بالتمارين، يا شاطرين!!!.

---

* قاص من الأردن





قصص

ضحية سور

سمية البدارين *

كان الصمت ينزف من عينيه ألما.. قد عاث الحزن في أحلامه خراباً... يقوده الباص إلى الجامعة.... عيناه معلقتان في (الكنترول).. تتلاحق الأنفاس.. ويتلاشى الهواء... الصوت يتردد في أذنه..:

- اطلب منه الباقي..
- لكنه ليس كثيراً.!.. ٥ قروش..
- لكنها حقك..
- ولكن ماذا لو...؟

وصل الباص إلى الجامعة.. أراد أن ينطق.. لكن حروفه تبعثرت كقطع زجاج خائفة من الانهيار..

- (يا شب).. (التفت الكنترول إليه ببرود وبوجه جامد تكسرت عليه الكلمات قبل أن تنتشر..)
- ماذا؟!
- ال..ب.. ال.. أريد أن أنزل.

(ابتسم بخبث وفتح الباب).

تنفس هواء مغبرا بعد أن انسل من الحافلة.. وبوجه ممتقع خجلا واصفرارا أطرق ويداه في جيبيه مشى والشبح يطارده..

- ما كان عليك أن تخاف..أنت غبي.. انظر إلى نفسك.. طفل في العشرين من العمر..!!
- (وضع أصابعه في أذنيه) اصمت لا أريد أن أسمعك.. اصمت.. اصمت...

دلف الجامعة وضحكات بني جنسه تطرق رأسه بسخريات مقيتة.. (آه أما كان ينقصني إلا هذا) اقترب عمار.. أو لعله.. (إيش يا...) ابتلع سخريته بصمت وترك شلة الخراب ومضى بصمت في طريقه.. لطالما كان يبتلع الكلمات.. ابتلعها حين اشترت له أمه كالعادة ملابس يمقتها لبسها دون أن ينطق ببنت شفة لكنه رفع حاجبه الأيسر.. صوت ذاكرته يشعل للكلام موقدا.. لماذا عندما نريد الصمت يخذلنا... ويقتلنا الكلام...!

-لكني لست صغيرا.. لماذا يا أحمد؟... لماذا لا يفهمونني...؟؟

- السؤال هو لماذا لا تفهمهم أنت؟ تحدث معهم باهتماماتهم..

- لا أعرف اهتماماتهم.. وحتى ولو عرفت فهي سخيفة...

- لم تتوقع منهم أن يتغيروا لأجلك؟؟

- لأنهم أهلي.. يجب أن يفهموا!!!!

- لكنهم لن يفعلوا

- ماذا إذا..

- حاول أنت أن تفهمهم.. مثلا هل تجلس معهم... تتكلم معهم؟؟

- لا وحتى إن جلست.. (صمت وأطرق في حناياه: الصغير لن يتكلم بوجود (الكبير)..(تنهد). تخيل حتى شراء بنطال لي كما أريد لا يسمح لي!! فكيف بزوجة المستقبل؟..

- هاها... لا تخف... يجب أن تفهمهم وتلقائيا.. سيكونون قد فهموك..

- (الكلمة تحفر فيه سدا : يجب !!! كم يجب كان لزاما أن نضيف إلى قاموس أساطيرنا العابثة ولا نطبقها !!!) (آه لو تعلم يا أحمد...)

دلف القاعة..وعيناه قد حجزتا له مقعدا.. يحث الخطى.. أسرع.. سبقته فتاة ووضعت كتابها: عفوا... هذا المكان محجوز.





وللمرة المليون ينسل بصمت ويجلس في كرسي آخر أبعد... ويواصل الهذيان... جلس بحزن.. عاوده الصوت يحبس أنفاسه... أنت عالة على نفسك.. أنت حثالة المجتمع...

-ماذا فعلت لأستحق كل هذا؟

(ساوره الشبح بوخزة)

- ماذا أيها الصغير... أخافتك فتاة؟

- (وضع يديه حول رأسه بمحاذاة أذنيه)

- أرأيت أنت لا تستحق الحياة.. أنت أحمق..

(أغمض عينيه وانكمش أكثر).

- انظر. انظر إلى نفسك.. فأر في ثوب حمار..

(دموعه تهطل كالأمطار).

- من تظن نفسك؟؟؟

(البكاء يتحول إلى نشيج).

- ها ! طالب جامعة.. بل طالب فشل..

لم يكن الصوت غريباً.. لقد كان ألصق ما يكون إليه... آه... إنه صوت سور في البيت.. سور يدعى أبوه..!! لم يكن من المفترض له أن يصبح سورا.. كان (يجب) أن يكون ملاذا آمنا... لكن العنت والقهر غشاه فأصبح سورا لا يولد إلا الإحباط والكراهية... الدمع في العينين أخضب..

لمس حزامه الأسود وابتسم... لطالما وجد مثله يرتع على آلام جلودهم..

صوت يوقظه من تعاسة ذكرياته.. ما زال الكنترول يقول: باقي.. باقي..(فابتسم بصمت ورفع يده..)

ضم يده على الباقي وابتسم.. ثلاثة قروش.. وضعها في جيبه.(لماذا يا أبي لا تثق بي.. أنا أكبر أبنائك)... تجمدت مقلتاه على حواف النافذة..(أنا لم أعد صغيرا...) يلوك عجزه ويتنهد.. (على الأقل لم أعد اسمح بضياع حقوقي.. مهما كانت صغيرة.. في الحقيقة ليس كلها...) دارت عيناه بحيرة...(بقي واحد.. حقي في أن تسمعني... لا يمكنك أن تقول عني فأرا.. أنا إنسان... خلقني ربي إنسانا.. مهما كان رأيك... لا... لا لكلمة لا.. لماذا بنيتني خيمة جافة.. مهزوزة الملامح.. في كل يوم كنت تضع في قطعة منك كنت تهدم به جزءا من كينونتي) تأرجحت دمعة فاقتلعها من عينه بصمت (.. من هدفي... من أحلامي... إيه لكم سرقت أحلاما مني... لماذا؟؟.. أقسم لكم أن لدي قدرات.. ثقوا بي.. ودعوني.. سأتعلم إن أخطأت... فأنا من سينجح في النهاية عندما تنشئون رجلاً واثقاً مسيطراً على بيئته...)

توقف الباص..(أبتاه.. أنا لا أريد أن أكون نسخة عنك...).. نزل بثقة ومشى بحماس نحو أسوار الجامعة.

* طالبة جامعية/ ك. العلوم



قصص

إبداعات

أنصاف الرجال

سمير الشريف *

وقف أمام المرآة يتأمل تفاصيل وجهه الذي حرثته الأيام.. لم يستوقفه مظهره و غضون وجهه وتسريحة شعره التي زحف عليها الصلع، إذ لم يعد يلقي بالاً لمثل هذه الترّهات..

تركز اهتمامه على شاربه المتهدل كغصن دالية الحوش التي لم يطلها التقليم، والمتمدد بشموخ فوق شفتين متغضنتين تميلان للزرقة ووجه يضج أسىً على ماض لن يعود.

أمسك نهاية شاربة بأطراف أصابعه، وراهن على جزئه الثاني، كم كان واثقاً من نفسه وهو يستمع بامتلاء لنشرة الأخبار التي تتوعد الغزاة، وكم ملأته الفرحة وهو يمعن في الأرتال التي ستدك أوكارهم، وتجعل العودة لمرابع الطفولة قاب قوسين.

تذكر بغصة آخر مرة مسد فيها شاربه قبل أن يخسر الرهان أمام رفاق المقهى، الذين هزئوا من تحليلاته بأن العدوان لن يتم، والحشود مجرد تكتيكات متفق عليها.

كم كان ساذجاً عندما أمسك شاربه معلنا أنه لن يتوانى عن قص نصفه ورميه في حاوية القمامة إذا ما حدثت معركة.

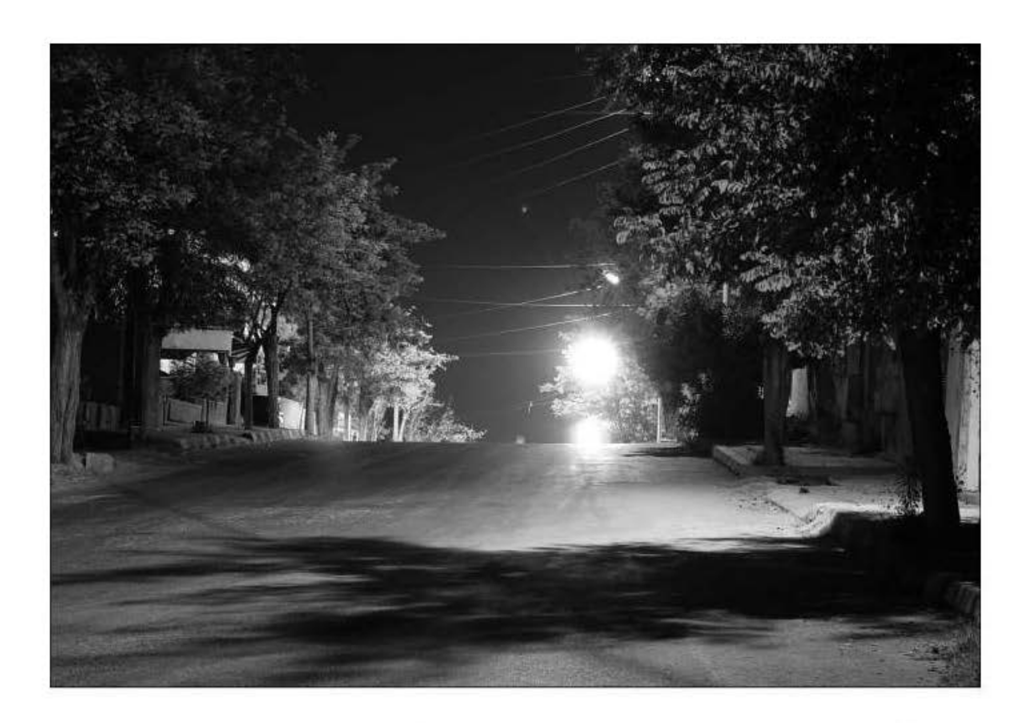
هل يعيدها اليوم ويراهن على نصف شاربه الآخر؟ هل يُصدق مذيعي الأخبار الذين تشترك حكوماتهم بالحرب في الإعلام، ويتفرجون على الدماء والأشلاء والهدم ؟

يركب رأسه معانداً من يقول أن من يراهن عليهم لن يحركوا ساكنا، وأن جبهتهم ستظل آمنة والعدو على طرفها نائم، خدعه الإعلام كالعادة، فهل هو غير مؤمن حتى يُخدع مرتين؟

لا يعقل أن تظل أبواق الحرب مفتوحة ولا يتحرك طائر هناك.

يتنافخون بهم القضية، يذيقون الناس آلام شظف العيش بدعوى التهيئة للحرب.

ما زال غضاً على فهم متاهات المصالح ولعبة الممكن والمستحيل، ما الذي يجعل منه



ساذجاً حد البلاهة، وهو يطلق سمعه لمثل تلك الأكاذيب مراهناً على ورقة خاسرة، طار بسببها نصف شاربه الأول؟

تذكر أطنان الشعارات، أشاح بوجهه عن المـرآة، متجاهلاً صـراخ إذاعـات العروبة وصخرات الصمود وخنادق التصدي ووووو.

مر بذاكرته شريط الحـروب... الهروب الكبير... قصف المطـارات... عبور جسر الآلام...سـخـريـة الرفـاق...نصـائـحـهـم المجـانيـة.... إصـراره عـلى أن الجماعة منشغلون بتهيئة السلاح والجبهة الداخلية، فالأمر ليس نزهةً ومشواراً قصيراً.

يصر على أن الأمر تكتيك وتوازنات وليس تخاذلا، والأمـر محسوم بنهايته التي لا بد لجيش الصمود مـن التـحـرك تجاهها في الوقت المحدد.

دماء المستضعفين هيجت عواطف الجميع، حتى الأعداء، إذاعة التصدي، ظلت ترجم الجبهة عبر أثيرها بتحريضات لا تساوي المداد الذي كتبت به....

أمسك موسى عن الحلاقة...

نظر إلى نفسه من جديد، غسلته موجة ارتياح....

هو لا يستحق هذا الشارب، قانعا بنصف رجولة على تحمّل تأنيب الضمير.

لملم شعيرات شـاربه، فكر: أيـن يذهب بها!!

هل يرسلها بالبريد المضمون للقائد العام، أم لمدير الإذاعة....

منعا لأي إحــراج قـد يَلحق بأنصـاف الرجال؟

---

* قاص من الأردن



قصص

مسرور المجنون

دة. سـنـاء الـشعلان *

وقف مكبلاً أشعث أغبر عارياً من كل سلطة أو نفوذ أو سيف بل ومن حذاء، مصفّدًا بين يدي مولاه السّلطان حَبْر الدم، الذي علّمه عشق الدّماء، واحتراف اشتهاء الرُؤوس المقطوعة والرّقاب المثكولة، وأورثه شبق الموت ومضاجعة الأجساد الميتة.

في نفسه تضجّ رغبة واحدة تملك عليه منافذ حسّه، وتغلق أذنيه دون أصوات المطالبين برأسه، والوافدين إلى قاعة المُلك ليشهدوا محاكمته العادلة المزعومة على سفك رأس أو بضعة رؤوس اشتهى نصله أن يذوقها، فأذاقه إيّاها حبًا وكرامة. فأصبح مجرماً بين عشية وضحاها، وغدا (مسرور) المجرم بعد أن كان يرفل ببركات اسم مسرور السيّاف المرافق الدائم للسّلطان الذي لا يعرف سوى لغة الدّم المسفوح، والرقاب المهاجرة، والأجساد المطعمة للنّار.

مولاه السّلطان هو من علّمه شهوة القتل، وهو من وضع السّيف في يديه أوّل مرة، وهو من لقّنه فنون التّمتّع بالموت، وهدر قدسيته، والتغاضي عن توسلات المستضعفين وأنّات المظلومين، لقد خرس تمامًا منذ أن تعلّم لغة السّيف، وأصيب بالصّمم منذ أن طغى صوت سيفه على كلمات الحق، فغدا أخرس أصم دمويّاً، فارتاح وسعد وأسعد سلطانه به، وأنزل البشر جميعهم عنده في منزلة البهائم، يحقُّ له ذبحهم متى ذكر اسم الله على رقابهم.

لو لم يمرض السّلطان لأيام، وينقطع عن جولاته، لما آل إلى ما آل إليه، فقد حُرم متعته بمرض السّلطان، ومرتْ عليه أيام دون دم مسفوك، وعيون جزعى، وفرائس مرتعدة، وحلوق مفصودة، وألسنة متدليّة خارج الأفواه، وفي ليلة شبه مقمرة استبدّت به رغبته، فلبس ملابسه على عجل، واستلّ سيفه الجائع، وطارد المجهول حتى أدركه، فذبح بسيفه أولاً وثانياً وخامساً وتاسعاً ممن وجد ليلتها في طريقه، إلى أن انتهتْ ثورة

قرم سيفه، فعاد إلى كوخه راضياً مرضياً، وركن إلى سيفه الحبيب ذي النّصل الأحمر يضمّه ويقبّله، وحُقّ له ذلك، أليس سيّاف السّلطان؟!

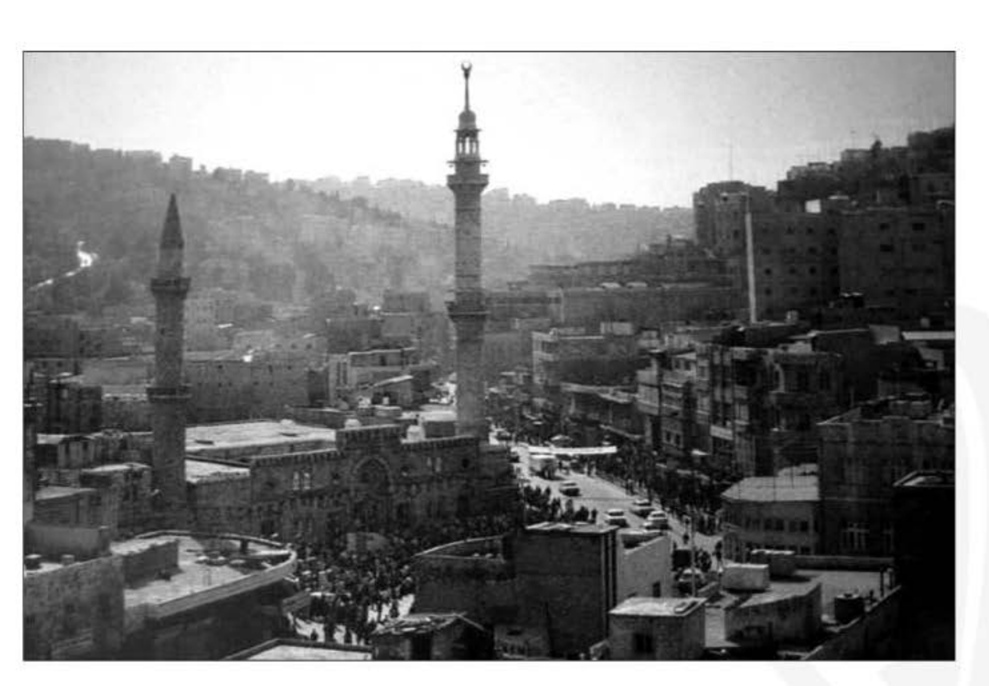
يحّدق طويلاً في وجه معلمه الأكبر المُسمى السّلطان، يرقب بتقزّز تلك الأجساد العفنة الخائفة دائماً على رقابها، فتفرّ من أمامه كالفئران، أو تتملّقه كبزّاقات قذرة خبيثة يطيب له أن تعلق في نعله.

يرثي لتلك الرّقاب التي تجهل جمال لحظة الانعتاق من الهموم والانفصال عن أجسادها إلى الأبد، والتمرّغ بتراب الحرّيّة، ونشوة الاضطراب والحركة. من جديد تجتاحه دورة الاشتهاء الشّبقة لسيفه ولممارسة هوايته الوحيدة به، تغريه رقبة السّلطان المثقلة بقلائد الجُمان والماس، والمترعة بحمرة الصّحة والرّفاهية ويخضور ماء الورد وفتات المسك، تتلبسّه قوة جبّارة تجعله يحجل بقيوده بيسر، ويفجّر أصفاده بقوة حركة زنديه المتباعدين عن بعضهما بقوة سعيه الهمجيّ إلى هدفه الدّمويّ، يستلّ سيفه الملقى على الأرض متهماً منبوذاً مثله، وبضربة نجلاء يقطع رأس السّلطان، فيتدحرج بين قدميه مودّعاً جسده المتخبّط بشدّة في دمائه، السّاجد لأوّل مرة عند أقدام العبيد والمتملّقين والمستضعفين والمنكودين والمظلومين.

يعلو المكان هرج ومرج، وتضجّ سعادة منتشية في جسد السّياف، ويسجد الجميع للسّلطان الجديد الذي برّ من مكانه، وظهر على العرش، فيما يسجد مسرور للسّيف الذي يعبد، ويغرق في ضحك هستيري محموم.

---

* أستاذة جامعية / مركز اللغات





قصص

جشع

عـمـار الجـنـيـدي *

الزوجة المتخمة بالترهل، لم توافق زوجها على ترك منصبه الوثير في المؤسسة. هددته بإصرارها على ترك إلحاح رغباته إذا نفّذ قلقه.

خاف أن يبوح لها بأن خسارته بالبورصة كلّفته منصبه وقرضاً من المؤسسة بعشرين ألف دينار.

لم يكن يهتم بحجم الخسارة بادئ الأمر، فمصاغ زوجته سيعوض خسارته.

استشار أحد أصدقائه في المسألة، فزيّن له الأمر، وشجّعه أن يتخذ قراره المصيري بعيداً عن إصرار الزوجة اللحوحة، وأن يغامر مثل عشرات الألوف من المضاربين والباحثين عن الأرباح بنسب خيالية.

- "حط راسك بين هالروس، وقول يا قطّاع الروس"..

ودّ لو يسألها عن حالها المضطرب منذ أيام، خمّن أنها أعراض ما بعد الخامسة والأربعين عند النساء، لكنها بدت له امرأة أخرى منذ أن ضرب الجميع طوفان البورصة.

كلمات صديقه ما زالت ترن في أذنه:

- ربحك خمسة وعشرين بالميّه .

- بدها قوّة قلب، بحسبة سنة بتكون مليونير .

دارت في نفسه الأحلام بالثروة. كان حريصاً أن لا يُعرِّف صديقه على أقربائه أو معارفه.

استحلفها بالله أن تبوح له بهمّها. وجدها فرصته فراح يخبرها بالتدريج عن خسارته. بكت وارتمت على كتفه. هدّأ من انفعالها. واسته بأن خسارتها ليست بأقل من خسارته. صاح بأعلى صوته:

- "راحوا الذهبات".

* قاص أردني





قصص

المرأة والمطر

كفى نصراوين*

لا شيء يؤلم إلا الألم الحقيقي، كأن تكون تتألم في موضع ما في جسدك كعينيك مثلا، لكن أن تكون ساقك مبتورة، فهذا شيءٌ آخر ومختلف وكبير، ولكنه في النهاية ألم .

ماذا يعتمر في الذهن؟ أفكار وفتات لا فائدة منها.... ربما، ولكنها أشياء يحشى بها العقل، وتُرى أحيانا أنها صغيرة.

- هذا آخر ما أستطيع فعله حتى.

ألقى بحقيبة رسائله على الطاولة الخشبية بقوة، كادت أن تتهادى لها أمام ناظر المرأة الساكن، لم تقل شيئا لأنه لم يكن يحدثها. «إنه متوتر فحسب» هجست بصمت، امتدت أناملها الرقيقة البيضاء نحو الحقيبة الجاثمة على الطاولة، كانت فوق قطعة قماشها حين ارتأت أن تطرزها، وثانية لم تقل شيئاً وتنهدت تنهيدة خافتة ترقرقت على ثنايا كفها الملساء على الحقيبة.

ـــ مرتا، هل تسمحين لي أن أسقي الخيل إذا كان هذا لا يزعجك؟

إنه لا يزعجها في مزرعتها الكبيرة كما اعتاد أن يفعل عابرو الطريق من معارف والدها.

- لا.

ارتفعت الهمسة بهدوء.

تأملها لوهلة، إنها دائمة السكون وتعمل بهدوء، أعجبه عملها في المزرعة بجهد نادر المثال، إنها تحب عملها كثيرا ولن تغيره أبداً.

تناهى لسمعه جلبة خيله في الخارج، نهض سريعا عن الكرسي متطلعا من النافذة المشرعة ليلمح صبيا أشقر يحذف الخيل بحصاه، صاح به:

- هيه فؤاد أيها الشقي، ماذا تفعل؟ سأخبر أمك.

قالت والدته أخيراً: توقف يا فؤاد.

ابتعد الطفل، وعاد الرجل للجلوس ثانية:

- إنه ولد شقي يا مرتا.

ابتسمت الأم وهي تتأمل ببراءة طفلها المشاغب:

- إنه كثير الحركة والشغب.

- ربما لأنه يعيش بدون أب.

تمتم لنفسه، أدارت مرتا رأسها بعيداً حتى لا تسمع، ولكنها سمعت بينها وبين نفسها. إنـه طفلها الوحيد وهمّها الكبير وشغلها الشاغل حتى لو أخفت الأمـر عن كل الناس. كانت فتية حين أنجبته، ولامها والدها على ذلك مع سنوات الحرب الأولى التي تغير كل شيء -كما يقول الجميع- لقد تغاضى والدها وتغاضت هي قبله عن الأمر وتركت مدينتها إلى بلدة قصية لتعيش فيها. لا يهمها في الحياة سوى صغيرها، حتى حين يسأل أسئلة طفولية مثلما يركض حبورا شقيا: أنا لا أب لي، أنا لا أب لي.

لقد وبخته المدرسة ونعتته ولامت والدته حين تهامس الجميع عليها، كل بحسب ما يعرف، ولكنها بـراءة الأطفال أحيانا. ابتسمت لها مرتا وأكملت عملها دون أن تبالي بترك طفلها مدرسته أحيانا.

- ماذا أحضر لك من المدينة يا مرتا؟؟

وسرعان ما عادت مرتا إلى عالمها.

- بـذور، إذا سمحت، وبعض شجيرات التفاح.

نظر إليها قليلا ونهض مودعـا، لم ترد تحيته حين كانت تسرح بخيالها في الماضي. كم كانت تحب التفاح وتتسلق أشجاره وتلعب طفلة مع الحب الطفولي بين الأغصان الغضة! يلتقيان شبابا في الشذا العطري وذكريات الحب الأول المجهولة. تتذكر أنامله وهي تتلمس حبة التفاح النضرة كأنها تتلمسها لأول مـرة - وابتسامته الرقيقة الحلوة وقضمتهما لها بلذة حقيقية.... كانت لحظات قليلة سرقاها حتى عودتهما وفراقهما، والآن الألم. فتحت عينيها على أرجاء الغرفة المعتمة وعادت للتنهد ببطء:

- أنا أتصرف كأرملة.....

استيقظت باكرا واتجهت نحو حقلها... غرست بذورها المنتظرة وبعض شجيرات التفاح. نظرت إليها كأنها تنتظر المطر الآن.

انتظرت طويلا ولم تسقط الأمطار.

- ماذا، هل سيتأخر الموسم؟

وبقيت تنتظر. اضطرت أن تبذر حبوبا مرة أخرى بعد أن ذبلت الأولى وانكمشت من الجفاف.... وانتظرت أياما وشهورا أخرى دون أن تسقط الأمطار.

- إنه الجفاف إذن.... هجست بريبة.... لكن يوجد مطر صناعي ويكون لحقلي فقط؟.....

تغضنت ملامحها الجامدة وتنهدت بوهن....

إننا في منتصف الشتاء الآن ولم تنزل الأمطار بعد، حتى ولو قطرة واحدة. لم يعد هناك حبوب.... تأملت شجيرات التفاح اليابسة الملقاة أمام البيت، تنهدت كعادتها حين تكون حائرة:

- سأزرع أشجار السرو إذن.

ومشت لتكمل شغلها.

---

* كاتبة من الأردن



قصص

امـرأة مـن هنــاك

د.لـــؤي خـلـيـل *

قيل لي إن الوفد قادم هذه المرة من الباكستان، وهذه فرصة من النادر أن تتكرر. أتممت عقد ربطة عنقي واتجهت سريعاً إلى الباب، بقي على وصول الوفد نصف ساعة، ويجب أن أكون دقيقاً.

***

منذ أن عملت في وزارة الثقافة وأنا لا أضيع أي فرصة في لقاء الوفود القادمة من الخارج، عربية وأجنبية، أصافحهم بحرارة وأستمع إلى أحاديثهم بلهفةِ طفلٍ يكتشف لعبةً جديدة؛ أراقب طريقتهم في الكلام، لَكْنَةَ لغتِهم، حركاتهم حين يمشون، وأحيانا أستفيد من ذلك في أعمالي الأدبية.

***

قدمني السيد معاون الوزير إليهم:

- الأستاذ غسان رئيس تحرير المجلة الناطقة باسم الوزارة، وكاتب روائي بطيء جداً!

هزوا رؤوسهم إلى الأسفل كنايةً عن التقدير، ثم تابع المعاون تقديم بقية الأعضاء.. وفي أثناء انشغال الوفدين بتبادل الابتسامات والتراحيب كانت عيناي تمسحان الوجوه بتؤدة.. الوفد يتألف من خمسة رجال وثلاث سيدات، أطوالهم متقاربة، وملامحهم متشابهة، يحاولون جاهدين أن يظهروا لنا احترامهم الشديد وفرحهم. وحدها تلك السيدة القابعة في الخلف ابتسامتها مسكونة بالحزن. امرأة في أواخر عقدها الخامس، ما تزال تحتفظ برشاقة القوام وبريق العينين، ملامحها ليست باكستانية تماماً، في وجهها براءةُ طفلٍ وحزنُ كهلٍ وجمالٌ يدل على شباب فاتن.. ذهب الوفد إلى قاعة الاجتماعات، ولم تتحرك السيدة من مكانها، استأذنت السيد المعاون ووعدته باللحاق به.. اقتربت من السيدة وألقيت ابتسامتي مع تحية صباحية، فاستقبلتني بودٍّ عميقٍ أخجلني مني، سألتها



أن تمنحني بعضاً من وقتها فلم تمانع.. تحدثَتْ السيدةُ بصوت رقيقٍ شفافٍ يخرج متمهلاً مع حركة شفتيها البطيئتين بغير كسل، أدهشتني لغتها العربية، فهمت من حديثها أنها مهتمة بترجمة الأدب العربي، فشاركتها الاهتمام، تلمَّسْتُ في جَرْسِ لغتها صوتَ ناي عذبٍ يسيل في سماء خريفية صافية.. وحين فَرِغت محدثتي من احتساء القهوة التي دعوتها إليها في مكتبي قالت بلغةٍ عربيةٍ ملحونةٍ جميلة:

- هَل حقاً تُريد حواراً عن ترجمة؟

قلت وقد شعرت أنني مكشوف أمامها:

- بصراحة..لا !

حدثتها عن هوايتي في معرفة الناس، لم أُخفِ عنها شيئاً، حدثتها عن نظراتي إليها وعن حزنها الذي أحسسته.. وعندما كانت لغتي لا تصل إليها كنت أستخدم الإنكليزية وسيطةً بيننا، ولكنني أصررت على العربية؛ لأنني أحببت موسيقى الأحرف من فمها. سألتها عن حزنها فلم تجب، حدثتها عن نفسي، لا أدري ما الذي دفعني إلى البوح بتفاصيل حياتي أمامها.. في عينيها حنان أمي، وفي ابتسامتها دفء زوجتي التي فقدتها.

- أنا فلسطيني مقيم في دمشق.

اهتزَّتْ ضيفتي أمام هذه الجملة وبرقت في عينيها قطراتٌ حزينة تُمسكها أن تقع، قالت بعد صمت:

- عشتَ في فلسطين؟

- عندما كنتُ صغيراً.

شعرتُ في عينيها شيئاً من الخوف، والأسى، والدفء.. سألتني بحرارة:

- هل تتذكر شيئاً عن هناك؟

أجبتها وقد بدأ الحزن يتسلل إلي:

- لم يبق في ذاكرتي إلا شجرة الزيتون الكبيرة التي كنت ألعب عليها، وأبي الذي عَرَفْنا، فيما بعد، أنهم قتلوه هناك بجانبها.

الآن فقط لم تستطع محدثتي أن تصمد فأجهشت بالبكاء.. بكاؤها عميق حتى



العظم..حاولت أن أمسح الدموع عن وجنتيها فسمعتُ صوتها المخنوق:

- أنا من هنـاك.. أمي وأبي وأخي كانوا هنـاك !!

لم أدر مـاذا تعني بهذه الـ (هنـاك) ولكنني من غير ما قصد شاركتها البكاء الذي صار نحيباً !! لم أبك هكذا منذ زمن.. لقد ظننت لعهدٍ طويل أنني نسيت البكاء كما نسيه غيري !

***

في اليـوم التـالي دعتنـا السـفـارة إلى العشاء، فوصلتُ متأخراً هذه المرة.. دلَّتني الموظفة إلى الصالة السينمائية حيث يشاهد المـدعـُوُّون عرضـاً عـن نتائج الحـرب على أفغانستان وتأثيرها في القبائل المجاورة للحدود الباكستانية.. دخلت الصالة على مـهـل.. رأيتـهـا تجلس وحـيـدةً في الصف الأخير..جلستُ بقربها فابتسمَتْ وأخـذَتْ يدي بين كفيها وتابعت مشاهدة العرض. كان الفيلم مليئاً بالدمار والجثث وجموع الأطفال المرمية في العراء بلا طعام أو مأوى.. وكلما كانت المشاهد تـزداد قسوةً كانت جارتي تضغط علي يدي بكفَّيها.. أحسست بقطرات دافئة تداعب يدي فانتبهتُ إليها تبكي.. قالت بصوت هامس تخنقه غصة:

- أنا من هنـاك !

لا أدري إن كانت هذه الـ (هنـاك) تشبه تلك الـ (هنـاك) التي قالتها بالأمس، ولكن المشهد نفسه أخذ يتكرر ؛ امرأة ورجل يجلسان وحيدين يجهشان بالبكاء. ومع نهاية الفيلم خرجنا مسرعين كي لا يرانا أحد.. مشينا والصمت ظلُّنا، كلٌّ في دربه، وكأن أياً منا لا يريد أن ينظر في عيني صاحبه.

***

في الصباح رأيتها تقف بانتظاري أمـام مبنى الوزارة..كيف علمت بوقت وصولي !! استسلمت إليها ورافقتها إلى مطعم مجاور.. جلسنا متقابلين مبتسمين.. انتبهت مرافقتي

إلى الخاتم في يدي اليسرى فسألتني:

- أنت متزوج؟

- نعم.. ولكن زوجتي توفيت !

ساد صمت شفيف قبل أن أندفع في حديث شخصي عن زوجتي:

- كانت طالبةً في كلية الحقوق في لبنان.. تتمنى أن تصل إلى السنة الرابعة لتنتقل إلى دمشق بقربي.. ولكن الرصاص لم يمهلها وقتاً للأمل !

- أي رصاص؟

- رصاص الإسرائيلي الذي اجتاح لبنان !

حدثتها عن جنوب لبنان.. عن بيروت التي اغتُصبت.. عن القتل على الهوية.. أحنت محدثتي رأسها ثم نظرت إلي بعينين حمراوين مغرورقتين، ولكن من غير بكاء، وهَمَسَتْ:

- أنا من هناك !

لم تدهشني جملتها تلك فقد كنت أتوقعها ! حاولت أن أسألها عن هذه الـ (هناك) ولكنني تراجعت في اللحظة الأخيرة، كما كان يحصل معي في كل مرة ؛ إذ يبدو لي السؤال سخيفاً !

المشهد هذه المرة كان مختلفاً رجل وامرأة يجلسان بصمت.. في وجهيهما أسىً، وفي عينيهما فيضٌ من غضب.. ولم يكن هناك بكاء..كان شيئاً أكبر من البكاء !

***

ذكَّرني مندوب الوزارة أن ألحق به إلى المطار لتوديع الوفد..كيف نسيتُ موعد سفرهم؟ كيف نسيتُ موعد فراقها !؟ هرعت مسرعاً لأراها.. انتبهت أنني حتى الآن لا أعرف اسمها.. ! وصلتُ المطار قبل أن يتجه الوفد إلى الطائرة.. كان كل الوفد موجوداً إلا هي.. جلستُ منتظراً وصولها، فوجئت بالوفد يهم بالمغادرة، فتدخلت سريعاً:

- ألن تنتظروا السيدة؟!

رد المسؤول عن الوفد:

- أي سيدة !

- السيدة التي جاءت مع الوفد !!

- ولكن الوفد فيه سيدتان فقط، وهاهما معنا.

تدخل مندوب الوزارة و أمسكني من معصمي وانتحى بي جانباً..

- مابك ! ماذا جرى لك ! عن أي سيدة تتكلم؟

سألته عن السيدة الأخرى التي كانت مع الوفد ووصفتها له.. أصرَّ أن الوفد يتألف من خمسة رجال وسيدتين فقط، فأُسقِط في يدي،وطار الضيوف وبقيت ثابتاً في مكاني !

***

سألت عنها مكتب الاستقبال في الفندق فلم يعرفها أحد.. سألت (أبو أحمد) عن القهوة التي قدمها لنا في المكتب، فقال إنني كنت وحيداً، وقد ظن الفنجان الآخر لزائرٍ أرتقبه.. ذهبت إلى السفارة فأنكروا رؤيتها.. قصدت المطعم فلم يتذكروا شيئاً.. لم أدر ماذا أفعل !! أين ذهبت تلك التي من هناك !؟ لم أنته من كلامي معها بعد !! هناك أماكن أخرى لم أحدثها عنها.. هناك الشيشان وكوسوفو والعراق.. أعرف أنها ستقول إنها من هناك.. أعرف ذلك تماما.. وأنا لم أعد مهتماً بهذا الـ (هناك) الذي تقصده.. المهم أن تأتي.. المهم أن تسمع.. المهم ألّا أبكي وحيداً.

---

* أستاذ جامعي/ ج. دمشق



ابن الليل



حسن الحلبي *

اعْتَدْتُ أَنْ أَكُونَ وَفِيًّا لِلشَّمس..

اعْتَدْتُ أَنْ أَسْكُنَ الانتظارَ كنَرْجَسَةٍ عَطْشَى لِلنُّور.. وَأَنْ أَرْقُبَ الوَقْتَ يَزْحَفُ كَثُعْبَانِ الأَنَاكُونْدَا فِي حُلْكَةِ الظَّلاَم..

اعْتَدْتُ أَنْ أَتَأَمَّلَهَا مُحْتَسِياً الإِعْجَاب، لأَبْدَأَ فِي نَشْبِ قَلَمِي بِعُنُقِ الأَوْرَاق كَفَهْدٍ جَائِع، وَاصِفاً لَهَا وَلاتِّخاذِهَا الجَّحِيمَ قُدْوَةً فِي اشْتِعَالِهَا..

كَانَ هَذا الشُّعُورُ مُنْسَكِباً كَالعِطْرِ فِي عُرُوقِي قَبْلَ هَذِهِ اللَّيْلَة..

قَبْلَ أَنْ يَنْتَهِكَ الوَحْيُ مَسَامَاتِي وَيُخْبِرَنِي أَنَّ حَبِيبَتِي تُرِيدُ مِنِّي طُوفاناً عَلَى هَيْئَةِ قَصِيدَة..

قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَنِي صَوْتُهَا مُعِيثاً رَبِيعاً مِنَ المَلاحِم الوَرْدِيَّة..

كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ أَنَّها وَقَعَتْ فِي شَبَكَةِ صَيْدِ القَمَرِ وَغَرَامِه.. وَأَنَّها تَرَاهُ نَقْشاً لاَ يُمْحى مِنْ عَبَاءَةِ السَّمَاء..

أَصَابَتْنِي العَدْوَى..

حَدَّقْتُ فِي تِلْكَ المَاسَةِ الفِضِّيَّة..

حَمْلَقْتُ فِي تِلْكَ الجَوْهَرَةِ النَّاصِعَة..

غِبْتُ فِي عَالَمٍ مِنَ الخُلْجَانِ المَفْقُودَة..

خُيِّلَ لي لِوَهْلَةٍ أَنَّنِي أَلْمَحُ وَجْهَ لُؤْلُؤَتِي الزَّرْقَاءَ مِنْ بَيْنِ سُطُورِه..

فَأَحْبَبْتُه..

ضِعْتُ فِي سِوَارٍ مِنَ النُّجُوم الَّتِي غَلَّفَتْ حُدُودَه.. كُلُّ نَجْمَةٍ تَتَغَزَّلُ فِي جَارَتِهَا.. تَنَاغُمٌ يُثِيرُ الذُّهُول.. لآلِئٌ مُتَنَاثِرَةٌ كَطَاقَمٍ احْتِرَافِيٍّ فِي مَسْرَحٍ عَالَمِيّ.. خَوَاتم فِي فُسْتَانٍ دَامِسٍ كَطَلاَسِمِ

سَاحِرٍ مَغْرِبيّ.. تَمَائِم لامِعَة كَسَقْفِ قَاعَةِ حَفَلاَت..
أَحْبَبْتُه..
هَالَتُهُ تَطُوفُ حَوْلَهُ كَشَالَةٍ بَيْضَاءَ تَلُفُّ مُومْيَاءَ مِصْرِيَّة.. امْتِزَاجُ الأَبْيَضِ بِالأَسْوَدِ في عَتْمِ اللَّيْلِ يُعْطِي السَّنَا البَهِيجِ رَوْنَقاً خَالِصاً.. دائِرَةٌ مِنَ الفِضَّةِ تَمُدُّ شُعَاعَاتِهَا كَوَشْمِ عَجُوزٍ غَجَرِيَّة.. الكَمَالُ؛ في عُلْبَةِ أَلْوَانٍ مِثْلُ وَجْهِهَا..
اعْتَدْنَا أَنْ نُشَبِّهَ الفَاتِنَاتِ بِالقَمَرِ وَأَنَا أَرَى العَكْس.. طُغْيَانُ جَمَالِهَا يَفُوقُ كُلَّ تَشْبِيه.. هِيَ سَبَبُ النُّورِ وَمَنْ تُعْطِينِي شُعُورَ اللَّحْظَة.. هِيَ مُلْهِمَةُ القَمَرِ الأُوْلَى لَوْ أَرَدْتَ مَعْرِفَةَ الحَقِيقَة.. هِيَ نَاسِفَةُ العُزْلَةِ وَأُسْطُورَةِ الأُرْجُوَانِ وَوَشْمُ التَّمَيُّزِ مَعَ مَرْتَبَةِ الشَّرَف..
هِيَ قَمَرِي.. هِيَ مَنْ يُشْبِهُهَا قَمَرِي بِفَيْرُوزِهَا وَعَسَلِهَا وَرَحِيقِها وَغَدِيرِهَا وَعَبِيرِهَا وَسُطْوَتِها وَضِيائِهَا.. هِيَ الَّتِي لأَجْلِهَا تَخْضَرُّ الكُثْبَانُ وَيَنْبُتُ القَحْطُ وَيَحْلُو الشِّعْرُ وَتُزْهِرُ القَصَائِد وَتُغَنِّي التِّيجَان..
هِيَ الَّتِي رَسَمَتْنِي كَالحِنَّاءِ في يَدَيْهَا.. وَنَقَشَتْنِي مِسَلَّةً فِرْعُونِيَّةً في غُرَفِ صَدْرِهَا الحَنُونَة.. وَوَضَعَتْنِي في مَأْزِقِ حُبِّهَا مَلِكاً عَلَى الأَطْلاَل.. إِمْبَرَاطُوراً لِلمَاضِي وَالحَاضِرِ وَالمُسْتَقْبَل..
هِيَ.. طَامِسَةُ التَّعَب..
هِيَ.. مَنْ جَعَلَتْنِي أَمِيراً لِقشَعْرِيرَةِ المِيلاَد..
خَالِقَةُ الأَدْغَالِ في قَلْبِ الجَدْب.. رُوحُ الجَمَالِ دُونَ حِجَاب.. تِلْمِيذَةُ المَلاَئِكَةِ وَسَيِّدَةُ الكَوَاكِبِ وَالمَجَرَّات.. نَزِيلَةُ أَوْصَالِي وَظِلاَلِي وَوَاقِعِي وَخَيَالِي.. وَطَنِي المُنْتَظَر الأَزَلِيُّ الأَبَدِيّ.. مَنْفَايَ الأَخِير.. اعْتِذَارِي لِسَاعَاتِي قَبْلَهَا.. أَفْكَارِي وَحِصَارِي..
هِيَ.. سَبَبُ عِشْقِي لِلْقَمَر!
عَفْواً.. أَعْتَذِر..
القَمَرُ..
.. سَبَبُ عِشْقِهِ لَهَا!

---

* كاتب من الأردن

مـــن أقوالهم

أرخت عمان جدائلها فوق الكتفين فاهتزّ المجد وقبّلها بين العينين
بارك يا مجد منازلها والأحبابا وازرع بالورد مداخلها باباً بابا

حيدر محمود



السلَّم

سونا بدير*

العصا

جلس الملك سليمان على عرشه حاملا عصاه بعد أن أعطى أوامره للعمال، عمل العمال باجتهاد، سقطت عصا الملك، عمت الفوضى، قرر أحد الحكماء أن يحمل أحدهم العصا بدل سليمان، لم يستطع أي من الأحياء حمل العصا كما حملها سليمان، فاتفقوا أن يربطو العصا بيد الملك، ففعلوا وعادوا للعمل مرة أخرى.

بقر

يعرض التلفاز إعلانا للجبنة، الأبقار في المراعي و مظاهر الرفاهية تحيط بها، تتسع أعين المشاهدين، يغتاظ الأب، تقول الفتاة ذات الربيع الخامس: أتمنى أن أكون بقرة، يكظم الأب غيظه ويقول: وخلقنا الإنسان.. يقاطعه المعلن قائلا: الدنمارك تدلل أبقارها، تتابع الفتاة: أتمنى أن أكون بقرة فقد قالت المعلمة إن البقرة تعطينا الحليب والجبن و ال...، تُضرب الفتاة ويُكسر التلفاز و يُلعَن الكفار وتُلعَن بلادهم.

قهوة

سمع امرؤ القيس خبر مقتل أبيه في المذياع، فاستشاط غضبا ولكنه قرر التريث قائلا: اليوم سكر وغدا أمر، غرق امرؤ القيس بشرب القهوة منتظرا اختفاء نجوم الليل وطلوع الشمس ليأخذ بثأره، واستمر على حالته تلك مئات الأعوام وكلما شرب كأسا من القهوة كان يقول:

فيالك من ليل كأن نجومه
بكل مغار الفتل شدت بيذبل

الصعود إلى الأسفل

تسابقنا في صعود السلم، أخذ كل ممن سبقوني مسمارا من السلم لمنع غير المؤهلين من الوصول، شعرت بغباء من سبقني فلم أفعل مثلهم، يزداد السلم تهلهلا كلما صعدت إلى الأعلى، وصلت القمة، وتأكدت من غباء من سبقني، فأحرقت السلم.

---

* طالبة جامعية /ك. الآداب



هلوسات

عـامـر الـشـقـيري *

(١)

ليل ومطر، ورصيف مبلل يتهجى طفولته في نعال الغائبين.. لم يبق منهم أحد، حتى أنتِ لم يبق منك إلاّي، فلماذا لا نلتقي صدفةً في حديقة.. في ليل.. في منفى، أنتِ تعبرين القصيدة وأنا أتبعكِ.

(٢)

قالت سأرسمك، وأتجاهل شظايا الحروب في ملامحك.. تناولت ريشتها وراحت تخطُّ لوحتها ببطء

تفقّدت اللوحة جيداً، رأيت الشرفة المملة تحتضن أعقاب سجائري بدفء.. رأيت فنجان قهوتي يناجي عصفوراً حطّ على حبل الغسيل، لكني لم أراني بل رأيت مساحةً بيضاء تتوسط اللوحة.. وحين سألتها عني، قالت: أنا الآن أتقنتك جيداً!!

(٣)

أصدر الجنرال أمره بأن يعدموه شنقاً، وأصـدر مختار القرية أمـره أن يعدموه رمياً بالرصاص، في حين رأى مجموعة من المهتمين أن يصلبوه على مـرأى الجميع. احتدم الخلاف ومرّت أعـوام مات بعدها البطل عجوزاً إثر نوبة قلبية!

في المشهد الثاني.. صمتٌ وخنوع، وجنازةٌ متواضعة شارك فيها المخرج والمصورون. كانت الإضاءة خافتة، وكان الجمهور يصفّق بشدّة!!

(٤)

بيتٌ مظلم، هدوء ووحدة، ومذياعٌ أنيق يخيّم عليه الصمت. كانت دقّات الساعة الكبيرة تثقب هدوء المكان ببطء، وتبثُّ فيه الحياة، أما هي فظلّت واقفة تتمعن الصور وكأنها تراها للمرة الأولى، أربع صور مختلفة ترقد على جدار كبير لا تتشابه إلا في إطارها الأسود! تردّدت كثيراً قبل أن تحمل صورتها الوحيدة وتعلّقها؛ لتصبح الخامسة!

(٥)

سألت الجلاّد يوماً
كم هي المسافة بين قصيدتي والنهار؟
فأجابني،
مشنقتين، وثلاثة أمتار.

(٦)

خذي عينيّ... علميني كيف البكاء، خذي ذاكرتي... علّميني كيف النسيان، خذي أصابعي... تلمّسي عريّ لحظتي، خذي عمري، وأجيبيني لماذا كلما نويت الرحيل وحزمت حقائبي عدت من منتصف الطريق ناسياً وجهي!؟

أجيبيني الآن، أو غادريني أيتها المرايا!!

(٧)

إذا لابد أنك اقتنعت، من الضروري أن تكون قد اقتنعت. لست مريضا يا سيدي، ولست بحاجه لأن أبقى في مستشفى الأمراض النفسية، صدّقني يا سيدي، لم أعتد في يوم على أحد. أنا إنسان بسيط مسالم همه يومه. لا أفكر في الغد، وأنسى الماضي بمجرّد أن أضع رأسي على الوسادة. لن يفيدكم وجودي هنا، فلماذا لماذا لا تجيبني؟ انطق ولو كلمة واحدة أو كفّ عن تحريك شفاهك هكذا فهي تغيظني جداً. حسناً سأخبرك بماذا تفكر الآن، لا بدّ أنك تفكّر بالشيء الذي أحمله في جيبي، هو مسدّس يا سيدي، نعم الشيء الذي يخيفكم جميعا، سأستخدمه للمرة الوحيدة في حياتي. لم أحشه كاملاً، هما رصاصتان لا بدّ أن نتقاسمهما سويّةً. خذ هذه لك وهذه لي، وصوّب الأخرى باتجاه رأسه.

هكذا كانت أقوال عامل النظافة عن المريض الجديد الذي انتحر البارحة، الذي لم يستطع أحد إيقافه عندما كان يصرخ مصوِّباً مسدسه باتجاه المرآة.

(٨)

ست ساعات مضت لم يغيّر فيها مكانه. وحيداً، كان ينفث دخان سيجارته ببطء و يرمق الدرج الطويل الممتد أمامه، ما الذي يجبر عجوزاً في سنّه على الجلوس في مكان كهذا؟ كلّ يلوّح للآخر، لا أحد يأبه له، ولا أحد يحاوره، كان يغرق في فوضى من التلويحات وينظر باتجاهٍ واحد؛ اتجاه الدرج!

مضى عام، ولم أعرف ما الذي ينتظره العجوز في كل يوم يأتي فيه إلى هنا، كما لم أعرف ما الذي يجبرني أن أذهب في كل يوم .. إلى المطار.

(٩)

المطر..
سيمفونيّةٌ حزينة.. يعزفها الشجر..
المطر..
حلم الأرض بالحياة.. بغدها المنتظر..
المطر..
لغة صعبة.. لا يتقنها البشر.

(١٠)

لأنك أبي، ولأني ابنك التائه، ابحث عن وقع فأسٍ قديم سقط منا سهواً في ذاكرة الأرض، وانبش عن طفولتنا المنسية.. ارسمها من جديد.. وزمّلها بالطين والزيتون.. هي الأرض يا أبت، لهجتنا البسيطة، وانتفاضتنا الأولى..

لن أسألك الآن ..
عن دمعة مالحة تسكبها على قميصي كلما ابتعدت عنك
فأنا أذرفها الآن.

* طالب جامعي/ ك. التمريض



على وميض نارها

سناء أبو غليون *

تداعب خيوط الحرارة المنبعثة من المدفأة إهابه الغض، وتتراقص قدماه على وسادة خلقة انتعاشا بأسراب الدفء الذي تخلل في أوصالها، في حين كانت عيناه ترمقان السقف تارة وتدوران في محجريهما تغافلان النعاس تارة أخرى. وفي لحظة تراءت له صورة والدته العجوز وقد أشعلت فتيلة القنديل بعدما ملأتها بالوقود، ثم جعلت تشوي الكستناء اللذيذة التي كان كلفا بها منذ صغره على مدفأة زاهت مدفأته هذه في جذوة نارها، بينما كان يجلس قربها يميس فرحا وحبورا، مصفقا بيديه مع كل حبة كستناء يلتقطها، حاولت تلك الصورة أن تخترق حدود صمته، تغتصب حرية تفكيره ليجد نفسه أمام حمل ثقيل راح ينأى به كاهله.

هبَّ ناهضا من دون وعي، أتراها ستغفر له خطيئته؟ هل ستشفع له عبرته عندها بعدما تركها وليس معها ما يسد خلتها؟ أم أنها ستصر على أن تغرمه إرث جنايته؟ بات ليلته يختلس الرقاد كمن يتقلب على جمر الغضا، لا أرب له سوى أن يصلح هذا الرأب العنيف في الصدع ويحتفظ بحبل المودة لديه موصولا في شعبة ذات قرار مكين...

هذيان الأمومة

كانت تسير مرتجفة ، تقدم رجلا وتؤخر أخرى، تمشي مشية الظالع في طريقها، تلتمس بريق أمل لإعادة المياه لمجاريها من جديد،وتحمل في نفسها من اليقين ما يجُبّ خطايا الماضي بمرارته المميتة.

أقبلت على مدخل المستشفى بقلبها قبل أن تستقبله بجسدها، نجحت أخيرا في خنق ضميرها القاسي الذي ما برح يناكف ويطارد في وجه الرحمة الملقاة على قارعة الماضي المنصرم، واستجابت لحدسها البريء بأن تجلو من جديد تلك الصفحة التي دنستها يد القسوة الجلدة في وجه الزمن.



ولجت المستشفى، وأسرعت نحو البوابة الداخلية في خطى بائسة طاوية في طريقها عرصات المستشفى الواسعة لعلها تخفي تلك الريبة التي وجدت في قلبها مكانا عليا.

وفي لحظة هائجة عنّ لها ذلك الشريط الأسود من ماضيها العتيق، كيف أذنت لذاتها بكل هذا العصيان المجرم؟ كيف أباحت لنفسها هذا العقوق الموحش وأضرمت جذوة الهروب من ذلك الواقع المتواضع إلى تلك البيئة الزائفة؟ هل ستحتفي بمقدمها إليها؟ أم أن عينيها ستعشوان عن بذرة الأمل التي زرعتها بأناملها منذ سنين؟

دخلت غرفتها...فرمقتها بلواحظ يغمرها الضياع، وعبرات يلقيها الندم وقلب يتفطر كمداً...اقتربت منها وأنفاسها ثكلى مضرجة بالحزن في لحظة لو طلبت فيها روحها لمنحتها بلا تردد، قربت يدها إليها وقبلتها، ولكن سرعان ما سقطت تلك اليد على السرير مغلفة ببرودة حادة...

شقت جدار صمتها العليل بصرخة«أمي» التي دوت لها أرجاء المستشفى، ووقعت أرضا يحويها ذاك الحضن الذي حوى أمها منذ قليل...

* طالبة جامعية/ ك. الآداب



حكـايات

غــديــر شـــريم *

جميلةٌ هـي.. رائعة.. لطيفة..هي وردةٌ. هي المطر.. هي الحياة. وهي القدر. تنادينا، فلا يسمعها أحد. بعضهم لا يعرف كيف يعيشها.. وبعضهم لم يحاول. أما بالنسبة لي فأعيشها كإنسان.. أسترشد عقلي ليُسيّرني إلى حدائق الحياة الوردية.. فأستنشق رائحة الزهور قبل أن أراهـا.. أتمسّك بأغصان الشجر وأتـأرجـح، لأقفـز في حضن وردةٍ مخمليّة. بيضاء، وقد لعب بها البنفسجي قليلاً.. تُطعِمني من عسلها.. فأتذوق طعم الحياة الحلو..

وأخرج منها بعد أن لمحت فراشة تركض في فضاء الدنيا..

فأركض وراءهـا لأمسك بهـا.. أداعبها فتهرب مني لألحقهـا.. وبعد أن هزَمَنا التعب، أراهـا تقترب منـي.. لتجلس على كتفي وتُوَشوِشُني حكاياتٍ صغيرة.. صوتها حنون، وكأنه صوت أمي عندما كانت تعزف ألحـانهـا لأنــام.. ومـا إن بـدأتُ أغـرق في النوم.. حتى شعرتُ بنسمات جناحيها وهي ترفرف لتحلّق ثانيةً حتى ألحقها.. وإذ بها تذهب لتنادي صديقاتها الأخريات. يأتين ليرسمن ابتسامة الزهور على شفتي.. وتبدأ أصوات ضحكاتنا ترقص في السماء لتُعلِم الكون بفرحنا.. فتتجمع النجوم لتضيء لنا الفضاء بعد أن ذهبَت الشمس لتأخذ قيلولة صغيرة..

الدنيـا مضـاءة بنـور النـجـوم.. ومزينة بأجمل المخلوقات.. فماذا عساي أن أفعل سوى الإمساك بأجنحة الفراشات ليأخذنني في رحلةٍ مع المطر فأجلس على قطرةٍ من المطر.. وأجـول السماء.. أتمسك بخيوط القمر اللؤلؤية وأتـزلـج على حبال المطر، فأشعر ببرد الشتاء يتدفق في عروقي لأزداد دفئاً

وأتـنـفـس حـر الـصـيـف لأشـعـر بـذوبـان جسدي من الداخل.. فتأتي الورود لترشقني بقطراتها الندية..فأستعيد الشعور بالحياة..



وبعد أن يرحل الخريف وقد نثر قطع الأوراق المتيبسة على الأرض.. يعود الشتاء لأركب على قطرة جديدة من المطر.. فتبدأ الشمس بإعطائها طاقةً هائلة لتصبح ذرات مشتتة لا تقوى على حملي.. فأسقط بين ثنايا وردة أخرى....

وتأتي الفراشة لتأخذني إلى عالمٍ أجمل...

هكذا هي الدنيا.. حكايات جميلة.. بعضها يُخبّئ بين صفحاته شيئاً من القبح حتى لا نمل السعادة.. فالسعادة طريق طويلة وليست لحظات عابرة نعيشها متى نريد.

فليس هنالك شوكة تخلو من الجمال ولو في لونها.. وليس هنالك وردة تخلو من الشوك ولو كان ناعماً.. فماذا لو لم يلدغك عقرب..؟ أو لم تلسعك أفعى..وأنت جالسٌ تتنفس الهواء العذب ؟ هل ستصدق أن لدغة العقرب مؤلمة أو أن لسعة الأفعى مفحمة ؟ وهل ستشعر بطعم الحياة الحلو لو لم تتذوّق مُرّها....؟

---

* طالبة جامعية/ معهد العمل الاجتماعي







دة. رفقة دودين *

الأدب الجديد:
بين الاتّباع والإبداع

عندما تصفحت مواد هذا العدد بغرض تقديم قراءة نقدية لها، عقدت العزم على الابتعاد قدر الإمكان عن إطلاق الحكم بالقيمة على هذه الأعمال أو التعاطي مع مكوناتها بالاستناد إلى معيار جدارة جمالية يرتبط بميزة فكرية أو مضمونية تجد هوى في نفس الباحث، وتكون معيار المفاضلة، ولكن حجم هذه الأعمال، وتنوعها، وتجنيسها: شعراً ونثراً واشتمالها على أعمال إبداعية لأدباء قد سجلوا حضوراً في ساحة الابداع، وتجربة استحقت الالتفات، ووجدت صداها في عديد أعمال نقدية، ما جعلني أحزم أمري بالنظر في كل تجربة على حدة، وأن ألجأ إلى حكم القيمة أحياناً بسبب من سطوة الشرط الموضوعي لملف إبداعي ينشر مجلة أقلام جديدة، وترغب هيئة تحريرها أن تحتفي بهذه التجارب بإطلالة نقدية مناسبة.

ومهما يكن من أمر، فإنَّ ما أود قوله للجيل الشبابي الذي يشق طريقه في الإبداع أن يبتعد عن الكتابة بالإتباع، وأن يتخلص من سطوة النموذج وأبوّته، وبالطبع بعد أن يطلع ويطالع هذا المنجز، ليشق لنفسه طريقاً ثالثاً، يجلي تجربته كما هي في سياقاتها الحادثة، وكما هو الإبداع حين يصير جزءاً من التجربة المعيشة، بل ويبجّل اللحظة المعيشة، ويحتفي بكل ما هو مقصي، ومغمور، ومهمّش، ولا يهمل بالطبع أسئلة الوجود والمصائر، وإذا أراد المبدع أن يكتب في سياق ثقافي كما في بعض نماذج هذا المحور، فعليه أن يتسلح أي بوعي إعادة الإنتاج لما أنتج بوعي اللحظة الراهنة المحايثة، وبمقصدية البحث عن جماليات جديدة تضيف إلى المنجز: اختلافاً ومغايرة، وليس فقط أن تشكل نموذجاً مجاوراً بإضافات كمية لا نوعية تتراكم فقط.

كما أن على جيل المبدعين الشباب: أن يقرأوا كثيراً، وأن يحتفوا بالكلمة المكتوبة لتستوي تجاربهم ولا تظل أسيرة الغنائية والذاتية المنغلقة، فثمة تجارب جميلة، تفصح عن مواهب أصيلة تستحق الاحتفاء، وثمة تجارب لمبدعين.

محور الإبداع القصصي

"ضحية سور" لسميّة البدارين

تنجح الكاتبة في رسم شخصية البطل المترددة المنكسرة من الداخل مدينة بهذا التقدير الدقيق لدواخلها التي تنعكس على أدائها في المجتمع ترسيمات الذكورة والأنوثة، وتراتبات المجتمع الأبوي التي تستلب الذات الفردية، وتذيبها في ذات جمعية يتمّ تمثلها عبر منظومة القيم والأخلاق الأبوية التي ترسّم الأدوار في المجتمع، وتراتب السلطات كذلك، فالشاب الجامعي النازف من عينيه ألم، والحزين حدَّ الخراب في باص الجامعة لا يقوى على المطالبة بحقه في باقي الأجرة، وهو متردد، وخائف، ومقموع، تنتقي له أمه ملابسه التي يمقتها عادة دون أن تتيح له فرصة الاختيار، كما أنه يصطدم دائماً بجدار عتيق أسماه سوراً ويقصد به والده المفترض أن يكون له الملاذ الآمن، ولكنه يصير مع الوقت سبب التأزيم، ومصدر الإحباط، ولما يصبح الشاب طالباً في الجامعة تهزمه فتاة دون أن تتعمد ذلك عندما اقترب من مقعد كانت قد حجزته لنفسها، والأهم أن البطل أحمد يتشظى في النهاية، ومن تشظيه هذا يطلع له شبحه الذي يشبه القرين في الموروث الإنساني ليساجله في ضعفه وفشله، وضرورة أن يتجاوز كل المحبطات، وأن يتجاوز حتى نموذج الأب الطاغي بشخصيته، وحضوره، كما لو كان سوراً يمنع عنه الضوء والحياة، ويقعده عاجزاً يلوك فشله، ولتكون النهاية بتصميم أحمد على تجاوز عثراته، ومحبطاته، وعن مشيه بحماس نحو أسوار الجامعة التي لا تتراءى له حواجز كما هو الحال مع والده الذي كان ضحيته.

وهنا فإنّ هذه القصة التي تؤشر إلى ضرورة أن يتجاوز وعي الأبناء وعي ومنجز آبائهم إلى منجز جديد يبنونه بخبراتهم وجهدهم وعرقهم، بالتمرد على رمزية، وتراتبات الأبوية المفرطة في ترسيماتها، وعنف إخضاعها، والخروج من حالة العجز والاستلاب إلى حالة جديدة من الوعي الإيجابي، وبضرورة التغيير قد تمثل في قصة سمية البدارين بالجامعة، رغم أنها مسوّرة إلا أن أسوارها تختلف عن ذلك السور الذي تمثله البطل رائياً فيه صورة الأب صاحب السلطة.

"المصير" لإياد نصار

يبدو أن القلق والخوف من المستقبل، وطرح أسئلة الوجود الخالدة يشكل هاجساً في أدب الشباب، وتختلط هذه الهواجس حين تصبح فرصة الحياة برمتها أسيرة لعنة الحرب، ومرتهنة لتغييراتها على الأرض، ولأجواء الخوف، والرعب، وترقب الموت التي تمليها الحرب في مدينة مكتظة، ومزدحمة بناسها، تتمركز مصائر بني البشر في حالة الحرب والتدمير التي لا تبقي ولا تذر، كما تعاين قدرة الإنسان، وهو يواجه الموت المحتوم على الصمود والبقاء على قيد الحياة والأمل، خاصة إذا كان وحيداً في مدينة استهدفتها الحرب، وحولتها إلى ميدان معارك، ما يعتقده من امتلاكه لإرادة حرة، يصبح مثار شك، وأحياناً مثار تندر من هول المأساة، وهول النهاية العبثية الحزينة التي تنهار المقاومة أمامها.

في قصة إياد نصار هذه، سيجد الناظر أن الراوي المتوهم قد أمسك بكل تلابيب بطله الخائف في غرفة، في عمارة، في مدينة تُهاجم بالطائرات والقنابل، كما أنه أخلص تماماً في التعبير عن نوازع ومشاعر وأحاسيس هذا البطل، ابتداءاً من رفضه الخروج والهرب مع من هربوا من المدينة، وانتهاءاً بهربه الفردي في أول حافلة تغادر المدينة بعد إذ هدأت إحدى المعارك مروراً بمحاولاته تأمين وجوده في الغرفة المنعزلة بإغلاق النوافذ والثقوب، وإغلاق الباب ولكن الفتحات المحتملة في الغرفة، رغم فلسفة قبول الموت والقدر وكل معطيات تقبل المأساة التي وجد نفسه فيها من مثل: هنا طاب الموت، ونقائض هذه المقولة التي ترى أنّ الهروب يكره ثلثي المراجل، ووصولاً إلى استحضار، رجال في الشمس، وهم رجال غسان كنفاني الذين تكدسوا في الخزان تحت لهيب الصحراء الحارقة ساعين وراء أمل كبير بالخلاص، فالكاتب في هذه القصة لم يختف خلف شخصيته وبطله، بل أن حضوره في القص كان ساطعاً، على أن تدخله في سرد مسيرة بطله كان واضحاً، ومثال ذلك من القصة قوله: القضية معقّدة أكثر مما يظن، لكن خوفه من المجهول يزداد وتتصاعد وتيرته، وهذا يعني في سياق مشابه أنّ الكاتب يمتلك رؤية واضحة من الواقع الذي يرصده بممارسة نصيّة مهما اختفى وراء شخصياته مدعياً الحياد يبقى في النهاية يمسك بالخيوط كلها في يده، فيصنع المواقف، ويحرك الأحداث والشخوص، ولكنه يعرف النهاية سلفاً.

والكاتب يروم هنا إلى تشكيل شخصيات جوهرية ومحددة بالمعنى الواقعي ، من هنا يلتمس المتلقي تبريراً لهروب الشخصية الرئيسية في القصة، وهي شخصية البطل حامد من وطأة المواجهة، والمعركة الدامية عند الساعة الثامنة، حيث تغادر الحافلة المدينة المدماة.

"مسرور المجنون" لسناء الشعلان

تنضم قصة سناء الشعلان إلى ركب الكتابة بسياق ثقافي في قصّتها: مسرور المجنون

مستلة شخصية الجلاد مسرور من سياقها التاريخي، محملة برمزية مفيدة من تعالي هذه الشخصية التي عشقت سلطة ونفوذ السيف البتّار، واحترفت شهوة الدماء إلى درجة الشبق وكأنَّ الكاتبة ومن خلال المحاكمة العادلة التي يتلقاها مسرور في التوِّ واللحظة بعد أن مرض سلطانه وتخلى عنه، تريد القصة أن تترافع عنه، وأن تجعله ضحية لمولاه الذي وضع السيف في يديه أول مرة والكاتبة في هذه القصة تناور بالعلاقة التي أخضع بها مسرور، وأخضع بها ضحاياه بوصفه قد استمد سلطاته الدموية هذه من سيده ومولاه الذي سيصبح في المحصلة ضحية هو الآخر لشبق سيف مسرور، واهتياجه وشهوة الدم الراعف من عنقه المثقل بالجمان والماس، ليصبح هذا السياف سيّاف السلطان الجديد، ويغرق في مهماته الدموية هذه في توال يتكرر، ويعيد إنتاج مقولاته، وأطروحاته بشكل دائب ومكرور كنموذج للإخضاع والتسلط.

الكاتبة تعد "مسرور" بطلاً ورمزاً للتسلط الأمكنة والأزمنة إلى مستوى فعل التدوين والكتابة مفيدة من حمولات وإرث هذا الرمز السلطوي، وتحليه في الذاكرة الجمعية بمركزية مضمرة في الحمى المجتمعي بهدف اختراقه، وإدانته، وإدانة دوره وتجلياته، وتمثلاته، وقبوله للتوظيف الرمزي في سياقات ثقافية جديدة.

والواقع أن هذه القصة قد أجادت توظيف هذا الرمز التراثي في صورة السيّاف مسرور الذي تحول بين ليلة وضحاها من حام لحمى السلطان، وأداة في يده إلى مجرم يستحق العقاب حين وصل إلى ضحيته الأخيرةً، وتحول من حام لها إلى قاتل ومجرم سفاح، وهي بذلك تحول هذه الشخصية إلى قناع تدين بوساطته كل أشّكال القوة الغانمة، وكل تمظهراتها في العنف والتعنيف، معلية من شأن العدالة، والقيم الإنسانية الخالدة التي لا تجوّز الظلم، ولا التعدي ولا القهر.

"المرأة والمطر" لكفى نصراوين

ثمة إرباك في حدود وتفاصيل الأحداث في قصة: كفى نصراوين "المرأة والمطر" وأيضاً فثمة تدخل مباشر من الراوي المتوهم في أحداث القصة، إذ يبدأ التنظير بقوله: لا شيء يؤلم إلا الألم الحقيقي، كأن تكون تتألم في موضع ما من جسدك وبعد ذلك يخبرنا بوجود امرأة اسمها مرتا تعيش في مزرعة كبيرة تربي الخيول، وثمة شخصية بلا اسم تلقي بحقيبة رسائل على طاولة خشبية أمام البطلة مرتا، وفوق قطعة قماش ارتأت أن تطرزها، يظل هذا الرجل في القصة رجلاً وبطلاً معمّى إلى أن ينهض عن الكرسي عارضاً عليها سقاية الخيل، ويسألها مرتا عما تحتاج من المدينة، فتطلب بذوراً، وبعض أشجار التفاح، ولعلها تقصد بذلكَ أشتال التفاحَ لعلاقة قديمة حميمة كانت تربطها بهذا الرجل مخلفة الألم والفراق دون مبرر، إلى الدرجة التي باتت تعرف كأرملة وفقها، منتظرة المطر، ولكن بلا جدوى، فقد حلَّ

الجفاف، ولم يعد المجال ممكناً إلا لزراعة أشجار السرو. في القصة جدة، وأفكار جميلة، ولكنها مُرَبَكة، ولا حدود فاصلة بين أحداثها وشخوصها كما أنها ابتدأت بتنظير عن الألم، وما يعتمل في الذهن دون أن يسند هذا التنظير إلى أي من شخوص القصة.

"أنصاف الرجال" لسمير الشريف

يترافع الكاتب سمير الشريف بلسان بطله ضد الحرب، وضد الغزاة الذين امتهنوا البلاد والعباد، وضد الخطاب المضلل الذي توعدهم بالويل والثبور، ولم يفعل شيئاً حينما حانت ساعة اللقاء، وقد خدع غير مرة، وراهن ساذجاً عندما أمسك شاربه معلناً أنه لن يتوانى عن قص نصفه، ورميه في حاوية القمامة إذا ما حدثت معركة، وهو بهذا الترافع عن خذلان الأمة، وبأس المصير، يروم إلى الوصول إلى وعي متحرر من الزيف، ومن هيمنة الخطاب المضلل، وقوفاً أمام الحقيقة العارية التي لا بدَّ في المحصلة أن تقود إلى رؤية معرفية مفيدة من كل مدركات قضايا الأمة، والمجتمع العربي بمنظور يقوم على ضرورة بروز الإرادة، إرادة الاقتدار من خضم التأزيم والانكسار، ومن خلال تضاد التناقضات وتزاحمها، ليكون الألم في المحصلة كما في سياقات مشابهة تمثيلاً للإرادة القوية وتأكيداً لضرورة التجاوز، بل والتفوق فالنص رغم هجائيته العالية يحاول أن يستبطن وعي الذات، ووعي الآخر رغم اغتراب البطل عن واقعه المضّ هذا، قابلاً بأن يكون نصف رجل فقط.

"الوسام" لحسام الرشيد

تنبني على مفارقة لافتة قصة حسام الرشيد "الوسام" فالموظف الجاد الغارق إلى أذنيه في عمله، والمنضبط في حضوره وانصرافه، يحظى برضا مراجعي المصلحة، وعلاقته مع زملائه متميزة ينال وسام الموظف المجتهد، وهو في هذا المشهد يشغل قدْراً سردياً يدل على أهميته، ومحوريته كما في سياقات أخرى فهو الشخصية التي تدور حولها كل أحداث القصة، يعود لكي يحتل المشهد المضاد تماماً، وليشغل من جديد قدْراً سردياً يدل على محوريته، وأهمية حضوره، لتتجلى المفارقة التي أنبنى النص بالاستناد إليها، فعندما حمل وسامه وعاد إلى موظفيه كأنّه طاووس، مزهو بريشة الملون، تتبدى الصورة النقيض، فهو لا يحضر للعمل إلا متأخراً، ويعامل المراجعين معاملة فجة، ويقضي جلَّ وقته بين شرب القهوة وقراءة الأبراج، ودائماً يثير الفتنة النائمة بين موظفيه، وفي المحصلة انهالوا عليه بالضرب، والتعنيف في تصوير غير مألوف للتراتب الوظيفي في العمل، وهو تراتب هرمي تتراتب فيه السلطات كذلك بتنظيم لا يتيح للموظفين الصغار أن ينهالوا على أحد رؤسائهم بالضرب والشتم، وبما

يؤشر إلى أن القصة ومشهديها الأهم تحتمل أن تكون حلماً لموظف يصحو متقاعساً من نومه اللذيذ، يمتطي ذنب الريح، حاملاً على صدره وساماً لا يراه أحد سواه.

وهنا فإن النص يخاتل الحقيقة النصيّة المفترضة، ويدفع باتجاه مراوغتها وتعويمها، ما يعمق إشكالية معرفة الحقيقة بإدعاء كل طرف من أطراف المعادلة في هذه المصلحة أنّه يمتلكها، فتضيع فرصة التوصل إلى رؤية مشتركة أو موقف مطمئن، فالمدير أشبع الموظف مدحاً وإطراء، واستحق استناداً إلى هذا المعطى الوسام، في حين أن الموظفين رأوا أنه وسام الموظف المهمل بدلاً من وسام الموظف المجتهد، وكأن كل طرف يعرف ما لا يعرفه الآخرون ما يغلّب المصلحة الخاصة بعيداً عن مصلحة الجماعة، وما يؤدي في المحصلة إلى حالة من زئبقية الأفكار، والحقائق تجد تجلياتها في تراتبات السلطة، وما تفرز من تناقضات وإملاءات تضيّع الحقيقة أو تحييزها أو تزيفها في حمأة هذا التدافع ما يجعل الوسام في المحصلة بلا قيمة، يتدلى على صدر البطل في حين لا يراه أحد سواه، مكرساً هذا النص إشكالية علاقة الموظف الوسيط برؤسائه، وعلاقته بمرؤوسيه، فقد يكون ساعياً لإرضاء رئيسه على حساب علاقاته وأدائه مع موظفيه، ما يجعل فكرة التثمين برمتها، تثمين العمل والأداء محل شك ومدار إشكال.

"ورد يبكي" لبسام الطعان

يبدو أن حسّ الفجيعة ينسرب في ثنايا الإبداع الشبابي بطريقة لافتة، وكأن المبدع يرى في الفجائع والأزمات كوّة لتعبير لافت، ولعواطف جياشة تغلف الرؤية المعرفية التي يفترض أن يلم بها المتلقي للنصوص الإبداعية، تبدأ بارتفاع صدى الصيحات في شارع البلدة الذي هزه خبر مقتل عريس في ليلة عرسه، بسكين انغرزت بغرور في أقصى الصدر، في حين أن العروس قد اختفت هي الأخرى، وكي يحشد السارد بالضمير الحميمي ضمير الأنا التعاطف مع هذا العريس، يقدم لنا معلومات تبعث على التعاطف معه كونه يتيم الأبوين، وقد غرق في لجة الشقاء وأخته الوحيدة حتى استطاع جمع تكاليف زواجه.

وبالطبع فإن النص يتساءل من القتلة وعن الذنب الذي قتل من أجله العريس دون أن يقدم إجابة لهذه التساؤلات، ولتظل الإشارة إلى غياب العروس عن المشهد هي الموحية بأسباب القتل، ربما؟ حيث يقول السارد بضمير الأنا: أما عروسك يا صاحبي فهي غائبة في المجهول، وربما هي الآن تسأل عنك وتقول: أريد عريسي.

في النص تنويع على مشاهد السرد الفجائعي، تمثل في صحوة العريس الميت وهو على الأكتاف محمولاً إلى قبره، تمثل بسؤال العريس صديقه عن أخته وعروسه، وإجابته عن هذا السؤال، ولكن النص يعود ليلتفت إلى استحالة مثل هذه الصحوة بسقوط النظرات المستغربة على البطل، وبصدور حكم قاطع من الجمهور المشيع يقول: اتركوه يفعل ما يريد.

على أن هذه القصة تجتر في الواقع حكاية كثيراً ما وجدت صداها وتمثلاتها في القصص الشعبي وفي الدراما المكرورة دون أن تقنع المتلقي باختلافها عن مثل هذه المتون، فالقتل تمّ لهذا العريس، ولم يبرر كفاية في النص، والبكاء الدامي بما احتمل من هجائية لمثل هذه الأوضاع التي تؤثر إلى تأزيمات وتناقضات المجتمعات الأبوية، وعليه فقد احتاج هذا النص إلى تجويد حبكته، ورص معماره الفني في حين أنه عوّل على نشيد الفاجعة، ومشهدية القتل والدفن مرتكناً إلى ذلك.

ثمة تعبيرات فائضة في هذا النص عن حاجته ومنها: تدخل السارد في النص املاءً لحالة الفقد، وتكريساً لها، وبتعبيرات لم تكن متوقعة أحياناً ومثالها من النص: تركت أختك الوحيدة لمن تركتها يا مسكين؟ ها هي تفترش التراب، تلعقه... تنتف شعرها نتفاً عجيباً.

"جشع" لعمار الجنيدي

تتناول هذه القصة تدميرات ما تسمى بقضايا البورصة، حيث يخاف الرجل الذي كلّفته خسارته بالبورصة منصبه وقرضاً بعشرين ألف دينار أن يبوح لزوجته بتركه لمنصبه الوثير في المؤسسة، من منطلق مقولة شعبية إذعانية تقول: حط راسك بين هالروس، وقول يا قطّاع الروس.. اندفاعاً وراء الربح السريع، وأحلام الثروة ولتكون مفارقة هذه القصة قد انبنت على خسارته، وخسارة زوجته لمصاغها بعد أن اندفعت هي الأخرى وراء أحلام الربح السريع، وقد ضرب طوفان البورصة الجميع دون استثناء.

فالفكرة التي استندت إليها أحداث هذه القصة مستلة من الواقع، وهي من تدميرات قضية البورصة التي راح ضحيتها الكثيرون في مجتمعنا الأردني، ولكن اللافت فيها جشع كل من الزوج والزوجة، وجريهما وراء سراب الربح والثراء السريع، وكل واحد منهما بمعزل عن الآخر، إلى أن يتساويا معه، ولكن في الخسارة وليس في الربح، ولكن النص مع ذلك يشي بإدانة المرأة أكثر من إدانته للزوج شريكها، وقد ابتدأ النص بها متخمة بالترهل لدرجة أن خمّن زوجها أن ما يصيبها من حال مضطرب هو: بسبب ما بعد الخامسة والأربعين من العمر، وهنا فإنّ النص يتمثل الرؤية المعرفية المنمطة عن المرأة وعن مقولات سن اليأس التي ترتبط بهوية المرأة الجسدية، ودورها الإنجابي.

"على وميض نارها" لسناء أبو غليون

يؤثر نصّ سناء أبو غليون المعنون: "على وميض نارها" وهو نص مسرود بضمير الغائب وهو الأعم، والأهم في جملة الميراث السردي، أن السارد قد نجح في إقامة منطقة فصل عازلة بينه وبين شخوصه، فلا يخاتل النص بالسيرة الذاتية، ولا يختلط بمساحاتها، ففي

المقطع السردي الأول تصور الساردة المتوهمة شخصية بطلها الجالس إلى موقد النار، وقد باشرت أمه بشيٍّ حبّات الكستناء الشهية التي يستلّ طعمها من الذاكرة التي تبحث في اللحظة والتوّ عن روابطها الحميمة مع الأم، ومع كل معانيها، فهو الذي ارتكب خطيئة هجرها، وتركها وحيدة، وهي التي تغفر له في كل مرة بوصفها أماً لا تحقد، ولا تقسو، ليظل هذا البطل مشغولاً بالصيغة التي يتسجدي بها غفران أمه وعفوها.

وفي النص الثاني المعنون: بهذيان أمومة، تقلب البطلة هي الأخرى ظهر مجن العقوق لوالدتها، وهي الآن أمام امتحان الضمير القاسي في جلاء تلك الصفحة التي أنستها يد القسوة كما تقول الساردة المتوهمة، ما يميز هذه النصوص تلك الصور الجميلة التي وصفت بها الساردة صحوة ضمير كل من الابن والابنة في معاينة قسوتهما على الأم فكرة وموضوعاً وذوات، ولكن على الجيل أن يقرأ كثيراً في اللغة لتستقيم تعبيراته واستعاراته ومجازاته، مثال ذلك من هذا النص: لا أرب له سوى أن يصلح هذا الرأب في الصدع، فالصدع والرأب في هذا المقطع لا يؤديان الدلالة المطلوبة في الإحالة الأدبية فالأصل: أن يحاول رأب الصدع.. بشكل عام.

فكأن هذا الجيل من المبدعين لا يقرأ كثيراً.

محور الإبداع الشعري

التجارب الشعرية المقدمة للنشر في هذا العدد يتوزعها الشعر العمودي، وقصيدة النثر، ويبدو أن غواية الشعر العمودي ما زالت تجذب الكثير من الكتاب والناظمين، رغم محدداتها والتزامها ببحر شعري واحد في كل قصيدة، وكذلك التزامها القوافي التي تنظم الإيقاع الداخلي للقصيدة.

"عام آخر" لأسامة غاوجي

ثمة استلهام لموروث الشعر العربي وثمة اتكاء على مزج الخاص بالعام في تجربة كتابة الذات، وتكريس معاناتها، وأسئلتها الوجودية وامتحاناتها أمام تجربة الألم التي وجد الإنسان ذاته فيها، ملتحفاً بليلٍ ثقيل بالظنون دنا فأنذر، مفيداً شاعر هذه القصيدة من إمكانات المفردة اللغوية الجزلة، وقدرتها على الانزياح في التعبير نحو المزيد من الدلالات القابلة في كل مرة لتأويل جديد يضيف إلى هذه التجارب، ويغنيها، فهناك الإصباح والإمساء والاصطبار، والوصل، وكل هذه المفردات توظف في النص الجديد بحمولتها التراثية وبورودها في ميراث الشعر العربي مدفوعة إلى حالة من الحضور.

"ويخلد منطقنا" لحسن بسام

قصيدة حسن بسام، "ويخلد منطقنا" ما يدل، ويؤشر إلى ما نذهب إليه، رغم أن عنوان القصيدة يجسم خيار الشاعر في كونه حراً في اختيار منطقه حتى لو أحس بدفء الأمطار، ورأى لون الجوّ، وحتى لو افترش القلة أرضاً وسماءاً، فالذات الشاعرة تحسم المسألة قائلة: مجنون يخلق منطقه، ويكمل رسم قصيدته.

"مهمة الطير" لهاني عبد الجواد

تحاول أن تستلهم أطروحة الحرية متمثلة في طيران الطائر بلا حدود ولا سقوف، فهو أفضل من اغتنم الزمان في التحرر، وفي الطيران، وصولاً إلى الحرية، ووصولاً إلى الحبيبة، ولعل هذه القصيدة في فكرتها وتخييلها ورشاقة تعبيراتها من أجمل قصائد هذا المحور، وفيها الكثير من التفصيلات الحميمة، المتعلقة بطقوس احتساء القهوة، وأسرار شربها خلف الشمس، وما آل إليه الحال حين طوق العنق وهو بلا تخصيص بالحبال، ومن قبل شخص بعيد كلما مرّ حديث الشمس وكلما انحكى عن الشمس مد يديه بالجبال، ما أدى إلى أن يعتزل الشاعر في صورة ذاته الشاعرة مهمة الطيران، وقد كان طيراً فاعتزل مهمته، وهنا فهو يعبر بهذا الإذعان عن القيمة الخالدة للحرية.

اللافت في هذه القصائد التي تنحو منحى قصيدة النثر المتحررة كثيراً من أية مهيمنات مسبقة والمتدفقة نحو آفاق تعبيرية لا تحدها حدود، وجود معجم يطرق الذائقة، بل ويكاد يصدمها بتعبيرات فجّه أحياناً، وانزياحات عن الدلالة المعجمية للدال قد لا تجد تبريراً مقنعاً لها، حيث أن الذائقة الأدبية التي تشكل وعينا، ومديات وحدود تلقينا قد تحبط حين تجد الأمل ملقى في خزانة الأحذية، والأماني البعيدة كشحمة الأذن. إن على كل جيل أن يصوغ تجربته، وأن الحكم المعياري بالقيمة قد يجافي الحق والفضيلة ويصادر التجربة ، ومن مثل هذه التعبيرات: الشيطان المازح بعكاز معقوف وقوله: وأنا العامر بخرابي، المعتم كقبر، خلف جرح مضيء كشجرة برتقال.

"الليل يتصرف كمجنون" لمحمد عريقات

إن قصيدة عريقات قصيدة متقدمة، وتؤشر إلى موهبة أصيلة، وإمكانات لغوية هائلة، تنم عن عمق اطلاع الشاعر، واستواء ذائقته الشعرية وخاصة حين يقول: البلادة تتخطى الفاجعة، والصبر بدعة مكتوفة للخراب،.. قَلِق كرقّاص الساعة، وكبرميل فارغ تدفق بالوحشة فهذا الشاعر يبشر بالكثير، والجميل من الشعر في قابل الايام.

"باسمي وباسمك.. باسم الجنوب" لعلاء أبو عواد

تمتلئ القصيدة، بالتيه، تيه العمر، وتيه الذكريات والبعد، والنأي، والتحديق في الليل، ويبدو أنها كتبت على عجل، حيث يجيء تكثيف بعض الجمل، واختصارها كما لو كانت برقيات كقوله: تعالي، فإني معي قد بدأت الخصام.. وأي النجوم تكونين أنت، وأي النجوم أكون أنا... الخ

ورغم طول القصيدة إلا أن مستويات تعبيراتها قد ظلت في تناغم، ويغلب عليها التشويش في الفكرة، وفي التعبير مع بعض الفلتات الإبداعية الجميلة، كعفونة القهر، وتزييف الحقائق، والعدو باتجاه جميع الجهات، وكذلك في قوله مُديناً الحروب: وليست جميع الحروب سواء، فالحروب التي تخلف المجازر والمذابح كما في قانا حروب تفتقر إلى المسوغ الأخلاقي بأكثر مما تطيق الصور، ولتنتهي القصيدة باستلهام بيت أبي القاسم: إذا الشعب يوماً أراد الحياة، فلا بد أن يستجيب القدر، مُعيداً إنتاج هذا البيت، وإنتاج دلالته إذا ما المحبوب أراد الحياة، فإنّ إرادته كالقدر.

فالانهمام واحد في بقية القصائد، العتمة، والصمت، والهواجس، والمرض، مرض الموت إلى الدرجة التي لا يمكن أن يؤطر فيها الصمت ليعبر عن موقف، فهو يكتمل كما لو كان حالة تتلبس كل الأشياء، وكأنّ من ينطقون اللغة يعضّون على الكلام، لتخرج الأحرف مسعورة تتفتت، وليستعصي الصمت على التأطير في كلام أو في تتابع نقطتين.

"على هامش الصمت" لمحمد دحيات

الواقع أن هذه القصائد تؤشر إلى عمق المأزق الذي يمرّ به الجيل، وهو لا يجد فرصة للتصالح مع الذات أو للعشق، ولعل لاغتراب هذا الشعر واغتراب شعرائه مبررات تجد تربتها في إيقاع الحياة اللاهث الذي لا يتيح فرصة لالتقاط الأنفاس، ويجعل الصمت حظوة محسن.

"خواتم ملغومة بالبكاء" لعبد المجيد التركي

يعود بنا الكاتب إلى آفاق النص الشعري المنحدر عن موروث غزلي صار بمثابة النموذج المتعالي السائد، والمرأة المعشوقة في هذه القصيدة تقيد الحبيب بالخلاخيل وهي امرأة ليس تحوي المعاجم أوصافها، وبالشاعر رغبة في الموت على يدها أو حتى على رجلها، ويتجاوز الشاعر في هذه القصيدة هذا الموروث الغزلي المتعالي إلى أفق جديد.

وقصيدة عبد المجيد التركي تنمّ من تجربة شعرية ناضجة، كما تؤشر إلى نظرة معمقة وثاقبة في تصوير المشاعر الإنسانية وانحيازها نحو تثمين الذات، والحب، وكل القيم الخالدة النبيلة، والحكم التي صاغتها التجربة الإنسانية ألماً وفرحاً، ومن جديد يلجأ، ويعاود شعراء هذا المحور نظم الشعر وفق عمود الشعر العربي، بإيقاعه وقوافيه وانتظامه.

"مفترق التنادي" لرضا بورابعة

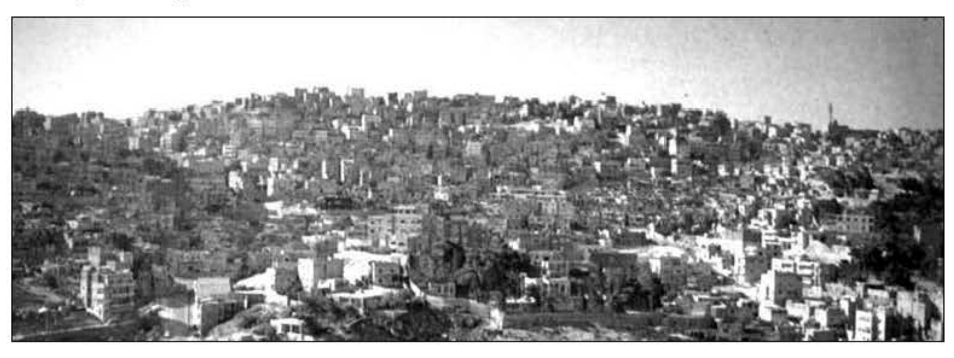
يستثمر الكاتب موروث الشعر العربي وزناً وموسيقى وثيمات، وتمهيداً للألم، والحزن المعاناة التي تتجلى في الغنائيات التي تمجد الذات، وتألمها، وتيهها في المنافي والدروب الضائعة وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أن عمود الشعر العربي التقليدي لا يتيح للشاعر مغادرة أفق الكلمات الرهينة والجزلة التي تنسج على منوال القصائد العربية القديمة، ما قد يشكل قيوداً على حرية، وخيارات الشاعر في انتقاد مفرداته، والتدفق بها نحو آفاق تعبيرية جديدة لا تحدها حدود وسقوف القوافي، والإيقاع الشعري الداخلي المتراتب.

"هواكِ ومأساتي" لعصام عبد الحميد عمرو

أطلب منه أن يتحرر من مسألة محاكاة قصيد الغزل الموروث توصيفاتٍ وإحساسات وتعبيرات، كما أنَّ البدء بجملة: هواك صار معروفاً، وحدت العاشق الباكيَ لا يعدُّ بدءاً جميلاً، فالشاعر يخالف المألوف عندما يعلن أن هوى محبوبته قد صار معروفاً، وعلى رؤوس الأشهاد، هذا بالإضافة إلى تقليدية العبارات كقول عصام: حرقتِ قلب هاويك فيا حسناء رحماك... كما أن على عصام أن يقرأ كثيراً في الشعر والإبداع، ليدرب ذائقته، ويضيف إلى مفرداته وتعبيراته ما يخرجها من أفق التقليدية إلى أفق المعاصرة والتجربة التي تبجل اللحظة المعيشة وتحتفي بها.

---

* أديبة وناقدة من الأردن





هكذا أكتب الرواية

نبيل سليمان*

قبل الكتابة:

(السفر - الطبيعة - الآخر - القراءة)

في عودتي من زيارة قصيرة لبيروت مطلع عام ١٩٧٢، أجبرني هطل الثلج على المبيت في دمشق. ثم جعل سفري إلى حلب يستغرق النهار التالي ويجبرني على المبيت. وفي النهار الثالث أضاءت الشمس الثلج، ولعله هو الذي أضاءها، فتمكنت من الوصول إلى مقامي آنئذٍ في مدينة الرقة، على ضفة نهر الفرات.

في لحظة ما من ذلك النهار المتقد بياضاً، صعقتني الغبطة كما تصعق الكهرباء، والثلج يسطع في روحي من بحر بيروت إلى نهر الفرات، وسطعت فيّ تلك الرواية التي سيصير اسمها (ثلج الصيف)، فتكشفت العتمة التي كانت تطبق عليّ كلما فكرت بالكتابة عن هزيمة ١٩٦٧: سفر يقطعه الثلج، عراء المسافرين والمسافرات في وضح الثلج، عراؤنا في وضح الهزيمة.

لولا السفر والطبيعة إذن لما كانت رواية (ثلج الصيف)، ليس فقط لأنهما (قدحا الفكرة)، بل لأنهما شكلا بشرها وأحداثها ولعبتها. ولئن كانا يناديان العلمي والميثولوجيّ من تلك الخلية إلى عام ١٩٧٢، حين نبقت (ثلح الصيف) وكُتبت، فنداؤهما سيظل يشكّل ما يشكّل مما كتبت، كما لعلي سأبين. أما الآن، فسأعود إلى ما قبل شتاء (ثلج الصيف) بشتاء، قضيت ما قضيت من لياليه مصغياً لهدير الفرات ولذكريات الصديق نبيه خوري (مهندس زراعي) عن سنوات سجنه السياسي زمن الوحدة السورية المصرية (١٩٥٨-١٩٦١) والجمهورية العربية المتحدة التي لم تفارقني فتنتها حتى اليوم.

في ليلة من تلك الليالي مارت أعماقي: نبيه خوري رواية، اكتبْه. وكانت تلك شرارة رواية (السجن). ولولا (الآخر) إذن ما كانت.

بعد ذلك بسنوات تعرفت إلى الشاعرة

البلجيكية إيفون ستيرك في دمشق. ومعها ومع الشاعر والناقد والصديق وفيق خنسة عدت إلى بيتي في حلب، وقضينا يوماً أو يومين. أين الذاكرة؟ ـ فكانت لي أوراق مما قصت إيفون من سيرتها.

هذه الأوراق ستظل تنتظر سنوات حتى تعرفني المصادفة على باسمة ـ نسخت الذاكرة كنيتها ـ المترملة للتو، وهي تحضن طفلها قيس. ومن مطار دمشق ترافقنا إلى مطار تونس، حيث نزلا، وتابعت إلى الدار البيضاء، أزوّق اللقاء بهما بعد أسبوعين في تونس. لكن باسمة اختفت، ولم يجدني البحث عنها بعون من الصديق الكاتب يحيي يخلف، فانطويت على خيبة العشق الذي طوح بمنديل حدادها من الطائرة، وظللت أنطوي حتى نبقت إيفون ستيرك من أوراقها، واشتبكت مع ما قصت عليّ باسمة من قصتها، فكانت تلك الرواية (القصيرة أو القصة الطويلة؟) التي ستتسمى (قيس يبكي). ولولا السفر والآخر إذاً ما كانت.

الآخر، الطبيعة، ودوماً السفر، ومنذ طفولتي وأنا أترحّل داخل سوريا حتى بلغت السادسة والعشرين، فكانت رحلتي الأولى خارج سورية إلى القاهرة. أما لبنان، فالسوري يعد السفر إليه سفراً داخل سورية ـ كاللبناني حين يمضي إليها ـ وهو ما عرفته منذ اليفاعة.

منذ الطفولة ألفت أن أغمض عيني أو أسرح نظري، كلما ترحلت، مثلما أفعل قبيل النوم أو في الخلوات حتى اليوم: ألاعب أخيولات وأحلام يقظة، ستتعلق غالباً بالكتابة منذ أدمنتها. إلا أني لم أجرؤ على أن أكتب من سفري إلى خارج سوريا سوى أقل القليل، حتى عام ٢٠٠٢، عندما عدت إلى أوراق تتعلق برحلتي إلى إسبانيا عام ١٩٩٣. ولولا ذلك لما كانت روايتي (في غيابها) ، على الرغم من فعل السيري ـ بغير الرحلة ـ فيها.

على نحو مختلف، وربما: حاسم، جاء السيري المعجون بالتخييل بروايتي الأولى (ينداح الطوفان) ، وسيجيء بروايات (المسلّة) و(هزائم مبكرة) و(مجاز العشق): شرارة من سنوات القرية (البودي) ، فشرارة من سنوات الخدمة الإلزامية في الجيش، فشرارة من سنوات الدراسة الثانوية وتكوين المراهق جنسياً وثقافياً وسياسياً، فشرارة من العشق على كبر ومن التجريب في كتابة رواية مختلفة: هل بلغ بي حقاً فجور النرجسية أن عولت على السيري كل هذا التعويل!

أما رباعية (مدارات الشرق) فلولا القراءة ما كانت، تماماً كما أنها ما كانت لتكون لولا أني بلغت الأربعين متفجراً بأسئلة الانهيارات التي تطوحني من مكتبي إلى أقاصي الكون، كأن نهاية القرن العشرين هي بدايته، سوى أنها أكبر مسخرة. ومن القراءة والأسئلة إذن (قدحت) فكرة الرواية.

غير أن الأمر ليس فقط طقوس الحمل (الفكرة الأولى أو الفكرة الكبرى)، وليس الأمر ـ الطقس بهذا الوضوح ولا بهذه البساطة. فقد يبدأ الحمل من حوصان (لقاح) مبهم بهمة الأسئلة والأجوبة التي ظلت تتفجر سبع سنوات من العمل على رواية (مدارات الشرق) جزءاً فجزءاً. وقد يكون العكس، فيكون الجلاء منذ البداية، فيشتبك العشق والجسد بحرب المياه القادمة -لا ريب فيها- بالتخم بين قرن وقرن وألفية وألفية، كما كان مع رواية (مجاز العشق) .

لعل الأهم هو أن الفكرة الأولى أو الكبرى لا تفتأ تتحول وتتشظى. وقد تنقضها الكتابة جزئياً أو كلياً، مثلما قد تجلو البهمة ما يمور في النفوس، أو قد تزيد المجلو بهمة والواضح غموضاً. وقد يبدو أن الشرارة انطفأت، والقدحة تبددت، مثلما كان لروايتيّ (قيس يبكي) و(في غيابها). ولئن كان ذلك، فقد يتقد كل شيء بعد سنة أو بعد عشر، ويتجدد اللقاح والحمل. فإذا أطبق وسواس الرواية الخناس عليّ أنا الإنسيّ، حتى يتلبسني الجني، ابتدأ طقس الولادة بالهجس والأرق ليل نهار، وراحت شخصية أو أكثر تتلامح في هيئة إنسي يبحث عن تكوينه، وتبدأ مشاهد تخاتل أو تباغت باكتمالها قبل أن ينكتب منها حرف، وربما تملؤني علاقات محاورات بين هذا وتلك وهذه وذاك وهؤلاء وأولئك، ويتقمص من أعرف بمن لا أعرف، فلا تكون من منجاة إلا أن يبدأ العمل.

بعلامة الصمت والعزلة، بات من أعاشر عن قرب، يقدر قبلي أن مشروع رواية قد ابتدأ. وقد يطول ذلك قبل أن أكتب حرفاً، سوى تخطيطات لا تفتأ تتمزق وتنكتب. أما العمل فيغدو بخاصة قراءة تتغيّا المشروع.

بالتوازي مع القراءة، جريت من أجل (مدارات الشرق) خلف مسنّين مسنّات، وطفقت أتقرى دمشق القديمة، وتعرفت من جديد على اللاذقية، حيث أقيم منذ ربع قرن، وتركت للذاكرة وللمخيلة أن تشكلا من جديد ما عرفت من حلب والرقة ومن أطرافها (عين عيسى ـ تل أبيض..) ومن الشرق السوري القصيّ (القامشلي وعادمودة..)، ولم يكن في الحسبان قط أن أكتب رواية من جزأين أو من أربعة. بيد أن شخصيات وأحداثاً ومحاورات وصراعات ومشاهد تبلورت أثناء الإعداد للمشروع، فبتّ أعيش من الرواية المأمولة ما أعيش قبل أن أكتب منها حرفاً. على أن ذلك كله كان أجلى ـ ألذلك كان أهون؟ ـ مع رواية (مجاز العشق)، سواء في محاولة الخروج على كل ما جرّبت من بناء أو لغة أو مفهوم للرواية، أو في مواجهة حاسمة مع النفس وهي تتطوح من حرب الخليج الثانية إلى تجربة في العشق ـ بالإذن من عنوان رواية الطاهر وطار ـ إلى الملفات والأبحاث المتعلقة بالمياه والصراع عليها في المنطقة: الحرب القادمة لا ريب فيها.

الكتابة:

(العنوان ـ الكتابة اليومية ـ الانقطاع ـ الصمت ـ العزلة ـ الصدفة ـ زمن الكتابة ـ علاقة مع شخصية روائية ـ الوثيقة ـ الكتابة التالية ـ المخطوطة والقراءة).

لقد نبقت أثناء الكتابة من اشتباك قصتي إيفون وباسمة في رواية (قيس يبكي)، قصة قيس: الطفل الفلسطيني الذي يبكي، أي: لا يبكي، كما غدا عنوان الرواية في ترجمتها الاسبانية، فجعلني أندم على العنوان الذي اخترت. ومن السؤال الأندلسي والسيرية في رواية (في غيابها) تبلور السؤال عن مؤسسة الحب. أما هذا العنوان، فلم أهتد إليه إلا بعدما أنجزت الكتابة الثانية للرواية. ولقد صادف أن اهتديت إلى عنوان نهائي للمشروع مبكراً، كما مع (السجن) و(جرماتي)، لكن طقس العنوان يُلبس عليّ غالباً، ويضطرني أحياناً إلى ان أستعين بآخرين، كما كان مع رواية (هزائم مبكرة) بفضل محمد كامل الخطيب، وكما كان مع العنوان الرئيسي لأجزاء (مدارات الشرق) بفضل عبد الرحمن منيف، فقبل اقتراحه كان العنوان

(مدار الشرق). أما عنوانا (ثلج الصيف) و(المسلّة) فقد جاءا أثناء الكتابة، و(سمر الليالي) كان عنوانها (أسمار الليالي) تيمناً بالعنوان الأصلي لـ(ألف ليلة وليلة)، فجعلته بالمفرد (سمر) بعدما أنجزت الرواية، مثلما كان مع رواية (في غيابها)، ومثلما كان في أول رواية كتبتها (ينداح الطوفان)، إذ كان عنوانها (طوفان الجبل).

في مستوى آخر، ومنذ الرواية الأولى، تعودت الكتابة اليومية. لكن التدريس حتى نهاية عام ١٩٧٩ كان عملي شبه اليومي أيضاً. ومثله كان ما تلا من عملي في النشر، حتى غرقت في كتابة (مدارات الشرق)، وبتّ شبه متفرغ في سنواتها الأولى، ثم متفرغاً حتى اليوم، أي: عاطلاً عن العمل، كما تعودت أن أجيب من يسألني في أرجاء العروبة عن وظيفتي أو مهنتي. هل يعقل أن أقول له: كاتب؟

لغير داعي السفر، لا تكاد تنقطع كتابتي اليومية للمشروع الذي أكون بصدده. قد يجعلني الرهق والنزيف اليومي – الكتابة اليومية، ألجأ إلى فسحة ليل أو نهار وليل، فأعود لائباً إليها: الكتابة-إليه: العمل. فإذا كان مشروع الرواية يسكنني قبل أو قبيل الكتابة (هذا هو الحمل - طال الحمل - هذا هو المخاض - تعسّر المخاض- طال المخاض...) فإنّ سكناه تغدو تماماً الدورة الدموية أثناء الكتابة، مهما يتخلل ذلك من الانقطاع، لالتقاط الأنفاس أو لسفر لم أفلح في تأجيله.

بفعل ذلك حملت حِمْلَ أوراقي من (مدارات الشرق) ذات سفر إلى (عدن). وقد حكم موعد الطائرة ألا يكون لي عمل طوال أربعة أيام من وصولي، فلم أغادر الفندق المتواضع الملاصق للبحر- البحر: هذا الطقس العجائبي - إذ خلوت إلى عشقي الأكبر، وكتبت صفحات من الرواية وصفحات. وذات سفر إلى (الشارقة) بعيد ذلك، كانت الخلوة ثمانية أيام في فندق (الهوليداي إن)، وكتبت من الرواية نفسها ما لم أبدل منه حرفاً في كتابتها الثانية.

على أن الانقطاع في الكتابة الثانية يظل أهون. ولذلك كلفني في الكتابة الأولى - غالباً - أن أعود إلى البداية، وربما إلى ما قبل البداية. فَوَصْلُ ما انقطع - غالباً - كان أكبر رهقاً من البدء من نقطة الصفر. وقد تعلّمت ألا أبتئس من ذلك، وألا أبخل عليه بوقت ولا بجهد. فهذا البدء من جديد، مهما يكن الشوط الذي قطعته، أحسبه يوفر فرصة ثمينة للعب بلذاذة وحرية ومكنة: تقدم أو تأخر أو تشطب أو تحذف أو تولّد من جديد أو.. وليس إطلاقاً نسخاً لخمسين أو لمائة وخمسين صفحة (تبييض مسودة أولى!).

في الكتابة اليومية سيكون للحَرَن والتمنع مثل ما للانقطاع من مرارة أو أذى، وربما ما هو أدهى. غير أن الكتابة علمتني مبكراً ما لم أتعلمه من المرأة إلا متأخراً: إنّ أغمضت طقوسية أي منهما، فلا جدوى من العناد ولا التملق ولا اللجاجة ولا التذاكي. لذلك ما إن تبدأ (العصلجة) حتى أتوقف، وقد ألجأ إلى المشي، إلى ما ألفت منذ الطفولة من أخيولات وأحلام اليقظة في المشي أو قبيل النوم. وقد ألجأ إلى قراءة الشعر، أو إلى ألبومات من الفن التشكيلي، أو أي معرض منه صادفني آنئذ. وربما أكتفي بمشاهدة التلفزيون. وربما أهرع إلى البحر، أو إلى سهر الأصدقاء والصديقات. وقد تلوح شارة الرضا عما قليل، أو بعد أن تمضّني،

فألاعبها بغرارة الغزل (أين هي مجازات الغزل اللاغزة في طقس الزواج السومري المقدس؟!) وبغواية الصمت والأناة، إلى أن يأتي عناق مندّى بالشوق، وربما بالعتاب، أو أن تأتي الشهوة المتفجرة بالعض والهرش والحمى والدوار، لكأن شبق الكتابة يصير شبق الموت.

كل ذلك وسواه يكون في الكتابة الأولى. وفيها، وفي تاليتها أو تالياتها للمشروع -كله أو بعضه- ثمة طقس لا يفارق، هو الصمت والعزلة، سواء تحقق على بلكونة المطبخ أو بين يدي البحر أو في غرفة ضيقة من فندق. ولكن أي صمت هذا، وأية عزلة؟ ألا تخرشهما السيجارة التي أدمنتها بعدما بلغت الثالثة والثلاثين؟ ألا ينقضهما كأس واحد على الأقل من أي شراب كحولي، وهو ما لا أكاد أقربه وحيداً؟ ألا يخرشهما ما أوثره من موسيقى خافتة وبعيدة؟ وماذا إذن عن الطقس الأمثل الذي ألفته في بيتي الريفي . في قريتي: البودي . منذ شيدته ونقلت إله مكتبتي عام ١٩٨٩، بالتزامن مع غرقي في (مدارات الشرق)؟

إنه الركن الجبلي (على ارتفاع ٧٠٠ م) المطل على البحر (على مسافة ١٨ كلم). إنه هبة الهواء الصيفية المدوّخة للصنوبرات أمامي مباشرة، لا فرق بين ربيع وخريف. بل هو عواصف الشتاء: برقها ورعدها، أو قمرة ليالي الصيف أو غنج الكائنات الربيعية.

لولا الثلج لما كان في رواية (ثلج الصيف) ذلك المشهد الجنسي بين سمية ويونس. ولولا الثلج لما كان لفؤاد صالح وصبا العارف في رواية (مجاز العشق) ذلك (الطقس) في أوتيل فيلادلفيا في عمان. ولولا سفري عشرات -أم مئات - المرات بالطائرة، وقراءتي في الكتب العلمية، لما كان للشمس في خاتمة رواية (في غيابها) ما كان، ولما جاءت الخاتمة على هذا النحو، ولما كان أيضاً لفؤاد صالح وصبا العارف في (مجاز العشق) ما كان في (الزبداني) مع الغيوم.

إنها الطبيعة، فأين طقوس الكتابة من طقوسها؟

بالطبيعة ابتدأتُ هنا. ولعلني سرت من بعد على الصراط غير المستقيم بين الإبداع والاحتراف، بين الطقس والعمل، حين تشتبك العفوية بالقصد، والغموض بالوضوح، والمكر بالبراءة، فإذا للكتابة من الفردية والمزاج والطباع والعادات والأدوات ما لها، بحسب من يكتب أو من تكتب. وإذا للكتابة بحسب هذا أو تلك، طقوسها السرية حقاً، ولكن: الجهيرة أيضاً، مما توفره الخبرة الشخصية والخبرة التاريخية لمن سبقوا وسبقن، بقدر ما توفره الخبرة المستكنّة في تكوين هذا الكائن الكاتب - الكاتبة عبر مليارات السنين.

على ذلك الصراط غير المستقيم تقوم فضيلة الاحتراف، مقابل جرائرها إذ يُحكَّم البيولوجي، أو يُتَجَاهل أو يُبَخَّس الجواني. بيد أني أراني بعد كل ما تقدم أكبر لجلجة وعتمة، من قبل الكتابة إليها، من الطقس إلى العمل، من الحمل إلى المخاض إلى الولادة إلى التحولات والموت والانبعاث. فما جدوى كل ما تقدم إذن؟ أليس الأجدى أن أمضي إلى الكتابة، وليكن للطقوس ما تشاء؟

---

* روائي وناقد من سوريا



البراهما الطيب



فولتير *

ترجمة: إيمان قاسم الرواشدة **

التقيت في أسفاري ببراهما عجوز، رجل حكيم جدا، فطن واسع الاطلاع، وزيادة على ذلك كان غنيا، وهكذا فقد كان أكثر حكمة؛ لكونه لا يفتقر إلى شيء وليس بحاجة ليخدع أحدا. تدير عائلته ثلاثُ زوجات جميلات نذرن أنفسهن لإسعاده، وعندما لا يمتع نفسه فإنه يكون منشغلا بالفلسفة.

بالقرب من منزله الجميل المصمم بشكل رائع والمحاط بحدائق خلابة، تقطن عجوز هندية بلهاء متعصبة، بالإضافة لكونها فقيرة.

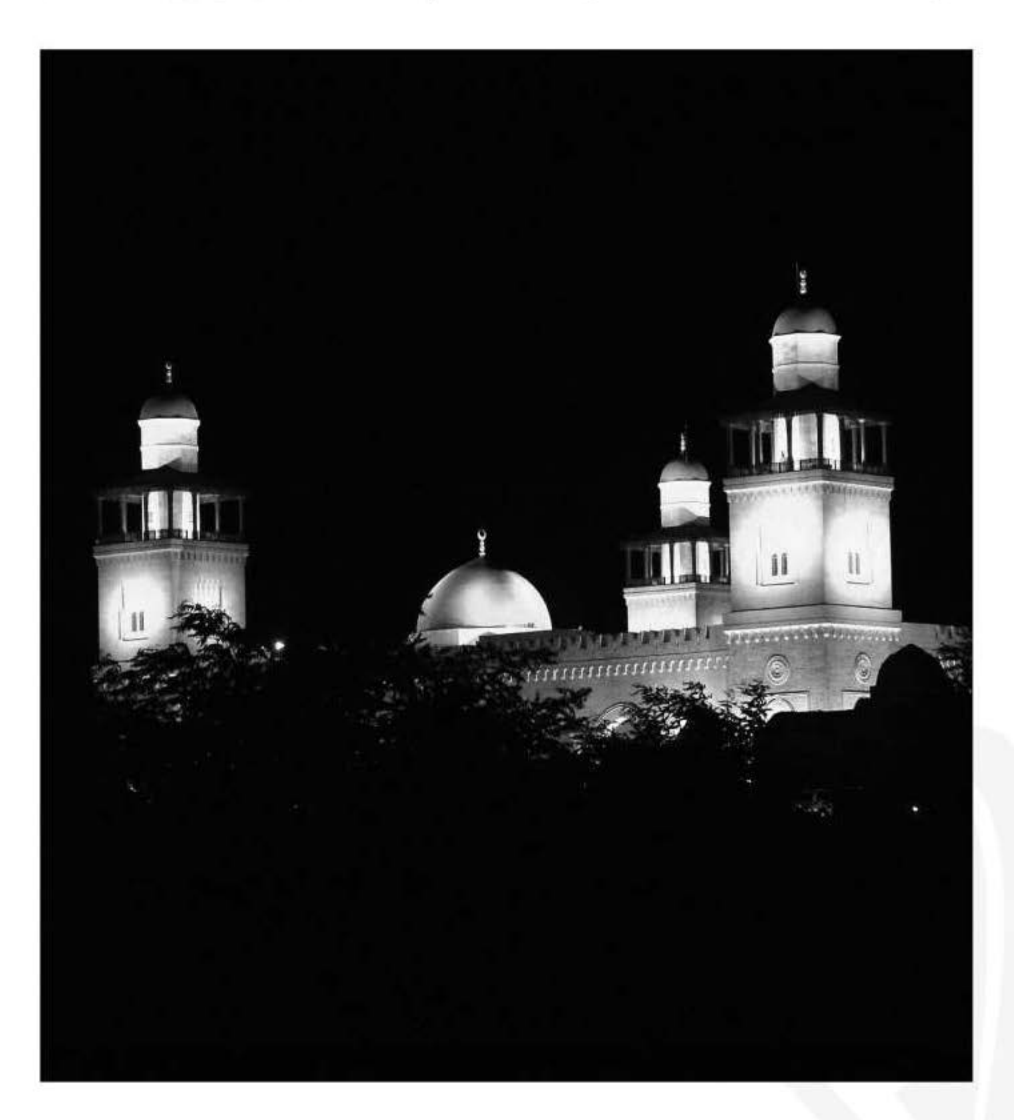
قال لي البراهما في أحد الأيام: "أتمنى لو أنني لم أولد قط." سألته عن السبب فأجابني: "إنني أدرس منذ أربعين عاما، أربعين عاما هدرتها أعلم الآخرين وأنا لا أعرف شيئا. التفكير في هذا يولد في نفسي شعورا بالخزي والمذلة والامتعاض بأن هذه الحياة لا يمكن احتمالها. لقد ولدت وأعيش في الزمن وأنا لا أعرف ما هو الزمن، أجد نفسي في نقطة بين عالمين سرمديين كما يقول حكماؤنا، وأنا لا أملك أدنى فكرة عن الخلود.

أعتقد أنني مكون من مادة، ولا أستطيع أن أعثر على مصدر الأفكار، أتساءل ترى



هل فهمي للأشياء هو ملكة طبيعية بسيطة في تكويني كالمشي أو هضم الطعام؟ ترى هل أفكر بعقلي كما أمسك بيدي؟ لا يبدو مبدأ التفكير مبهما بالنسبة لي فقط بل إن مبدأ تحركاتي مبهم أيضا. أجهل سبب وجودي. على أية حال، الناس يسألونني كل يوم عن أشياء كهذه وعلي أن أجيبهم، ليس لدي شيء جيد لأقوله، أتحدث كثيرا ولكنني أبقى ممتعضا وأشعر بالخزي من نفسي.

بل إن هذا الأمر يسوء حين يسألونني إذا ما كان البراهما من سلالة الفيشنو وإن كان كلاهما خالدا. يشهد علي الله أنني لا أعرف شيئا عن هذا، وبالتأكيد فإن هذا يظهر في إجاباتي. "آه أيها الأب المبجل" هكذا ينادونني، "علمنا كيف يعم الشر والفساد العالم كله." أنا في تيه وحيرة تماما كمن



يسألني هذا السؤال. أحيانا أخبرهم بأن كل هذا لخير الجميع، لكن هؤلاء المدمرين الذين شوهتهم الحرب لا يصدقون شيئا من ذلك، ولا أنا أيضا. أعود إلى منزلي يغمرني الفضول والجهل أقرأ كتب الأسلاف القديمة، ولكنها لا تزيدني إلا حيرة. أتحدث إلى زملائي بعضهم يقول: إن علينا الاستمتاع بحياتنا وأن نواصل خداع العامة، والآخرون يعتقدون أنهم يعرفون شيئا، ثم يغرقون أنفسهم في أفكار منافية للعقل، كل شيء يزيد من الإحساس بالألم الذي أحتمله. أشعر أنني أميل أحيانا للانزلاق نحو اليأس ثم أظن بعد كل البحث الذي قمت به أعرف أنني أجهل من أين أتيت ومن أكون ولا أعرف إلى أين أذهب ولا ماذا سيصدر عني".

حالة هذا الرجل الطيب تسببت لي بحزن عميق؛ لم يكن هناك أحد أكثر منطقا وصدقا منه. أحسست أنه برغم قوة نور إدراكه ورقة قلبه لم يكن سعيدا.

في ذلك اليوم نفسه رأيت المرأة العجوز التي تعيش في الجوار، سألتها عما إذا كان قد أوجعها جهلها بكيف تشكلت روحها. لم تفهم سؤالي حتى ولم تفكر مليا في أي لحظة من حياتها بأي فكرة من تلك التي عذبت البراهما، كانت مؤمنة بكل جوارحها بتحولات الإله الهندي (الفيشنو)، وأنها تستطيع أن تغتسل بمياه نهر الغانج، كانت تعد نفسها أسعد النساء.

عدت إلى الفيلسوف مصدوما بالسعادة التي يشعر بها هذا المخلوق المعوز، وقلت له: "ألا تشعر بالخجل أن تكون حزينا وعلى بابك مخلوق آلي لا يشغل باله بشيء ولا يفكر بشيء ويعيش بسعادة؟"

أجابني البراهما: "إنك محق" لقد قلت لنفسي مئات المرات إنني سأكون سعيدا لو كنت بغباء جيراني ولكنني في الوقت نفسه لا أريد أن أكون جزءا من هذه السعادة."

ترك رد البراهما أثرا عظيما في نفسي أكثر من أي شيء آخر. لقد راجعت نفسي واستقر بي الأمر على أنني لا أحبذ أن أكون سعيدا وأحمق في آن معا.

عرضت هذا الأمر على عدد من الفلاسفة، وقد كانوا إلى جانب رأيي.

ولكن على أية حال قلت لنفسي هناك تناقض عجيب في طريقة التفكير هذه.

بعد كل ذلك، ما هي القضية؟ أن أكون سعيدا. ما الفرق بين أن تكون فطنا أو غبيا؟ الأكثر من ذلك، إن أولئك القانعين بوجودهم هم واثقون من قناعتهم؛ وأولئك الذين يجادلون هم غير متأكدين تماما أنهم يحسنون المجادلة.

وقلت: "من الواضح أن علينا تجنب الفطرة السليمة إن كانت هذه الفطرة تسهم في شقائنا".

كان الجميع إلى جانب رأيي، ومع ذلك لم أجد أحدا تقبل فكرة أن يكون أحمق حتى يكون قنوعا. وخلصت إلى أننا إذا أعرنا أهمية للسعادة فإننا نعير أهمية أعظم للمنطق.

ولكن بعيد التفكير، يبدو أن تفضيل المنطق على السعادة هو أن تكون مجنونا حقا. وعندئذ كيف يمكن تفسير هذا التناقض؟ كما هو الحال في التناقضات الأخرى. ويبقى هناك الكثير ليقال عن ذلك.

** طالبة جامعية /ك. اللغات الأجنبية





ترجمة: رامز الحداد **

خــوف

غابرييلا ميسترال *



لا أريد أن يصيّروا
طفلتي سنونواً،
تغوص في السماء طائرةً،
ونحو حصيرتي لا تهبط،
وعلى الرفوف تبني عشّها
ويداي لشعرها لا تسرّح،
لا أريد أن يصيّروا
طفلتي سنونواً.
لا أريد أن يجعلوا
من طفلتي أميرةً،
فكيف لها
بحُذيئين ذهبيين
في المروج أن تلعبَ؟
وحين يأتي الليل
إلى جانبي
لن ترقدَ.
لا أريد أن يجعلوا

من طفلتي أميرةً.
ولا حتى أريد
أن يجعلوها في يوم ملكة،
فعلى العرش،
حيث لن تصل قدماي

سيرفعونها،
وحين يأتي الليل
لن أهدهدها،
كلاّ...لا أريد أن يجعلوا
من طفلتي ملكة.

---

* غابريلا ميسترال: اسم مستعار للوثيا دي ماريا، وهي شاعرة تشيلية ولدت في نيسان ١٨٨٩ في فيكونا (تشيلي)، وهي أول امرأة تنال جائزة نوبل للأدب من أمريكا اللاتينية في عام ١٩٤٥. تنوعت مواضيعها بين الحزن والحب والطبيعة والخيانة. من أبرز أعمالها : سونيتات الموتى، قراءات للنساء، سحب بيضاء.

** كاتب ومترجم من الأردن





الرقصة

DANZA

كارمن بوسادس *

ترجمة: صفاء سلامة **

مرة أخرى تلك الكلمة: DANZA. كان قد رآها أول مرة محفورة بوساطة مدية بالقرب من مدخل نفق المشاة. ومن ثم رآها مكتوبة باللغة الإنجليزية على لوح ملاحظاته في المكتب. والآن تلك الكلمة مكتوبة بعشوائية على زجاج سيارته المغشى بالبخار. شعر الرجل بقشعريرة، ومن ثم أدخل المفتاح في قفل سيارته الجديدة التي كان شديد الاعتناء بها. كان بابها عند إغلاقه يصر بلاطفة كلمة: DANZA. وفي أصيل ذلك اليوم كانت تمطر بشدّة. أدار سيارته ومن ثم أشعل المسجل، الذي عاد فأطفأه، وبعد ذلك ضبط جهاز الراديو على نشرة الأخبار وأصابعه تنقر بقلق على مقود السيارة. كان متوتراً ويشعر بألم لعين في رأسه. كانت الساعة تشارف على الثانية عشرة من منتصف الليل وقدر بأنه سيصل متأخراً مرّة أخرى إلى المنزل. وهناك، ستكون زوجته بانتظاره مستيقظة ومتوعّدة، غير أنه كان قد ضاق ذرعاً بتلك المواقف. كان ذلك هو المبرّر الحتمي الذي لأجله كان بحاجة ماسّة إلى خوليتا، تلك الفتاة اليافعة والجميلة، والتي كانت تحدّثه دائماً بما يجعله يشعر بأنه أفضل. تبسم الرجل، وبحركة عفويّة ضبط ربطة عنقه التي كان قد عقدها على عجالة في شقة شارع ليغانيتوس، وفي تلك اللحظات أخذ يفكر بعطلة نهاية الأسبوع المقبلة التي سيقضيانها معاً وحيدين في سييرّا نيفادا، تاركاً وراءه العالم بأسره. وزوجته؟ حسناً، وما الفرق؟ بإمكانه أن يتذرع بأية حجة كالمرّات السابقة.

هذه المرة كان قد رأى أحرف تلك الكلمة (DANZA)، كانت مطليّة باللون الأحمر على

المصراع المعدني لباب الملحمة عند ناصية الشارع. وللحظة شد الرجل على فكّه السفلي ومن ثم ضغط بشدة على دوّاسة البنزين. بدأت بعض الأفكار السوداوية تجتاح أفكاره السعيدة. وفجأة تذكّر كل ما كان يثير قلقه؛ موازنة الشهر، وذلك الخطأ الصغير عديم الأهمية الذي ارتكبه أثناء عملية إعداده للموازنة، إذ كان شيئاً تافهاً.

لا يوجد في المكتب من هو أفضل منه في علم الحاسوب، ولذلك كان يعلم بأن نقل فاصلة واحدة من مكانها في الوقت المناسب كان كافياً، وبذلك... يمضي شهر آخر من غير أن يتحمل أعباء قسط سيارته الجديدة، ويستطيع فيه أن يساعد خوليتا لدفع إيجار شقتها، فمن غير الممكن لفتاة متميزة مثلها أن يحكم عليها بالعيش طوال حياتها في سكن داخلي. بالإضافة إلى ذلك، لا يستطيع أن يخيّب ظنّها كونها تثق به؛ بالتأكيد هي كذلك.

كان بإمكان خوليتا أن تختار الرجل الذي يحلو لها، أي رجل في المكتب أكثر أهمية منه، بيد أنها قررت أن تميّزه هو بصداقتها وبحبها، نعم، هذه هي الحقيقة. نظر الرجل بمؤخر عينه إلى المرآة الخلفية ليتحقق من أن الشعيرات التي تتشابك فوق صلعته كل صباح مازالت في أماكنها. وهنالك، كانت تلك الكلمة مرة أخرى: DANZA.

نحى عينيه عن المرآة، وشعر بشيء ما يضايقه، شيء ما لا يعرفه يحوم على رأس معدته، شعور لم يكن غريباً عليه مطلقاً. في الواقع بعدما فكر في الأمر قليلاً رأى أنه كان قد شعر بنفس ذلك الشعور في المرات السابقة؛ الليلة التي سبقت وفاة والده مثلاً، ويوم اكتشف أن ابنه كان مريضاً في المعسكر، جاءه ذلك الشعور حتى قبل اتصالهم من الثكنة العسكرية. "فأل سيء" قال بصوت



عالٍ وضحك حتى لا يعير للموضوع أدنى أهمية.

وفي تلك اللحظة، تظهر فتاة من ملصق إعلاني مرتدية اللون الأخضر المستفز، تدعوه للرقص. لوهلة تساءل الرجل عمّا يمكن أن يكونه هذا الهراء DANZA مكتوبة في كل مكان، على الجدران، وفي الشارع، وعلى اللوحات الإعلانية وعلى رسومات الجدران الأكثر ابتذالاً. "طريقة جديدة للإعلان السري" قال الرجل.

ولكن في اللحظة نفسها، راوده ذلك الشعور الغريب الذي ضغط على معدته. وانتهى به الأمر يفكر في ميزانية الشهر، على الرغم من أنه لم يرغب في ذلك، وكانت تلك الأفكار تقوده للاعتقاد بأنه إذا حدد مديره موعداً معه في مكتبه في اليوم التالي، فسيكون ذلك لأن أحدهم اكتشف حيلة الفاصلة، وحينها وداعاً لأقساط سيارته الجديدة و شقة خوليتا وسييّرا نيفادا...

عندما استيقظ من أفكاره كانت الحافلة التي أنارت مصابيحها قد أصبحت أمامه، كان الجو ماطراً. انحرف الرجل بحدة نحو اليسار، وبأعجوبة، استطاع أن يتفادى الصدمة.

«إهدأ إهدأ، لم يكن شيئاً ذا أهمية...» ولكن من الآن فصاعداً من الأفضل أن يعير الطريق انتباها أكثر من ذلك. ما زال لديه ثلاثة أو أربعة كيلومترات ليصل إلى منزله. غير أنه كان على وشك أن يضع نفسه أسفل عجلات تلك الحافلة.

من الأفضل أن ينسى قليلاً مشكلات المحاسبة، وألاّ يفكر بخوليتا أو بزوجته، وأن يركّز في القيادة. كان شديد الإرهاق، لذلك كان مشتتاً بهذه الطريقة... وفجأة، مصباحان آخران، فكّر: ما الذي يفعله هذا المغفل؟ إنه يسير بالاتجاه المعاكس للطريق، أوكلا، إنه هو من يفعل ذلك!

رأى ذلك الشيء تماماً لحظة أن اقترب مواجهاً المصباحين، اللذين كشفا لمعان قطرات المطر على مقدمة سيارته، إذ كان مطلياً على مقدمة سيارة الشحن القادمة تلك الأحرف المثيرة للسخرية شركة DAN. S. A. للنقل.

تدحرجت عربته، رقصت ورقصت هنالك بعيداً عند الهاوية السوداء. وقبل أن يتلقى تلك الصدمة القوية التي قسمت رأسه، لم يفكر بالفاصلة ولا بخوليتا ولا حتى في رائحة الموت بل بغباء قد تعجب، كم من المضحك أن تلك العلامات لا تعرف شيئاً عن التهجئة.

---

* ولدت في مونتفيديو (الأوروغواي) في عام ١٩٥٣، انتقلت مع عائلتها إلى مدريد، ومن ثم عاشت في موسكو وبوينوس أيرس و لندن حيث كان والدها سفيراً في تلك البلدان.
وضعت أكثر من خمسة عشر كتاباً للأطفال وخمس روايات، وكتابين في السيرة الذاتية، والعديد من سيناريوهات السينما والتلفاز. نالت في العام ١٩٩٨ جائزة بلانيتا، وتُرجمت أعمالها إلى ما يزيد على عشرين لغة، وأشارت إليها مجلة «نيوزوييك» كأبرز كاتبات جيلها.

** طالبة جامعية / ك.اللغات الأجنبية



هاجس الإبداع في قصيدة النثر

أ.د.حسين جمعة *

هناك غير ما باحث تناول هاجس الإبداع لدى الراغبين في دخول عالم الأدب الجميل ...

ومهما قيل في هذا الشأن فهو هاجس مشروع ونبيل؛ بمثل مشروعية انتماء ما يسمى (قصيدة النثر) إلى النص الإبداعي ... وليس عيبا أن تنعت بهذا التصنيف ما دامت تمتلك شروط الفن الجميل؛ ما ينقذها من وهدة السقوط في الصراع حول ماهية الشعر وماهية النثر؛ فالشعر شعر والنثر نثر...

فإذا كان الهاجس وحده لا يصنع مبدعا؛ إذا لابد له من الموهبة والحساسية المرهفة، والثقافة؛ وامتلاك التقنيات اللغوية والبلاغية والموسيقية ...فإن الصور البديعة، واللغة المشرقة والانفعال الجياش لا يرقى وحده بجنس ما إلى إدخاله في جنس آخر، إذا لابد لنا من التفريق بينهما مهما كانت التخوم المتداخلة بين الأجناس الأدبية ... وكلنا يعرف أن هناك مقاله قصصية؛ وقصة شعرية، وشعرية القصة، أو...وأي مبدع لا يضيره أن يصنف كل نمط في موقعه المناسب من الجنس الأدبي... علما أنه لا يمكننا أن نصنف أي نمط من القول تحت باب الإبداع إن لم يمتلك الشروط الواجبة لذلك.

ثم إن أصحاب بعض الأنماط الأدبية تجرؤوا على الأدب، ولم يبالوا بما يفعلونه من جرح للإحساس السليم، وإيذاء لرهافة الشعور، من خلال نتاجهم المريض المسكون بانفعالات متبلدة، وفطرة ميتة، ولغة رديئة، وعبارات متكلفة تستعرض العبارات المنسقة والمجموعة من هنا وهناك فكانوا معول هدم للغة وبناها المتوارثة...

ونعود إلى التركيز فيما دار حول قصيدة النثر من معارك، وما زالت تدور... وما



من نمط أدبي أثار صراعا، وصراعا بين الناس كما أحدث الصراع حول ما يسمى (النثيرة) أو (قصيدة النثر)، علماً أنها انبثقت من المخيلة الإبداعية الثقافية في إطار الخصائص الشعرية الفواحة من صورها المتحررة من بعض القيود القديمة وفي طليعتها الوزن والقافية والروي...

فقد أقامت مكانها معايير أخرى كالدخول في عوالم الإيقاع الداخلي، وإشراق النثر المشع، ولذة الأفكار المتتابعة...

إذاً، دارت معارك نقدية- ومازالت- حول مشروعية التسمية بوصفها تتأبى على الانتماء إلى جنس أدبي ما... فهناك من يرى أنها أبعد ما تكون عن الشعر المعروف، بل أي شعر كان، مهما امتلكت من خرق للمألوف ومن حيوية التصوير الجميل، وطبيعة الشعر المثير للانفعال؛ والمدهش للرؤى التي تستجيب لكل فكرة أيا كان جنسها...

ويدفعون هذه التسمية إلى حضن النثر، ولا يعيبها ذلك؛ لأن من معايير الشعر الوزنَ والإيقاع؛ إذ لا يحل له أن يتحلل منهما وإن تحلل من الرؤى والقافية؛... بل يذهب أعداء

تسمية (قصيدة النثر) إلى أنها حطمت قواعد اللغة الشعرية ذاتها، ولاسيما حين امتلأت باللغة اليومية؛ وبمسحه استعراض المضمون الذي تعالجه؛ ما أوقع المتلقي في إشكاليه كبرى لدلالة اللغة الشعرية... ومن ثم رأوا أن ممارسة هدم البنية اللغوية الموروثة للشعر العمودي لا تخدم الأدب العربي الحديث ولا الهوية التي يستند إليها... وهذا كله ما تجرأت عليه (قصيده النثر)؛ ما يجعلها تدخل في صميم تشويه مقصود لصورة الأمة، وبخاصة حين أصر أصحابها على هدم اللغة... بحجة مجاراة العصر...

أما من نافح عنها فقد جهد في إثبات مشروعيتها في عالم الأدب الحديث ولاسيما حين أضحت وجوداً حقيقياً، ووجوداً فنياً متمرداً على الأشكال القديمة؛ وأثبت لها بعض الرواد قامتها الإبداعية أمثال محمد الماغوط وأدونيس وأنسي الحاج، فكانت وسيلة فنية مليئة بالأفكار النظرية التي تجلت في حياتنا، ثم اتسعت للمعاناة الاجتماعية الكبرى التي نعاني منها ... ما يشي بأنها غدت إنجازاً اكتسب من المتعة الفكرية ما حقق لها الخروج عن المألوف في الوقت الذي اكتسبت فيه التوازن والصمود حين كسرت بعض القوالب الفنية القديمة... علما أنه لا يستطيع كتابتها – كما يرى أنصارها – إلا من كان قادراً على الإبداع، وعلى المثاقفة مع الآخر...ولهذا لا بد من توسيع مفهوم الجنس الأدبي –ولاسيما الشعر– ليصبح ضاما لأشكال إبداعية جديدة تواكب العصر الذي تنبت فيه، وتحقق له الجمال والحرية؛ ولكل عصر إشعاعه الإبداعي، وفلسفته الكونية الخاصة به. ولا شيء أدل على ذلك كله من قصيدة نزيه أبو عفش وعنوانها (الصغير فنسان)، ومنها:

هنا يرقد ...!

إذ كان يستحي من أنه – كسائر الناس – يمتلك اسما كاملا

كان يكتفي بالتوقيع باسمه الخجول الصغير: Vincent

أما الآخرون لكي يصيروا جماله صالحا لبورصات الموتى؛

(Vincent Van Gogh)

هو الذي تألم لصالح الجمال

هو الذي أبغض التجاح قدر ما أبغض الفقر

هو الذي لم يهد نفسه من عطايا الحياة إلا ما يجعل الحياة كابوساً

انظروا ما فعلوا به

هو الذي –كمن يعلّق شمساً– علق قلبه على الظلام الذي هو فيه

انظروا ما فعلوا به.

وإذا كنت ممن أومن بكسر القوالب الجامدة والمقيدة للإبداع واختراع أنساق إيقاعية ولغوية جديدةفإنني ممن يؤمن كذلك بأن الشعر شعر، والنثر نثر؛ وكل منهما يعدُّ نصّاً إبداعياً جميلاً.. وإذا كنا مستمرين في البحث عن تجنيس ما يسمى بقصيدة النثر فسيبقى الصراع محتدماً بين أعدائها وأنصارها؛ ويكفي أن نقول جميعاً: إنها نص أدبي بديع ومثير، ما دامت تمتلك شروط الإبداع المرجو... وإلا فهي كلام لا طائل تحته...

---

* رئيس اتحاد الكتاب العرب في سوريا/ دمشق





عُني بإشكالية المثقف العربي ودوره التنويري.. وفهمه طبيعة الآخر

محمود أمين العالم.. المفكر النقدي المستقل

د. ضرار بني ياسين *

يُعدّ المفكر العربي محمود أمين العالم الذي رحل عنا قبل مدّة ليست بالبعيدة واحداً من المفكرين العرب القلائل الذين جمعوا خلال مسيرتهم الثقافية بين مشاغل الفكر والفلسفة وهموم السياسة ودروبها الصعبة في العالم العربي والاحتراف الأصيل للنقد الأدبي، فقد استطاع أن يجمع بين هذه الحقول الثقافية طيلة عقود من عطاءاته المتنوعة وأن يكرّس صورة المثقف العضوي الملتزم بجدلية الفكر والممارسة، أو الفكر والواقع، المنحاز دون مواربة أو غموض إلى موقف فلسفي تنويري يتصل بقضايا الأمة العربية، والملتزم، أيضاً، بموقع اجتماعي جماهيري على المستويين النضالي والسياسي يتماهى دائما مع مصالح الطبقات الفقيرة من العمال والفلاحين والمهمشين.

كانت هذه الفضاءات الثقافية هي أساس مشروعه الفكري، وهي التي شكلت وعيه ووجدانه الإنساني وشخصيته الوطنية والقومية، وانعكست بصورة لافتة في كل كتاباته، وعبّرت بشكل صريح عن نزعة يسارية لا تعرف المهادنة أو التنازل عما آمن به من مبادئ راسخة كلفته سنوات طويلة وقاسية من الصراع مع السلطة كانت نتيجتها على المستوى الشخصي الملاحقة والسجن والاعتقال والفصل والهجرة القسرّية إلى فرنسا ليعمل في جامعة باريس محاضراً في الفكر العربي من عام ١٩٧٣



حتى عام ١٩٨٤، قبل أن يعود أدراجه إلى وطنه مصر ليكمل مشواره الثقافي، فيشرف على إصدار كتاب غير دوري تحت عنوان "قضايا فكرية"، الذي صدر منه عشرون عدداً في موضوعات فكرية متنوعة، وأعمال فلسفية ونقدية وأدبية.

وأثناء إقامته في باريس بادر مع بعض



المثقفين والناشطين المصريين إلى إصدار مجلة شهرية عُرفت باسم "اليسار العربي"، التي كرّست جُلّ مقالاتها من أجل قضية الوحدة العربية ومسألة التحرر السياسي والاقتصادي، كما شارك في الجبهة الوطنية المصرية المناهضة لسياسة السادات التي شرعت، يومها، في مشروع السلام. ولكن اسم محمود العالم أخذ يلمع انطلاقاً من سلسلة المقالات التي كتبها مع عبدالعظيم أنيس تحت عنوان "في الثقافة المصرية"، وقد بدأها في جريدة الوفد المصري، وبثّ فيها الأفكار النقدية التي تأثرت بها الطلائع اليسارية العربية وبخاصة في نزعة التفسير الواقعي للأدب، لتثور خلالها معركة نقدية في مجال نظرية الأدب، تمحورت حول ضرورة الاتجاه الواقعي الجدلي في النقد الأدبي.

وبعد تجربة سنين عجاف طويلة لم يقع العالم في براثن اليأس والقنوط من إمكانية التغيير نحو الأفضل، ومن قدرة الأجيال العربية على كسب معركة المستقبل، بيد أنه وبعقل المفكر النقدي المستقل يستشعر عمق الأزمة التي يعاني منها أمين العالم عموماً والأمة العربية بصورة خاصة، وهو في هذا الخصوص لا يخفي الإفصاح والقول بأن أزمته الفكرية الخاصة التي يحسّ بها تتمثل في انهيار تجربة الحلم الاشتراكي، وإخفاق المشروع القومي العربي، وتفاقم هيمنة النظام العالمي الجديد وتسيّده سياسياً واقتصادياً وعسكرياً على العالم والشعوب، التي تتمثل اليوم بوجهيها الصهيوني والأميركي.

وفيما يخصنا نحن العرب، وتحديداً ما

يتعلق بفكرة مشروعنا النهضوي التنويري وما يواجهه من مصاعب وانتكاسات بسبب عوامل داخلية وخارجية، فإن العالم يحذر من التراجع عن الحلم الذي راودنا طويلاً، أو الاستسلام للواقع، فهو يرى أننا أحوج ما نكون إلى استراتيجية مراجعة نقدية عقلانية للفكر والنفس والواقع، فالاعتراف بالأزمة هو الخطوة الأولى التي ينبغي أن تعقبها خطوة أخرى ضرورية تتمثل بالمواجهة النقدية مع الذات، لأن من شأن هذه المواجهة أن تكشف لنا الواقع على حقيقته، وبالتالي قدرتنا على معالجة القضايا والمشكلات التي تعاني منها الأمة.

لقد شخّص العالم الأزمة التي نعانيها في العالم العربي من زاويتين تتصلان بالفكر والعمل: الأولى هي أزمة الفكر العربي، فالفكر يعيش أزمته الخاصة، وينعكس هذا الأمر في فهمنا لطبيعة العلاقة التي نقيمها مع أنفسنا ومع الآخر، وهذه الأزمة هي جزء من الأزمة العامة التي يعانيها المجتمع العربي كلّه في مختلف جوانب حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والقيمية، وبالتالي فإن المطلوب هو تدشين مشروع تنويري يُغطي كل جوانب الأزمة، وليس أفكاراً توفيقية إصلاحية مجتزأة أشبه ما تكون بالترقيع، وتبقى قاصرة عن فهم الواقع.

أما الزاوية الثانية التي يستشعر فيها العالم الأزمة في العالم العربي فتتمثل بإشكالية الثقافة والمثقف العربي ومسألة دوره التنويري الذي عليه أن يلعبه، بيد أن العالم يعتقد أن المثقف العربي لم يتراجع عن دوره التنويري، ولكنّ دوره مُحاصر إلى حدود بعيدة جداً، فمن يملك أدوات الثقافة ووسائلها في العالم العربي هي السلطة، وبالتالي تشكلها لمصلحتها، ومن هنا فإن دور المثقف يظل محدوداً، ولا سيما في ظل انعدام الديمقراطية إلا من صورتها الشكلية.

فالديمقراطية كما فكّر فيها العالم وثيقة الصلة بالمشروع التنويري للأمة، ومن غير المعقول الإبقاء على وضعية طرحها شعاراً براغماتياً مقطوعاً عن السياق العام لمشكلات العالم العربي، كما هي حالها الآن، وكأنها قاعدة إجرائية خالية من مضمونها الفلسفي والاجتماعي والسياسي، فالديمقراطية لا يمكن فهمها أو فهم دورها وإشكاليتها إلا من خلال علاقتها بحالة التغيير الشامل، فمشروعها التنويري الحقيقي يبدأ عندما ترتبط بالتنمية الاقتصادية والسياسية والثقافية، والأساس الفكري للحرية والعدالة الاجتماعية.

ويعتقد محمود العالم أن جزءاً من انتكاس فكرنا التنويري يعود إلى حقيقة أنه تنوير بالمقلوب، أي أنه يتم بشكل علوي، فوقي نخبوي، ولذا فإن عمليات التنوير التي تحصل في العالم العربي رغم جديتها وأهميتها تكاد تكون أحادية الجانب، لأنه من غير الممكن تحقيق تنوير حقيقي وفاعل دون المواجهة النقدية لظواهر التخلف والتبعية، ودون إنجاز تغيير جذري في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية على المستوى الوطني والقومي.

إن الأفكار القديمة الجديدة والسجالات الثقافية التي دارت بين المثقفين العرب من مختلف مشاربهم ومنابتهم الفكرية عن المشروع النهضوي العربي وإشكالياته

المزمنة جعلت العالم يطرح رؤيته الخاصة بالنهضة من زاوية نَقدية تتجاوز الانتكاسات التي حالت دون إنجاز مشروع التقدم عربيا، وقد حدّد العالم أربعة شروط لازمة لمشروع النهضة العربيَة:

الأول: وهو شرط جوهري، يتمثل بتأصيل وتعميم الرؤية العقلانية والعلمية والتاريخية والنقدية المتجددة في تنازل القضايا الحياتية والعملية والفكرية على المستوى النظري والتفكيري والمجتمعي والقومي العام، من خلال التعليم ومناهجه ومؤسسات الإعلام، ومراكز البحث، ومؤسسات المجتمع المدني.

أما الشرط الثاني: فهو عملي ينشد تغيير الواقع من خلال امتلاك القدرة على فهم قوانينه، فبغير معرفتنا بقوانين الواقع لا يمكن لنا أن ننجز تنميتنا الذاتية على المستوى القومي، التي تحررنا من الآخر وهيمنته، وتمحو كل تبعيتنا التي تمنع هذا التحرر.

والشرط الثالث: يتعلق بالديمقراطية والحرية والمشاركة، وهذا يقتضي إطلاق حرية التعبير والتفكير والنقد والإبداع، وتوفير شروط حقوق الإنسان والحريات السياسية. ومن غير هذه المحاور الضرورية لن يتمكن الإنسان العربي من المشاركة في صياغة مصيره السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

أما الشرط الرابع: الذي يضعه العالِم لتحقيق المشروع النهضوي العربي الجديد، فهو شرط يتعلق بالمفهوم الذي بقي سائداً في الكتابات القومية العربية التي تؤمن بالوحدة العربية الاندماجية، فالعالِم يرى ضرورة تغيير هذا المفهوم السائد للوحدة، وقد غلبت عليه النزعة الاندماجية الاعتباطية، لأن الرؤية الصحيحة هي الرؤية التي تراعي قضية التنوع في الخصوصيات الوطنية والتشكيلات السياسية، ولكنها لا تتخلى عن صيغة اتحاد ديمقراطي للدول العربية دون أن تتخذ صيغة الدولة المركزية الواحدة.

لقد استطاع محمود أمين العالِم أن يجسّد خلال مسيرته الفكرية الطويلة نموذج المفكر النقدي المستقل، وانعكس هذا الأمر جليا في مواقفه السياسية وكتاباته الفكرية والفلسفية، حتى لكأن هذه الاستقلالية الفكرية أصبحت سمة بارزة في كل الإنتاج الفكري والثقافي الغني الذي أغنى به المكتبة العربية وتأثرت به فئات مختلفة من المثقفين في العالم العربي.

من أبرز مؤلفات العالم: "الثقافة والثورة"، "معارك فكرية"، "ألوان من القصة المصرية"، "البحث عن أوروبا"، "الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر"، "الماركسيون العرب والوحدة العربية"، "مفاهيم وقضايا إشكالية"، "مواقف نقدية من التراث"، "ثلاثية الرفض والهزيمة:دراسة نقدية لثلاث روايات لصنع الله إبراهيم"، "هربرت مركيوز أو فلسفة الطريق المسدود"، "من نقد الحاضر إلى إبداع المستقبل: مساهمة في بناء نهضة عربية جديدة"، بالإضافة إلى عشرات الكتب والمقالات والمحاضرات القيمة.

---

* باحث من الأردن



يشبه الزيت الذي يطفو على سطح الماء

الإيقاع.. حصيلة التفاعل بين مكونات الخطاب الشعرية

د . محمد كَنوني *

يعدّ الإيقاع مكونا محوريا في لغة الشعر، ففي فلكه تدور بقية المكونات المجاورة، التي رغم أهميتها، لا يمكن أن تمارس فعلها الشعري بمعزل عن الآثار الإيقاعية المصاحبة. يشهد على هذا واقع الإبداع منذ هوميروس وامرئ القيس إلى الآن، كما تقرره العديد من نظريات الشعر، مهما اختلفت منطلقاتها وصيغها في التعبير، منذ أرسطو إلى يومنا هذا.

ورغم التباين الحاصل في الأساليب والأنماط والاتجاهات الشعرية عبر مراحل تطور القصيد في دائرة الشعرية العربية والغربية على حد سواء، ظل مكمن الإثارة الجمالية في النصوص الشعرية الجيدة هو الاستثمار المتميز والناضج لقيم الإيقاع من لدن المبدع، الأمر الذي يفترض عند الحكم قارئا متمرسا يمتلك من الإحساس ما يؤهله لتقدير هذه القيم الإيقاعية وشروط انبثاقها بغية تعميق الوعي بخلفية النص المعرفية.

ولأهمية الإيقاع في بناء لغة الشعر، فهو يقوم بوظيفتين متلازمتين: وظيفة سمعية تصل الشعر بالموسيقى، ووظيفة بصرية تصل الشعر بالتشكيل.

أما الوظيفة السمعية، فتلخص مجمل قيم التماثل الصوتية التي ينزع الشعر بمقتضاها إلى الدوام في الذاكرة الإنسانية. ولا ينبغي أن يفهم التماثل هنا على أنه تطابق تام، لأن ما نأنسه في الشعر من تماثل إنما ينشأ



بفعل صور التشابه والتقابل الصوتية، بدءاً من التماثل الحاصل في نسق الصوائت والصوامت داخل اللفظ الواحد أو المتتالية الواحدة، مرورا بما ينجم بين سلسلة من المتتاليات الشعرية من أنماط التماثل القائم بين أطراف صوتية مفردة أو مركبة، هذه الأطراف التي قد تتجاوز المقطع لتشمل النص الشعري في مواقع صدرية وحشوية وختامية.

وأما الوظيفة البصرية، فتقتضي الوعي بما لحق أشكال القصيد من تطور انعكس على الفضاء الطباعي عبر مراحل تاريخ الشعر الإنساني، لدرجة يمكن معها القول: إن التأريخ لتطور الأشكال الشعرية، هو تأريخ لتدرج الوعي بالإيقاع بوصفه مكونا مركزيا في بناء لغة الشعر. هذا ما قرره هـ.ميشونيك H.Meschonnic أحد كبار المنظرين للإيقاع في الشعرية الغربية الحديثة حين قال: «إن الوعي الشعري، هو أساسا، منذ النظم الاسكندراني إلى قصيدة النثر، وعي إيقاعي».وإذا كان هذا الحكم يصدر من واقع الشعرية الغربية، فهو يصدق كذلك على ما استقر عليه الحال في الشعرية العربية، التي أفرزت بفعل تدرج الذوق الجمالي مجموعة من الأشكال الإيقاعية منذ العصر العباسي مرورا بالموشح الأندلسي ووصولا إلى قصيدة التفعيلة والقصيدة المدورة وقصيدة النثر، وما نتج عن ذلك من أنماط المزاوجة بين العمودي والحر، أو المنظوم والمنثور، أو المقطعي والمدور وغيرها. كل هذا يقطع بأن الإيقاع أبرز مكون للتفاعل مع الشعر، وأن أي تجديد ما كان ليتم دون الوعي بمقتضيات الإيقاع وما يمكن أن ينجم عنها من أثر.

وفي محاولة تحديد مفهوم للإيقاع، ميز الدارسون بين معنيين: عام وخاص.

ويتلخص المعنى العام، في مبدأ التكرار الدوري الذي يكرس إيقاعا متوقعا يقوم على أساس التعاقب أو المعاودة.وهذا المبدأ نأنسه في مجالات متعددة بفعل النزوع إلى محاكاة الإيقاع الطبيعي، لكن القصيدة بهذا المعنى، حسب ن.فري N.Frey لا تحاكي الطبيعة بوصفها بنية أو نسقا، بل باعتبارها عملية دائرية تنبني على أساس المعاودة المستوحاة من مبدأ التكرار في الطبيعة.

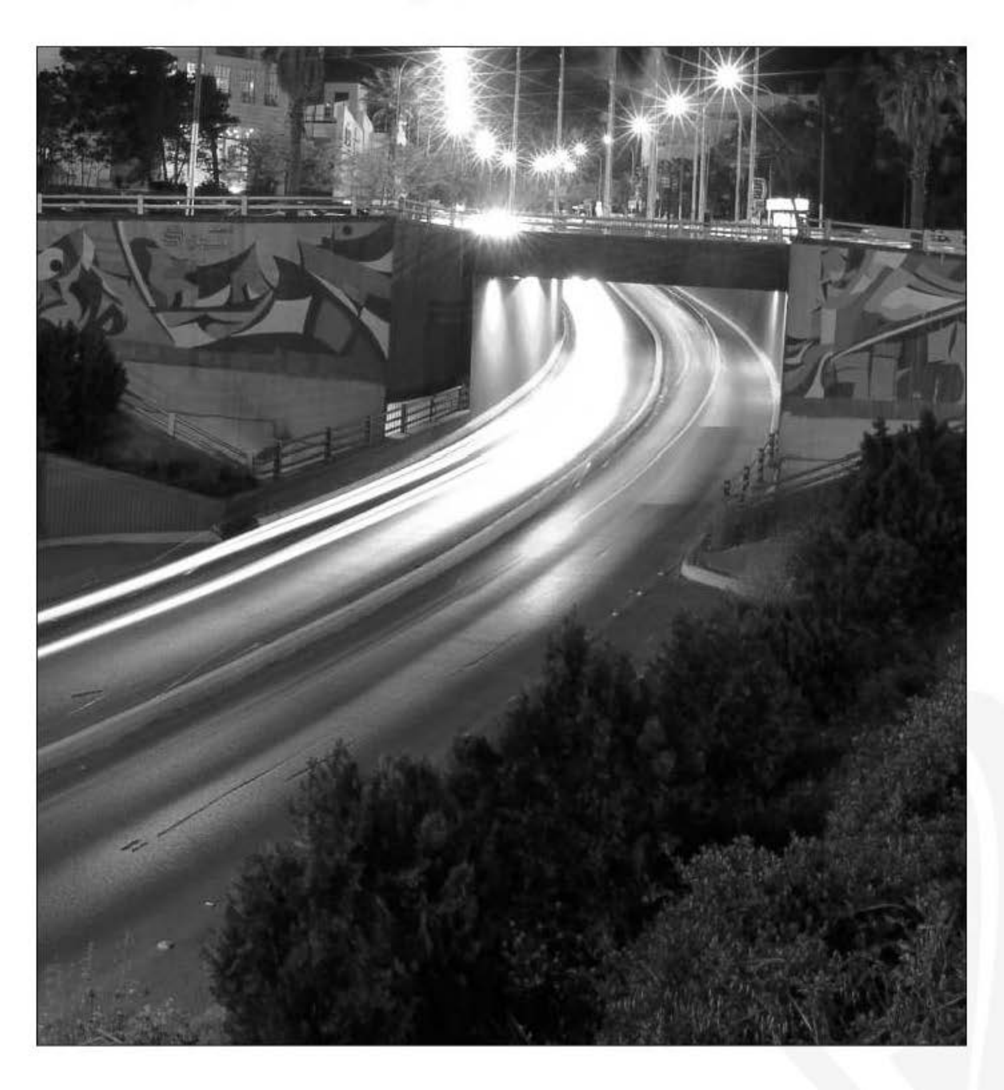
وبخلاف هذا المعنى الذي يتحقق في الشعر من خلال الوزن والقافية بصورتيهما النمطية، يكون للإيقاع الشعري معنى خاص يلخصه هـ.موربيه H.Morier في مبدأ الخرق والمفاجأة. والخرق هنا هو خرق للمتوقع والرتيب الأمر الذي يعني أن الإيقاع في الشعر هو الحركة mouvement التي يتم بمقتضاها إدراج المختلف أو إحداث تجاوزات داخل الثابت من النظام. ومن أبرز الآراء في هذا الصدد، الرأي الذي بلوره أو.بريك O.Brik في مقالة طريفة تحت عنوان (الإيقاع والتركيب) إذ رأى أن الإيقاع - مصطلحاً علمياً- هو تجسيد، على قدر من الخصوصية، لمجموعة من الإجراءات المحركة التي لا علاقة لها بالتعاقب الطبيعي في حركات الأجرام الفلكية والعناصر البيولوجية والميكانيكية الخ، لأن الإيقاع الشعري حركة تتم بطريقة خاصة.ولتعميق الوعي بهذه الحركة دعا إلى ضرورة التمييز بين الحركة وحاصل الحركة: فالقصيدة المنشورة في كتاب لا تقدم لنا سوى آثار عن هذه الحركة، ومهما حاول المختصون



الغوص في تحليل الأبيات الشعرية بتقسيمها إلى مقاطع وأعاريض في سعيهم إلى معرفة قوانين الإيقاع، فهذه القوانين لا تمثل الإيقاع بقدر ما هي نتيجة لحركة إيقاعية معينة. ذلك بأن الحركة الإيقاعية سابقة على البيت الشعري، حيث لا يمكننا فهم الإيقاع انطلاقا من خط الأبيات الشعرية، وبالمقابل يمكننا فهم البيت الشعري انطلاقا من الحركة الإيقاعية.

نستنتج من هذا الرأي أمرين أساسيين:

-أولا: إن الإيقاع حركة سابقة على الإنجاز الشعري، فلا يمكن إدراك إلا ما ينتج عن هذه الحركة وهو ما تقرره اللغة المكتوبة نفسها، أما هذه الحركة في ذاتها فمن الصعب إدراكها ما دام لها وجود سابق على الكتابة. ويرجع أصل هذا التصور في الشعرية الحديثة إلى ج.م.هوبكنس J.M.Hopkins الذي عرف الإيقاع بقوله:«أعرف الإيقاع بأنه حركية



الكلام في الكتابة».ونسبة هذه الحركة أو الحركية إلى الكلام دليل على الطابع الفردي أو الذاتي للإيقاع، هذا الطابع الذي يقضي بأن الشعر ما هو إلا علاقة قائمة أصلا بين فاعل الكلام واللغة، وفي ظل هذه العلاقة يكون الإيقاع حركة الانفعال الخاص الذي يسقطه الشاعر على اللغة. لهذا فمن الصعب تقدير هذه الحركة في ذاتها ولو بالنسبة للمبدع نفسه، لأنها تتولد في لحظة معينة أو في لحظات متقطعة أثناء عملية الإبداع الشعري.

الأمر الثاني الذي نستنتجه من كلام بريك، أنه من الصعب فهم هذه الحركة الإيقاعية انطلاقا من خط الأبيات الشعرية في حين يمكن فهم هذه الأبيات انطلاقا من الحركة الإيقاعية. وهذا الأمر كفيل بأن يضع حدا فاصلا بين الوزن والإيقاع، فرغم أن الوزن جزء من الإيقاع على صعيد التصور النظري، إلا أن هناك فرقا بينهما على صعيد التمثل النقدي: فالوزن يمارس فعله بشكل خفي، لأنه حسب تعبير تيماشيفسكي «هو المعيار الذي نصف وفقه مجموعة من الكلمات بالمقبولية أو بعدمها في صيغة شعرية مختارة». ولأن الوزن معيار، فهو من مقتضيات التركيب الشعري، ما دام يفرض على مستوى محور التأليف سلسلة من الاختيارات الممكنة التي تقتضي من الشاعر في نظر حازم القرطاجني :» نظم العبارات التي أحضرها في خاطره منتثرة فيصيرها موزونة، إما بأن يبدل فيها كلمة مكان كلمة مرادفة لها، أو بأن يزيد في الكلام ما تكون لزيادته فائدة فيه أو بأن ينقص منه ما لا يخل به أو بأن يعدل من بعض تصاريف الكلمة إلى بعضها، أو بأن يرتكب أكثر من واحد من هذه الوجوه.».فالوزن هو الذي يضفي على الشعر نحوه الخاص، إذ يسهم في تكثيف التراكيب بواسطة البناء المتماسك للكلمات.

وبخلاف ذلك، يمارس الإيقاع فعله بشكل بارز وظاهر على سطح اللغة، إذ هو، وبالقياس إلى مجمل المكونات الأخرى ضمن النظام نفسه، شبيه في نظر ي.تينيانوف (I.Tynianov) بالزيت الذي يطفو على سطح الماء»، الشيء الذي يعني أن الإيقاع ينعكس أثره على الأداء اللغوي للشعر، لأنه من مقتضيات الصورة الشعرية التي تتنوع تفاصيلها في النص الواحد تبعا للتدرج في منحنى الأداء الشعري. وبهذا فالصورة الشعرية في النصوص الجيدة وهي صورة إيقاعية، حيث تتقوى دلالتها بفعل الآثار الإيقاعية المصاحبة، وهذا أمر قديم قدم الشعر نفسه نلمسه من خلال التقطيع الصوتي وليس التقطيع العروضي .

لهذا وغيره، يتعين أن الإيقاع بنية فاعلة في لغة الشعر سواء في اعتباره عاملا بانيا Facteur constructif يمثل في نظر ي.تينيانوف، الجوهر المميز للشعر الذي يوصف بأنه نسق للتفاعل القائم بين هذا العامل وعوامل أخرى غير بانية. وتأتي أهمية الإيقاع في نظر ج.كريستيفا J.Kristeva ، من وظيفته التي تفيد بأنه إوالية mécanisme أكثر عمقا من المقولات اللسانية، لأنه يسهم في خلق سلسلة من المتتاليات الشعرية التي يظهر أثرها على سطح اللغة، الأمر الذي يستدعي في نظرها -عند تقدير الإيقاع- تجاوز التصور

التقليدي الـذي كـان يحصر إيقـاع الشعر الغربي في حدود النظم العروضي.هذا الدور الوظيفي للإيقاع في لغة الشعر، ناتج حسب هـ.ميشونيك من كون الإيقاع يتعلق بدلالة الخطاب الكلية (التدليل:la signifiance) وهي القيم الخاصة بخطاب معين دون غيره، ما دام الإيقاع حصيلة التفاعل العضوي بين جميع مكونات الخطاب الشعرية.

---

* أستاذ جامعي/ ك. الآداب -المغرب



الكاتبة الفرنسية جورج صاند

ملهمة شوبان، ألفريد دي موسيه، ودلاكروا

شغفها المتمرد بالحياة جعل منها معشوقة مستحيلة

لنا عبد الرحمن *



«في يوم ما سيفهمني العالم أكثر، لكن غير مهم إن لم يأت هذا اليوم، سأكون قد فتحت الطريق لامرأة أخرى». هذه العبارة التي وصفت جورج صاند نفسها بها تلخص كيان هذه المرأة الفريدة في عصرها.

لقبت بروائية الأرياف و قال عنها المؤرخ والفيلسوف الفرنسي«إيرنست رينان» (١٨٢٣-١٨٩٢) : «ستظل روائع «جورج صاند» تُقرأ بعد ثلاثة قرون».

وقال عنها فولتير» إنها «الروائية التي تجسد المجد الفردي للأدب النسائي».

في حين عدها «دوستويفسكي»: «رمزاً للمرأة الفريدة في موهبتها».

رثاها «فيكتور هوغو» فقال: «لم تفتقر هذه المرأة المجيدة إلى شيء؛ إذ كانت قلبا كبيرا

وفكرا عظيما وروحا نبيلة ولا بد من الإقرار بأن ما يميز روائعها عن غيرها وما يجعلها قوية التأثير شيئان: عذوبتها ودعوتها إلى الخير».


منزل جورج صائد

«أورور أرماندين دوبان بارونة دودافان» هو الاسم الرسمي للأديبة الفرنسية المعروفة في الأوساط الأدبية بـ«جورج صاند».. ولدت في باريس مطلع تموز ١٨٠٤م وتوفيت في منطقة «نوهان» عام ١٨٧٦م.. وهي ابنة ضابط كبير في الجيش الإمبراطوري النابليوني.. قضى والدها نحبه ولم تتجاوز سن الرابعة. فاهتمت بها جدتها المقيمة في الريف لتمضي «أرماندين» طفولتها بعيدة عن العاصمة تستمع لقصص يرويها الفلاحون في جلساتهم.. حولتها الأديبة فيما بعد إلى مادة أولية لروائعها. وما أن بلغت الثالثة عشرة حتى انتقلت إلى مدرسة داخلية للراهبات وقد فجّرت هذه المدرسة في أعماقها حب التمرد في بادئ الأمر ومن ثم التوق لاعتناق حياة الأديرة.. وفي عام ١٨٢٢م تزوجت البارون «دودافان» لتهجره بعد أقل من عشر سنوات برفقة ابنتها وولدها.. استقرت في باريس لتثير حولها زوبعة من الاستنكار في الأوساط المحلية لخروجها بزي الرجال وانتقائها البنطال وتدخينها البايب والسيجار.. شغلت مغامراتها العاطفية الصالونات الأدبية الأوروبية بدءاً بصداقتها مع «جول صاندو» الأديب الذي استعار لها لقب «جورج صاند»، وساعدها في كتابة أول رواية تنشرها «وردة بيضاء»، ثم دخل حياتها الشاعر الرومانسي «ألفريد دو موسيه». وتروي «جورج صاند» قصة هذا الحب المتقلب في رائعتها: «هي وهو» وصدرت عام ١٨٥٩.. فردّ عليها شقيق «ألفريد» ويدعى «بول دو موسيه» برواية مضادة عنوانها: «هو وهي».. عرفت «صاند» الشهرة الأدبية عام ١٨٣٢ حين صدرت لها رواية «إنديانا» ثم «فالنتين» ١٨٣٢ و«ليليا» عام ١٨٣٣ ثم «جاك» ١٨٣٤ و«موبرا»١٨٣٦ وتضمنت تلك الأعمال قصص حب رومانسية وتقلبات المشاعر العاطفية الصاخبة بالعشق والوله والاندفاع كما عاشتها «صاند» برفقة «صاندو» و«موسيه» و«ميشيل بورج» و«بيير لورو» و«شوبان».

وقد كانت مضامين تلك القصص مستمدة من الريف والمدينة.. وفي عام ١٨٣٧ ذهبت «صاند» مع الموسيقي البولوني الكبير «شوبان» إلى جزر «باليارياس» قبل أن تمضي بصحبته عشر سنوات معبأة بالسعادة الصارخة.. انتقلت مع نهاية تلك العلاقة الغرامية إلى الحياة السياسية لترتبط

بمجموعة «الديمقراطيين الفرنسيين» أمثال «باربيز» و«آراغو» و«لامونيه».

العرافة

لكن جورج صاند لم تكن مجرد امرأة جريئة ومتحررة، لبست الهندام الرجالي وغيّرت اسمها من «أورور» إلى «جورج» ودخّنت السيجار وكتبت حين لم تجرؤ أية امرأة أخرى على نشر أفكارها في العلن. وليست«صاند»أيضا كاتبة عادية دخلت في علاقات متشابكة مع رواد عصرها من كتاب وفنانين. فاليوم بعد أكثر من مئتي عام على ولادتها وفي القرن الواحد والعشرين تبدو لنا هذه الكاتبة ذات رؤية مميزة تحمل أبعادا تجاوزت عصرها سواء عبر آرائها السياسية أو عبر نصوصها الأدبية. ألم تتوقع أن تتحول ألمانيا من عدوة تقليدية لفرنسا إلى صديقة لها كما ذكرت في «يوميات مسافر خلال الحرب»! قالت «صاند» يومئذ: «ستتمخض مصالحة الجنسين الفرنسي والألماني غداً عن ولادة علاقة أخوة دائمة ستغدو قانون مستقبل السلالات المتحضرة».ولتصبح «جورج صاند» عرابة دعاة السلم مطلع الألفية الثالثة بعد أن أطلقت نهاية القرن التاسع عشر هذا التحذير فوق صفحات الفيغارو: «ها نحن نخوض حروباً فظيعة تسيطر فيها الأهوال والعلوم التدميرية على مصائر البشر.. فإذا كل حرب أشد وحشية وإجراماً من سابقتها.. ولتظلوا (وتتوجه هنا إلى الحكومات الأوروبية) وحيدين أمام أسلحتكم.. لم يعد أمامكم سوى تفجير الكرة الأرضية والقضاء على كل شيء».. دافعت «جورج صاند» عن البيئة كواحدة من أشرس أنصارها دون أن تدري أنها من حماة هذه البيئة.. فكلمة «البيئة» لم تظهر في القرن التاسع عشر وإنما في القرن العشرين.

وها هي تكشف بدءاً من عام ١٨٧٢ الجرائم المرتكبة بحق البيئة من اقتلاع للأشجار وإحراق للأحراش في نص يصلح أن يطبع اليوم دون تغيير أي كلمة. ولعل أكثر ما اشتهرت به «صاند» هو أدب الرسائل، إذ كتبت رسائل تفوق مرتين عدد أيام عمرها، كما يُعرف أنها كانت سريعة في الكتابة إلى حدّ لا يوصف: كتبت رواية «فاديت الصغيرة» وهي من أجمل رواياتها في غضون أربعة أيام، فلُقّبت آنذاك «بالكاتبة المتدفقة كالنهر»، وقيل أيضاً عنها: «قلمها نهر جارف لا ينضب. كتبت جورج صاند أيضا مذكراتها تحت عنوان«قصة حياتي»تصف فيها الأدبية حفنة من الأصدقاء الذين أحبتهم أمثال: «بلزاك» و«سانت بوف» و«غوستاف فلوبير» و«دولاكروا» و«شوبان» و«موسيه». ووجهت هذه الرسائل الأنظار مجدداً إلى سيرتها الذاتية التي تناولها باحثون كبار وكتبوا دراسات عنها. وتستمد الرسائل أهمية بالغة من حيث تأريخها لأحداث ووقائع ثقافية وفنية مهمة (بالإضافة إلى الاضطرابات السياسية) التي عاشتها أوروبا في هذه المرحلة. وهي تعجّ بأسماء أعلام ومرجعيات تكشف عما كان يموج في أوروبا. أما كتابها «رسائل مسافر»، فقد نشرته في عام ٢٠٠٤ وتجمع فيه مختارات من عشر رسائل كتبتها «صاند» خلال تجوالها بين فرنسا وإيطاليا وسويسرا بين الأعوام (١٨٣٤ـ١٨٣٦) في حين مجدت «صاند» في كتابها «حكايات الجدة» الطبيعة من خلال دفاعها عن الأشجار والتراث الفولكلوري لمنطقتها «بيري».. وهوعبارة عن قصص كتبتها الأدبية لحفيدتيها «أورورا» و«غابرئيل». ومن أهم أعمالها الأدبية أيضا «أنديانا» التي

تحدثت فيها عن امـرأة شابة تعيسة ﴾ علاقتها الزوجية، ورواية«ليليا» التي وصفت فيها المشاعر الجنسية للمرأة ولاقت رفضا واستهجانا كبيرا ﴾ ذاك العصر بسبب صراحتها ﴾ الكتابة عن العوالم الداخلية للمرأة.

ملهمة المبدعين

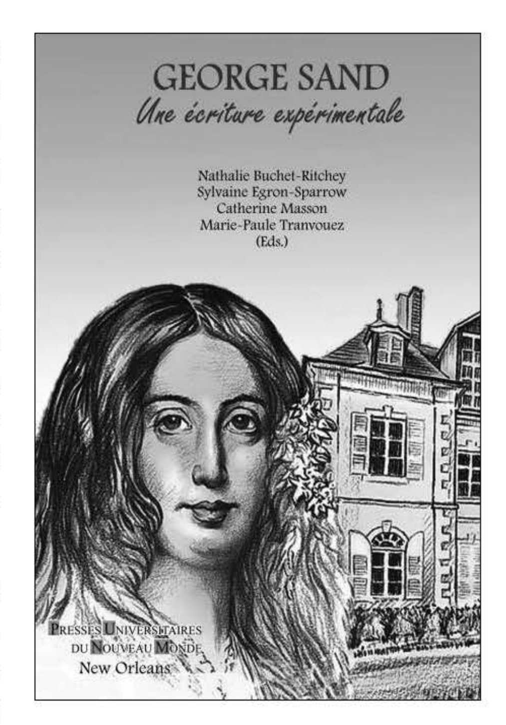
أكثر ما ارتبط اسم «جورج صاند» بثلاثة رجال عظماء هم شوبان، والشاعر الفريد دي موسيه، والرسام ديلاكروا. ولعل من أكثر الحكايات شيوعا قصتها مع «الفريد دي موسيه». ففي عام ١٨٣٣ التقت «صاند» مع «دي موسيه» وسرعان ما توهج بينهما حب عنيف جارف، عرفا فيه كل لحظات السعادة وكل لحظات الشقاء. وقد سافرا إلى إيطاليا كما يفعل العشاق الفرنسيون عندما يريدون أن يعيشوا لحظات السعادة ﴾ الحب. سافرا إلى مدينة البندقية، أجمل مكان ﴾ العالم بالنسبة لشاعر عاشق وامرأة محبة، ولكن لسوء حظ الفريد دي موسيه فإنه وقع صريع الحمَّى والمرض. فأخذوه إلى المستشفى. وهناك تعرفت جورج صاند على الطبيب الذي جاء لمعالجته. وكان شاباً إيطالياً وسيماً. ويقال إنها وقعت ﴾ غرامه كما ورد ﴾ مذكرات الشاعر، لتنتهي علاقتهما التي تعد أهم علاقة ﴾ حياة «دي موسيه» ففي حين انتهت هي منها ظل هو غير قادر على الخلاص نهائيا من سطوة الحب، ﴾ الوقت الذي امتلكت «صاند» قدرا من الإرادة الحرة التي مكنتها من الدفاع عن نفسها دفاعا قادرا على تأطير التأثيرات التراجيدية للحب وآلامه. إن مجموعة قصائده (الليالي)، التي كتبها من أجل تمجيد علاقته الغرامية مع هذه الكاتبة الفرنسية، إنما هي ﴾ جوهرها نوبات سيكولوجية ألمت بالشاعر بعد انقضاء العلاقة وانطفاء جذوة الحب.

ووصفت صاند هذه العلاقة قائلة: «العالم لن يفهم شيئاً من هذه المعادلة لكننا سنستمر ﴾ تبادل الحب وسنسخر منه»، وموسيه قال: «الحياة هي الغفوة والحب هو الحلم، ونحن لا نعيش حقاً إلاّ إذا أحببنا...» ويوم افترقا لم يتفهم أحد من حولهما كيف ينتهي هذا الحب وهما شرحا أن روح الاستقلال وعدم التساهل لدى الاثنين قاداهما إلى الانفصال وذاك الشغف المتّقد والمدمّر تحوّل عند كليهما إبداعاً ﴾ الكتابة.

يلتقي أوجين دولاكروا وجورج صاند ﴾ نهاية سنة ١٨٣٤، كان يبلغ السادسة والثلاثين، أما هي ففي الثلاثين من عمرها. كانت روائية شهيرة ومثار جدل. أما هو فقد كان رسّاماً معروفا يتمتع بتقديرعدد قليل من هواة الفن، لكنهما يفترقان بصفة نهائية ذات يوم من شهر أغسطس (آب) سنة ١٨٦٣. بعد علاقة استمرت زهاء ثلاثين سنة من مراسلات لم تتوقف بل تشهد وتكشف عن لعبة المراسلات، وعن إغواء غامض بين فنان وكاتبة كبيرين من القرن التاسع عشر.

نقرأ ﴾ مقدمة كتاب «جورج صاند ودولاكروا.. مراسلات اللقاء المستحيل» بأن جورج صاند تحدثت مع دولاكروا عن الرسم، قائلة له «إن مصدر الإلهام لا يوجد من خلال أداء نقدي خاص ﴾ هذا الميدان، ولكن ما يلهمها إنما هو صداقتها مع الفنان».

أما قصتها مع شوبان فظلت غامضة وغير واضحة بالقدر الكافي، أحبت «صاند» شوبان وأقاما معا قرابة عشرة أعوام، بدأت علاقتهما كصديقين، ثم صارا حبيبين رغم أن صاند كانت تكبر شوبان بست سنوات



تقريبا، لكن لم يكن هذا جوهر الخلاف فقط، فقد كانا من طبيعتين مختلفتين، «صاند» الجريئة بل الفضائحية كما يتهمها البعض، مقابل «شوبان» المنطوي والخجول. أحبت «صاند» شوبان كثيرا إلا أنها أيضا تخلت عنه بشكل حاد وقاطع ففي ٢٨ تموز ١٨٤٧ تلقى شوبان رسالة وداع من صاند حتى أنها رفضت حضور مراسم دفنه، وكتب النقاد حول موقفها منه قائلين إنها تأكدت من دخوله في علاقة مع ابنتها التي أقامت معهما فترة وجيزة في القصر.

بعد ثورة ١٨٤٨، بدأت «صاند» في خوض كتابات اجتماعية وسياسية متطرّفة: في «رسالة إلى الطبقة الوسطى» توجهت إلى قرائها طالبة منهم التوحّد في سبيل التوصّل «إلى حقيقة اشتراكية»، وفي «رسالة إلى الأغنياء» شرحت أن إحساسها يؤكد أن فرنسا مدعوة إلى خوض غمار الاشتراكية بعد قرابة القرن. واستمرت في كتابات مماثلة نشرتها في أعداد من مجلة «بيان الجمهورية» ومن بعدها في مجلة خاصة أسستها ولم يصدر منها سوى ثلاثة أعداد وهي مجلة «قضية الشعب». عاشت صاند هذه المرحلة الصاخبة من تاريخ فرنسا بحماسة وشغف لا مثيل لهما وناضلت وكتبت كما لم يكتب أحد من معاصريها إلاّ القلائل، وحين سحقت النتائج الانتخابات الشعبية كتبت: «أنا أخجل اليوم من كوني فرنسية... لم أعد أؤمن بجمهورية تسحق وتدمّر طبقة البروليتاريا...».

غادرت «صاند» إلى الريف مبتعدة عن باريس، وانصرفت أكثر إلى كتابة رواياتها «فكتيت»«جان» و«كونسويللو»و«الطحان ودنجيبو»، وكانت تكتب بغزارة قلما جاراها أحد بها، فكانت تنهمك في كتابتها وأعمالها في محاولة للهروب من عذاباتها، فقد عرفت الكثير من الألم في الحب والعائلة، وهي التي قالت «دعوني أهرب من وهم السعادة الكاذب والمجرم! أعطوني العمل والمزيد من العمل والانشغال والتعب والألم والحماسة والشغف». وهكذا استمرت حتى اللحظات الأخيرة من عمرها مقبلة على الكتابة والإبداع بشغف كبير، حتى أننا نرى آثار هذا التوهج في كل الرسومات والمنحوتات التي رسمت لها على يد مبدعي ذاك العصر، تلك اللوحات التي تعكس وجه امرأة فريدة في الروح والعقل. والجدير ذكره أيضا أن السينما الفرنسية قد جسدت حياة هذه الكاتبة في أكثر من فيلم كان آخرها فيلم «أولاد القرن»وجسدت دورها الممثلة الفرنسية «جولييت بينوش».

* كاتبة من لبنان مقيمة بالقاهرة



شاعرة ألمانية تلتصق بعمق مع ثقافتها

نللي ساخس
سادس امرأة تنال جائزة نوبل للآداب

نضال علي القاسم *



في العام ١٩٦٦ مُنحت جائزة نوبل للآداب لكاتبين. الأول إسرائيلي من مؤسسي الإبداع باللغة العبرية وهو (صموئيل عجنون)، والثانية كاتبة ألمانية يهودية متعصبة لم تكن معروفة كما ينبغي في الأدب الألماني الحديث إلا بعد حصولها على جائزة نوبل للآداب، وهي نللي ساخس، الشاعرة الثانية التي تحصل على الجائزة بعد الشاعرة الشيلية جابرييلا ميسترال (١٩٤٥).

ونللي ساخس، شاعرة وكاتبة مسرحية ولدت في برلين لعائلة

يهودية برجوازية، و هي الطفلة الوحيدة للمخترع ورجل الصناعة وليم ساخس و لمرجريتا كارجر، وقد اشتهرت نللي شاعرة في سن متأخرة وهي سادس امرأة تحصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٦ مناصفةً مع «صمويل جوزيف»، وقد فازت بجائزة نوبل للآداب قبل وفاتها ببضعة أعوام. ونللي ساخس ذات ثقافة يهودية أوروبية، وهي الثقافة التي تهتم بمعاناة اليهود، ومتاعبهم وتؤكد ما حدث في معسكرات الاعتقال على أيدي النازيين، ولقد كانت قصائدها مستوحاة من الثقافة اليهودية، وامتلأت مفردات شعرها بتعبيرات تلمودية من العهد القديم.

ولم يكن الأب وليام ساخس ميَّالاً إلى تعليم ابنته خارج المنزل، لذا، فقد وفَّر لها سبل التعليم في المنزل، وكعادة أبناء الأثرياء فقد تلقت تعليماً خاصاً في المنزل؛ فتعلمت الموسيقى والرقص قبل أن تبدأ في كتابة الشعر، وقد ساعدها ذلك أن تنهل في طفولتها وصباها من الأدب الألماني، خاصة الشعر الرومنتيكي، وعندما بلغت الخامسة عشرة من عمرها بدأت في مراسلة الأديبة السويدية سلمى لاجيرلوف، وقد استمرت المراسلات بينهما مدة خمسة وثلاثين عاماً حتى توفيت لاجيرلوف. وقد نظمت أولى قصائدها وهي في السابعة عشرة من عمرها، وبدت متأثرة بالصوفيين الذين يعشقون الله والحب والموسيقى والموت.

بدأت ساخس تكتب أول أبياتها التي لفتت انتباه الكاتب النمساوي الشهير (ستيفان زفايج) فساعدها في نشر قصائدها الأولى وكان له فضل كبير عليها، فهي بالنسبة له شاعرة ثرية تلتصق بعمق مع ثقافتها وإبداعها، بالإضافة لما قدمته لها سلمى لاجيرلوف، وقد بدأت قصائدها الغنائية تظهر على صفحات الجرائد والمجلات في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي.

تعرفت في شبابها على شاب عدّته خطيبها، لكن أباها رفضه زوجاً لها، فقد رآه غير مناسب لابنته، وظلت هي تلتقيه سراً طوال ثلاثين عاماً، إلى أن تم القبض عليه في عام ١٩٤٠، وقد تأثرت كثيراً بموته عام ١٩٤٣، فكتبت قصائد مليئة بالألم، وفي عام ١٩٤٧ ظهرت مجموعتها الشعرية الأولى (في مساكن الموتى) وهي أشعار تمكَّن بعض الأصدقاء من إحضارها من بيتها القديم في ألمانيا الشرقية التي وقعت بين أيدي الشيوعيين وفي هذه المجموعة تتحدث الشاعرة عن معاناة اليهود في ذلك الوقت، وعقب وفاة أبيها في عام ١٩٣٠ عاشت نللي مع والدتها في ألمانيا التي حكمها النازيون، فهربتا إلى السويد بمساعدة سلمى لاجيرلوف، واستقرتا في ستوكهولم،وعند وصولهما إلى السويد توفيت سلمى، فاضطرت للاعتماد على نفسها لتأمين معيشتها هي ووالدتها، وفي السويد مدَّت بنات جاليتها لها يد المساعدة، فعملت في ترجمة الشعر الألماني، وبدأت نللي في نشر أشعارها وعاشت مع والدتها في شقة من غرفة واحدة وحصلت على الجنسية السويدية، إلا أنها

> نللي ساخس .. هي الابنة الوحيدة للمخترع ورجل الصناعة وليم ساخس و لمرجريتا كارجر

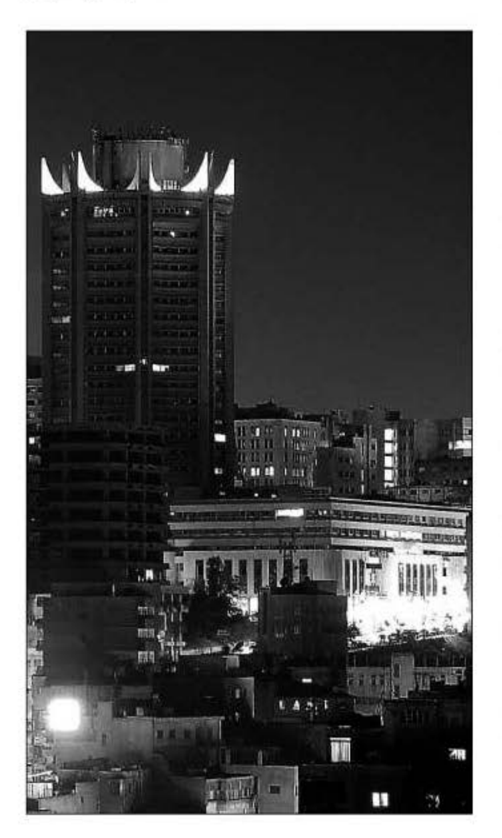
واصلت الكتابة باللغة الألمانية، وفي عام ١٩٤٩ أصدرت مجموعتها الشعرية (أفول النجوم) وفي عام ١٩٥٠ ماتت أمها، وفي عام ١٩٥٧ أصدرت (لا أحد يعرف أين يذهب)، أما في عام ١٩٥٩ فقد صدر لها (تحليق وتحول) وفيها تؤكد مسألة العذابات وآلام النفي والتعذيب والموت التي لاقاها شعبها، أما مسرحياتها فإننا نذكر هنا مسرحيتها (إلي) في عام ١٩٥٠ التي بثت في الإذاعة الألمانية وحققت نجاحاً منقطع النظير، ولقد حصلت ساخس على مجموعة من الجوائز في السويد وألمانيا؛ ففي عام ١٩٥٦ حصلت على جائزة السلام التي منحها لها اتحاد المكتبات الألمانية، وفازت كذلك بجائزة (رابطة الشعراء السويديين) في عام ١٩٥٨، وفي عام ١٩٦١، صدرت لها مجموعة أعمالها الكاملة التي ضمَّت جميع أشعارها تحت عنوان (رحلة إلى العالم الآخر)، وقد ظهرت تراجم بالإنجليزية لبعض أعمالها عام ١٩٦٧ ولمسرحيتها الشعرية (إلي)، كما ترجمت مجموعتها (الوجود في الليل) إلى الفرنسية عام ١٩٦١، وصدرت أعمالها المسرحية الشعرية بعنوان (علامات على الرمال) في عام ١٩٦٢. ورغم أن الحرب انتهت إلا أن الكاتبة لم تترك السويد حتى ماتت هناك في عام ١٩٧٠، وكانت تتنقل من آن لآخر بين سويسرا وألمانيا.

ولسنوات طويلة من عمرها بقيت نللي أسيرة لنفس التجربة الإنسانية في أشعارها، وذلك حتى الستينيات، وبقيت موضوعاتها الأساسية تتمحور حول جملة من القضايا الرئيسيّة والمتكررة وهي: الحنين والتساؤل عن كراهية إسرائيل، ومعاناة الكاتب في المنفى، وبقيت كذلك إلى أن حدث تحول في تجربتها الشعرية في منتصف الستينيات عندما اتجهت أكثر نحو الله وزاد تعصبها الشديد نحو إسرائيل وديانتها في السنوات القليلة التي سبقت حصولها على الجائزة مما أعطى مسوّغاً كافياً لجماعات الضغط الصهيونية وللماكينة الإعلامية الصهيونية من التبشير بها ودعمها لكي تحصل على جائزة نوبل.

وقد بدأ هذا التحول في ديوانها الخطير (مسخ الكائنات) وديوان (جسر الألغاز)، وأما أفضل ما كتبت فهو (البرج المائل) عام ١٩٤٦ أي قبل فوزها بنوبل بعشرين سنة، وفي هذه الأعمال زادت حدة بكائياتها وصلواتها وابتهالاتها.

---

* كاتب من الأردن





الفيلم السينمائي المصري

بين عشوائيات «حين ميسرة» وشزوفرينيا «كباريه»

محمد محمود البشتاوي *

صورة مصغرة لـ «أم الدنيا» مصر بين العشوائيات الشعبية المسحوقة تحت عجلات الفقر والحرمان والمرض، ومجتمع «الكباريه» وما يحفل بِهِ من حياة وردية تقوم على الرفاة الظاهر فيما الصراع على أشدِّهِ بين مختلف الأطراف في حين نجد الطبقة الوسطى وقد انقرضت، وطمست في ظل تحولات رأس المال وصعود مراكز النفوذ والقوى لتبسط سيطرتها على الجميع.

شزوفرينيا الكباريه!

ما يؤخذ على فيلم «الكباريه» للمخرج سامح عبد العزيز، تصوير الشخصياتِ وكأنها تعاني من «شزوفرينيا»، ومثال ذلك أن الممثل صلاح عبد الله (شخصية فؤاد حامد) صاحب ومدير «الكباريه»، لا يتعاطى ولا يشرب الخمر، ولا يميل لمعاشرة النساء، ويكتفي بـ «عصير البرتقال واللبن»، وفوق ذلك يعتمر كل سنةٍ هو و«الحجه»، زوجته من مال الكباريه!، بينما نجدهُ ظالماً ومتسلطاً بحق أخيه، والعاملين معه، إلى جانب تملقه ومنافقته لزبائنه!.

وشخصية «فؤاد حامد»، مركبة جداً، تقوم على إدارة «الكباريه»، ضمن سلوك مناقض لمقتضيات هذا العمل، فمسبحته بيده، ولباسه يميل إلى الوقار، فيما الأناشيد الصوفية تصدح في أركان غرفتهِ الخاصة!، ما يؤشر على شزوفرينيا المجتمعَ المصري!، وتالياً المجتمع العربي عموماً!.

في «الكباريه»؛ نجد «علام» – أحمد بدير – النادل الذي يمتهن هذا العمل منذ ٣٠ عاماً، يصلي، تقي، ومؤمن ورع!، فيما جمانة مراد تعمل في الكباريه «ريكلام» – تجالس الزبائن لجمع المال وتدير شبكة من النساء -، فهي تشقى وتكد وتعرض ما تيسر من



جسدها وزينتها، فقط كيْ تؤمن لوالدتها الدواء والمال اللازم لتأمينها في حجٍّ تنال به الثواب والأجر.

تتصاعد الشزوفرينيا، وتشتد مع علاء مرسي، الذي يعمل في جمع «الدولارات» من تحت أرجل الراقصات، كي يؤمن لابنته تكاليف مدرستها!، مع أن زوجته المحجبة موقنة أن هذا المال حرام «لا يسمن ولا يغني من جوع».

ورغم ما يتميز به العمل من إثارة تشدُّ بداخلكَ آخر نفس كي تستمر في المتابعة، فإن خللاً ما يقطعُ عليكَ متعة المشاهدة!؛ الفنان محمد شرف، العامل في «الكباريه»، حين يخرج، ويسرق، ويضرب وتصدمهُ سيارة!، ثم ينقل للمشتشفى فتبلغهُ الممرضة أن ساقه بتر، فلا يكون منهُ إلا إسناد ظهرهُ إلى الحائط!، وإغماض عينيه، في ردة فعل لا أبالية، وكأنما فقد الرجل نظارته الشمسية!.

أحداث الفيلم في «الكباريه»، اعتمدت على «الريكورات» كثيراً، رغم أن «الكباريه» مبني بديكورات حديثة، جاذبة، بها الكثير من البذخ، و«كومبارس» متنقل بين الرقص و«فت الدولارات»، فإن عنصر الأمن الغائب كانَ مثار تفكيرا!، فكيف لـ «الانتحاري» أن يدخل – ولأول مرة – دون أن يُفتَّش، أو يمر من تحت جهاز المراقبة!.

كان أجدر بكاتب السيناريست أن يعالج هذه الفجوة، سيما وأن تفجير «الكباريه»، يمثلُ خطأً درامياً رئيسيا في العمل، يمثل الذروة في الخاتمة، وعنصراً جاذباً منذ بداية العمل، فالفنان «فتحي عبد الوهاب»، المنتدب من جماعته الإسلامية لتفجير «الكباريه»، يدخل كأنه صاحب «كار»، دون تفتيش يذكر، فيما تجدهُ مرتبكاً ينظر إلى هذا المجتمع الغريب عنه، فيتصرف بسذاجة «الغشيم»، وكل هذا لا يشكلُ لافتَ نظر لـ «البودغار» أو «حراس الأمن».

وفي الختام تنتهي المهمة بانفجار يسحق كل من في «الكباريه»، باستثناء أحمد بدير، النادل التقي والورع، الذي يأخذ بنصيحة «المتطرف»، دون أن يعلم بنيته للتفجير، فيخرج بذلك من هذه الكارثة، التي قالت عنها وسيلة إعلام بشكل مقتضب وسريع «انفجار في كباريه» يتسبب بمقتل المئات، «بسبب تماس كهربائي»!.

> **العشوائيات ترفض النزوع السلبي الذي يسيطر على المجتمع بأقل تقدير**

هكذا إذن!، مجرد تماس كهربائي فقط أحدث هذا الدمار الهائل، الذي أودى بحياة المئات، لينتقل بعدها قارئ نشرة الأخبار إلى حالة الطقس!.

الفيلم ورغم ما مضى من «شزوفرينيا»، وتناقض الشخصية الواحدة، التي تسعى للعمل في وكر «الجنس والقمار والمخدرات .. الخ»، من أجل هدف نبيل؛ رسوم مدرسية، توفير تكاليف الحج، أو من أجل العلاج .. الخ، فإنه نجح في شد كل خيوطه الدرامية بشكلٍ متصاعد إلى نهاية موفقة، أقفل خلالها الكاتب / المخرج العمل، ليترك أفقاً للتفكير، لما بعد الانفجار الضخم.

يبقى أن أشير إلى الموسيقى التصويرية للعمل، التي وفقت منذ البدايةِ في تشكيل تصورات حول طبيعة الفيلم، القائم على الإدهاش والإثارة، ما خلق شكلاً من التجانس

بين التصوير السينمائي والصوت، المنقسم إلى موسيقى تصويرية، وأغاني «الكباريه».

عشوائية «حين ميسرة» وتشكيل الصورة النمطية.

ما يؤخذ على فيلم «حين ميسرة» للمخرج خالد يوسف، أنهُ قفز بين فترات زمنية مختلفة – ما قبل احتلال العراق وبعد احتلاله – دون أن يربطَ هذه الفترات جيداً، فاختلط بذلك الزمن اختلاطاً، كسر متعة التسلسل الزمني المنطقي، في حين خرج المتابع للفيلم بصورة نمطية حول حياة التجمعات السكنية العشوائية، التي يكون مصيرها إما الانحراف الاجتماعي – بكافة صوره – أو التطرف بتشكيل جماعات مسلحة داخل هذه الأحياء، والسبب يكون – حسب المخرج – الفقر.

لم تكن في كل شخصيات العمل «العشوائية»، أية شخصية تجسد الخير، ما جعل من هذا التنميط، خللاً، أرادَ به الكاتب / المخرج نقل صورة قاسية لهذا الواقع، وقد نجح في ذلك، إلا أن نجاحه تمثل في الوقوف على سطح ذلك المجتمع دون أن يكلف نفسه الدخول إلى كواليسه والغوص في العمق، بعيداً عن «الصورة النمطية»، التي لم تقدم ما هو جديد حول حياة العشوائيات!.

كان يمكن كسر هذه النمطية، بخلق قوة شد عكسي داخل العشوائية – العشوائيات – ترفض النزوع السلبي الذي يسيطر على هذا المجتمع – بأقل تقدير –، وتحاول معالجة مكامن السلبية وبؤر التوتر في مجتمعها، الذي تنخرط فيه بشكل يومي.

"هنالك صناعة سينمائية مصرية جديدة، تريد أن تكون مختلفة عن المنجز السينمائي السابق"

والفيلم الذي أسقطَ هذه الاحتمالية، عمل على أكثر من خيط درامي، تشابكت فيما بينها، وتفارقت، وتصاعدت، وكانت لكثرتها تسير على خطى أفلام اللوحات، ما يعني أن المخرج سعى لمعالجة هذا الكل الضخم ضمن رؤية فنية واحدة، الأمر الذي تسبب في تشويش جعل العين أمام خليط متماثل من الأفكار التي تريد أن تقول ببؤس حياة العشوائيات، والتي ستنقرض بفعل أبنائها الفقراء والمتطرفين!.

وأخيرا نقول : بين فيلم «حين ميسرة»، و«كباريه»، يظهر التفاوت فنياً ومضمونياً بين الطرفين، الأول الذي ذهب بعيداً في خلق صورة نمطية لحياة العشوائيات، وجعلها أشبه ما تكون بـ «تجمع مافيوي»!، يقوم على السرقة والقتل والاغتصاب والشذوذ الجنسي، فيما الفيلم الثاني جعل من شخصيات الفيلم تتساوق في تماثل مصطنع قتل أهمية الاختلاف في المجتمع، الذي ظهر كأنما هو مصاب بـ «شزوفرينيا».

ومن خلالهما، يظهر أن هنالك صناعة سينمائية مصرية جديدة، تريد أن تكون مختلفةً عن المنجز السينمائي السابق، إلا أن هذه الرغبة في تحقيق الجديد النوعي، تكونُ قاصرةً عن بلوغ غايتها، حين تقع في أخطاء قاتلة، كتماثلِ الحالة النفسية بين الشخصيات مثال ذلك في كباريه ، أو خلق صورة نمطية لا تأتي بجديد كما حدث في فيلم «حين ميسرة» .

* كاتب من الأردن





إعــداد : جعفر العقيلي *

* سيدة الأعشاب

في مجموعته القصصية «سيدة الأعشاب» يواصل القاص خليل قنديل مساءلة الواقع والحفر فيه لإظهار الجانب الفانتازي من الحياة. يرصد قنديل في هذه المجموعة التي صدرت العام ٢٠٠٨، ضمن مشروع التفرغ الإبداعي الذي تتبناه وزارة الثقافة، تفاصيل الواقع الاجتماعي، والشعبي تحديداً، بلغة تروم تصوير المشهد بتفاصيلية والتركيز عليه بتدرجية، حيث يبسط الكاتب مشهداً عاماً، ثم تأخذ بؤرة الحدث تضيق أكثر فأكثر وصولاً إلى النهاية الصادمة التي تقلب الأحداث رأساً على عقب، وتخلخل القناعات الراسخة بالتوارث في بنية المجتمع الذهنية والفكرية.

من الأمثلة على ذلك، قصة «البيت» الذي تدور الشائعات حول كونه مسكوناً بالأرواح الشريرة، حتى يأتي زائر للحي ويقوم بترميم البيت يشب في البيت وبمن فيه حريق، فتعاود الهواجسُ أهلَ الحي حول البيت المسكون، وحده أبو يحيى البقال من يتجرأ على تسلُّق السور الخلفي لحديقة البيت، المطل على سقف السيل ليصطدم بالمفاجأة، إذ يرى «فتاة ممشوقة بيضاء، تسير في العتمة الصباحية لسوق سقف السيل، وتلوح له بإيشارب أبيض، بينما وجهها يطفح بالبشر».

قنديل الذي صدر له قبلاً، أربع مجموعات قصصية هي: «وشم الحذاء الثقيل»، «الصمت»، «حالات النهار»، و«عين تموز»، يقدم شخصياته القصصية ضمن إطار كاريكاتوري، وبما ينسجم مع خطابها وحركتها في المكان والزمان.

* مكبث

عن دار اليازوري، وبدعم من أمانة عمان، ٢٠٠٩، صدرت ترجمة جديدة لمسرحية شكسبير «مكبث» لعودة القضاة. ورغم أن «مكبث» تعد من أقصر أعمال شكسبير المسرحية التراجيدية، غير أنها من أكثرها إيحاء وتركيزاً وتكثيفاً. وفي الوقت الذي تتناول فيه «هاملت» مأساة رجل يتمسك بالأخلاق في مجتمع لا أخلاقي، فإن «مكبث» تعبّر عن مأساة رجل خارج على القيم والأخلاق في عالم أخلاقي، وفيها يقدم شكسبير المأساة التي هي نتاج حتمي للشر.

تدور أحداث المسرحية حول حكاية «مكبث» الذي يرتقي موقع السلطة، ثم سقوطه المفاجئ، فهو يظهر في بداية المسرحية جندياً شجاعاً ونبيلاً تكالبت عليه مؤثرات طبيعية (شهرته كمقاتل، ونفوذه كقائد للجيش) ومؤثرات خارقة (اجتماعه بالساحرات الثلاث في الخلاء بعد عودته من المعركة)، ما قاده بالاتفاق مع زوجته إلى قتل ابن خالته «دنكن» ملك البلاد.

يتضمن الكتاب مقدمة بقلم برنارد لوت يلقي الضوء فيها على مميزات مسرح شكسبير الذي كان يستعيض عن المؤثرات السمعية والبصرية والسينوغرافية بالتعبيرات المؤثرة والأشعار الرائعة التي تجسد المشاهد وتصفها بأسلوب شيق.

* أسئلة الشعر



يشتمل كتاب «أسئلة الشعر» الذي ترجمه من الإنجليزية أحمد الزعتري (دار أزمنة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩)، ثلاثة حوارات أجرتها دونالد هول مع ثلاثة شعراء محسوبين على حركة «الأدب المعاصر» التي ظهرت بداية القرن العشرين، لتقدم رؤية مختلفة للعصر الجديد المترنح بين الحروب العالمية والاختراعات الجديدة.

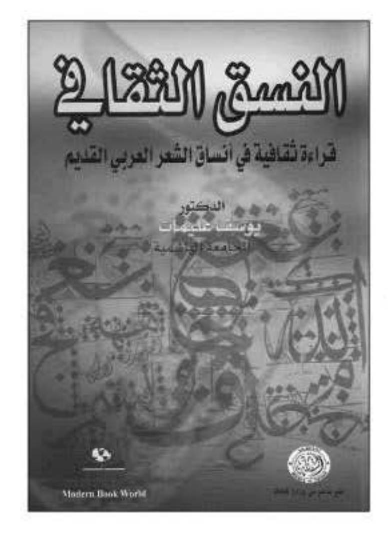
يتطرق إزرا باوند في الحوار الذي أجري معه العام ١٩٦٢، إلى تقنياته في الكتابة، وعلاقته بأبرز كتّاب جيله والكتّاب الشباب آنذاك، إضافة لتوقفه عند موقفه من الفاشية الذي أدى إلى اعتقاله لمدة أحد عشر عاماً في أميركا. باوند كان له الدور الأبرز في تطوير إيقاعات القصيدة الملحمية والنثرية والتجريبية، وكان له تجربة خصبة في ترجمة النصوص الصينية والإيطالية والإغريقية، كما أنه أنجز ملحمته الشهيرة (The cantos)، مقارباً فيها، وبشكل عصري،

«الكوميديا الإلهية» لدانتي.

في حوار هول مع ت.س.إليوت الذي أجرته العام ١٩٥٩، عبّر إليوت عن منجزه الذي يعد نقضاً لأسطورة الفرد المعاصر المفتون بالمتغيرات والاختراعات الحديثة، كاشفاً خواء المجتمع المعاصر، بخاصة في «الأرض اليباب».

أما بابلو نيرودا الذي كان منشغلاً بالسوريالية ثم بالواقعية، ومشتغلاً بالسياسة، وكان أحد أهم منظّري الستالينية الشيوعية من المثقفين، فقد ركز شعره، كما يُستشف من الحوار الذي أجري معه العام ١٩٧١، على الجانب الجمالي (المثالي) في الحب والطبيعة. ويكشف نيرودا الذي تُرجمت أعماله لأكثر من ثلاثين لغة، أن كتابه الحزين «إقامة على الأرض» يمثل مرحلة مظلمة من حياته، وهو يضخم الشعور بالحياة على أنها عبء مؤلم.

* النسق الثقافي



يكشف كتاب «النسق الثقافي: قراءة في أنساق الشعر العربي القديم» للباحث يوسف عليمات (دار عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٩) عن فاعلية النسق الثقافي في تأسيس الخطابات الأيديولوجية المتضادة، والتمثلات السلطوية، والسياقات الثقافية المختلفة، والتأكيد على ولادة المؤلف بعد أن كان رولان بارت أعلن موته.

تناول الفصل الأول «جماليات التحليل الثقافي: اعتذاريات النابغة الذبياني نموذجاً»، وقد تجلت في هذه الدراسة مظاهر الصراع بين نسقين متضادين هما: سلطة الملك (النعمان بن المنذر)، وسلطة الشعر (النابغة الذبياني)، وقد دحضت القراءةُ المقولةَ النقدية التي وصفت الذبياني بالخوف والرهبة في اعتذارياته، وبينت الكيفية التي تؤسس بها لغةُ الشعر المخاتلة/ عالم الذات، سلطةَ الشعر لمواجهة مؤامرات السلطة المضادة.

أما في الفصل الثاني «الظَّعينة في قصيدتي الهجاء والمديح عند بشر بن أبي خازم الأسدي»، فيشير الباحث إلى أن الظعينة في قصيدتَي الهجاء والمديح عند الأسدي، تمثل نموذجاً في إضمار الأنساق الثقافية ذات الأبعاد الفكرية والأيديولوجية المرتبطة بثقافة الحرب في الشعر الجاهلي.

جاء الفصل الثالث بعنوان «صورة المرأة عند الشعراء الصعاليك»، وفيه يؤكد الباحث فاعلية الصورة ودورها في تشكيل الأنساق الثقافية في نص الصعلكة، إذ وظّف الشعراءُ الصعاليك المرأةَ بوصفها رمزاً لتجربتهم الواقعية وصراعهم مع ثقافة القهر والاضطهاد التي يمارسها المجتمع عليهم. ومن صورة المرأة، ينتقل الباحث في الفصل الرابع والأخير، ليتناول «صورة المكان في شعر ابن قيس الرقيات»، مشيراً أن المكان في شعر الرقيات يمثل نسقاً أيديولوجياً يجسد موقف المعارضة السياسية التي يتبناها الشاعر ضد فكرة تحول الخلافة من الحجاز إلى الشام.

* مرايا القتام

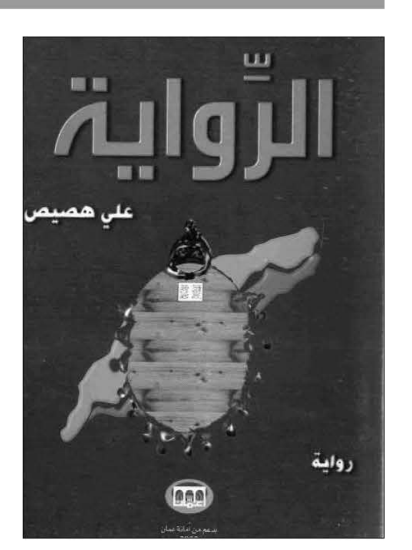


تنطوي المجموعة الشعرية «مرايا القتام» لأمين الربيع، على بوح للذات بهمومها وصدمتها إزاء الآخر المتمثل أولاً بما يعتمل في النفس من تناقضات ووجوه تبدو متعددة في مرآة واحدة، وثانياً بالخارج وانعكاساته على ذات الشاعر الضاجّة بالأسئلة والباحثة عن حقيقة وجودها وسر حزنها. مثال ذلك قصيدة «هوية» التي تُفتتح بها المجموعة، ومنها: «منتصراً على شبحي يسابقني الصهيل / وأنا المؤرخ في رواياتي / أنا / كفّي فرات والظنون بخافقي / تروي الدفاتر فيضها كالنيل، نيل».

تتنوع أجواء المجموعة المشتملة على قصائد عمودية وأخرى حرة وثالثة نثرية، لتنهل من مرجعيات اجتماعية وسياسية تعيد توظيف الأسطورة والتراث الديني لتدين الحرب والقتل بأشكاله المتعددة، كما يتجلى ذلك ي عناوين القصائد، ومنها: «إلى بطل»، «موليتوف»، «غوانتنامو»، «وتوحشوا»، إلى وطني»، «كلمات لأيوب».

يقدم الربيع في هذه المجموعة رؤيته لنفسه ولواقعه ولدوره في دائرة الحياة، في قصائد ذات بنية لغوية ودلالية عميقة ومتنوعة الخطاب.

* الرواية

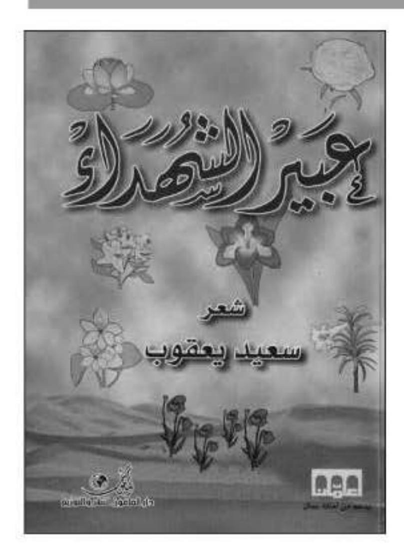


في روايته «الرواية»، يعتمد علي هصيص حالة انزياحية تضع القارئ في موقع الحياد وهو يتابع تقلبات الشخصيات ويراقبها، وهي شخصيات غير ثابتة، تعيش حراكها الفعلي في قاعة المحاضرات، رغم تقابلها مع فضائها المكاني المتمثل في السفينة، وتحديداً محاضرات خالد الحاج الذي يمثل رباناً للسفينة.

قدمت الشخصيات بطريقة تجعل كل واحدة منها تحمل نقيضها؛ ما يقود إلى وجه انزياحي للمسألة يتمثل بسفينة نوح التي ضمّت من كل زوجين اثنين. وفي سفينة «الرواية» حمل المؤلف في الشخصية وجهين، واحداً يتفق مع الحراك العام للسفينة، وآخرَ سرّياً يرتبط مع الخارج. لهذا اتخذت الرواية من اللغة المؤنسنة طريقا للولوج إلى جوانية الشخصية المتناقضة للكشف عن مصيرها، ومن لغة الانتحار منطلقاً

لإدانة المحيط.
توظيف السفينة في «الرواية» التي صدرت بدعم من أمانة عمان الكبرى (٢٠٠٩)، حمل أبعاداً سيكولوجية تمثل أحلامَ الشخصيات وتوقَها للتحرر وقد وجدت نفسها محاصَرة، أمامها خيار من اثنين: أن تتبع الربان بالمطلق، أو تقذف بنفسها في غمار المياه الراكدة.

* عبير الشهداء



تشتمل مجموعة «عبير الشهداء» لسعيد يعقوب، والتي صدرت عن دار المأمون بدعم من أمانة عمان الكبرى (٢٠٠٩)، على قصائد عمودية، تنوعت موضوعاتها، فمن تقديس «القرآن الكريم»، إلى التغنّي بـ«البترا» التي وصفها الشاعر بـ«معجزة الزمان»، إلى الاعتزاز بالوطن الذي تفيض القصائد بحبه والانتماء له. كما مجّدت القصائد الشهداءَ، واستلهمت عطرهم الباقي حتى يوم القيامة، ورسمت صورةً بهية لأم الشهيد التي تنحني لها الهامات إكراماً وإجلالاً.
يصف الشاعر في إحدى قصائده المسجد الأقصى مسرى الرسوم الكريم محمد عليه السلام، آملاً أن يعود حراً كريماً كما كان. ويبدي الشاعر إعجابه بطفل الانتفاضة الذي هزّ العالم بيده الصغيرة حجماً، والكبيرة إرادة وفعلاً.
ولبغداد ينظم يعقوب قصيدة، متأملاً أن تُحَرَّر من أسْرها، وتعود كما كانت قبل أن تسقط بيد الاحتلال. كما يتغنى الشاعر بأمجاد الأمة العربية، والوحدة العربية، مستشرفاً المستقبل ومتطلعاً إلى اليوم الذي تتخطى فيه الأمة أزمتها وتعود لتنتفض كما طائر الفينيق من بين الرماد.

* ظلّي

تكشف رواية «ظلي» لركستين فالكلاند، الجرحَ الذي يقبع داخل الروح ولا يندمل، وكيف أن الصدفة تستطيع رسم مصير حياة الإنسان بماضيها وحاضرها ومستقبلها.
الرواية التي ترجمها من السويدية للعربية مجدي عبد الهادي، وصدرت عن دار أزمنة (٢٠٠٨)، تتناول حكاية طفلة كثيرة الحركة، تسقط من فوق شجرة كثيراً ما أحبت تسلّقها واللعب تحتها، مما يسبب لها إعاقة جسدية دائمة يكون لها الدور الأكبر في تشكيل حياتها ورسم مصيرها وقدرها.
تتناول الكاتبة «السقوط» لترمز من خلاله إلى نزول الإنسان إلى الأرض، أو لحظة ميلاده في أتون هذا العالم، وقد رافقته الخطيئة منذ البدء، ليظل في صراع مستمر بين جزأيه؛ الملائكي والشيطاني، وفي حالة بحث عن الخلاص أو الانعتاق من طبيعته الآثمة.



هذا يفسر مكاشفة البطلة لذاتها وتأكيدها: «لا أستطيع أن أستدعي ذاكرتي بشكل جلي كيف كنت قبل سقوطي من فوق شجرة البلوط الكبيرة –كانت شجرة متشابكة الأطراف بشكل غير طبيعي- لكن ما لا يساورني أبداً شك هو أنني قد تغيرت بعد هذه الواقعة. كما لو أن خماراً قد أزيح عن عيني. وخلتني أرى الأشياء كلها بوضوح أكثر».

تحفر هذه الرواية عميقاً في النفس البشرية، بلغة حادة مركزة تشكل حلقة وصل بين النثر المعاصر في الأدب السويدي وكتابات القرن التاسع عشر.

تعدّ كريستين فالكلاند التي وُلدت العام ١٩٦٧، من أبرز روائيي وشعراء جيلها، لها خمس مجموعات شعرية، وخمس روايات. فازت بغير جائزة أدبية مرموقة بالسويد، وتُرجمت أعمالها إلى لغات أوروبية عدة.

---

* كاتب من الأردن



الأحكام الانطباعية في الموسيقى والغناء

جـــواد الــــرامـــــي *

جرت العادة أن يدلي كل واحد منا بدلوه بخصوص تقييم وضع الفن الغنائي والموسيقى، وقيمتها، والحكم على مردوديتهما، وفي الغالب الأعم، يتم الاحتكام بشكل قبلي إلى الذوق الشخصي دون الاستناد إلى معايير معرفية تبسط الأدلة، وتبين مكامن الإجادة في العمل ومكامن الإخفاق والفشل، ودون أدنى استناد إلى المكونات الفنية التي تطبع العمل الفني بقيمة جمالية تبعث على لفت الاهتمام وجلب المتعة واللذة.

ولا شك أن أغلب هذه الأحكام الذوقية التي تعتمد حكم القيمة تسقط في كمين الانطباعية والأنانية المفرطة، وإطلاق شرارة الكلام على عواهنه. فتحيد بذلك عن الجوهر الموضوعي للغناء والموسيقى. إذ من السهل جدا، وباستطاعة أي كان أن يقول عن هذا العمل إنه عمل فني ممتاز، ويقول عن الآخر إنه عمل دون المستوى، أو أن هذا الإنجاز الفني يمتاز بخاصية محددة لا توجد في عمل آخر. ولكن في الغالب الأعم تظل الحجج المقنعة التي تسوغ مدى نسقية العمل الغنائي وحسن صناعته وبعده التأثيري ناقصة، فيطغى على سطح حقلنا الفني من جراء ذلك الخلط اللامسؤول في الأحكام النقدية.

ويندر أن نجد من يدرس الخصوصيات النوعية للأغاني والموسيقى التي تميزها عن بعضها أو حتى داخل العمل الواحد، علما أن ثمة ترابطا حميميا بين مجموعة من العناصر التي تؤلف وحدة منسجمة تندمج فيها الكلمة واللحن والإيقاع والأداء أي كل ما يجعل من هذا العمل الفني وحدة متكاملة وعملا موسيقيا بمعنى الكلمة.

حقيقة إن الأذواق تختلف وأن نغمات

الموسيقى تختلف في نفوس المستمعين باختلاف أنواعها، ويصعب أن نصوغ معيارا شاملا ومحددا نستطيع من خلاله اكتشاف ما هو جميل وما هو غير جميل، ولكن لابد من وجود أدوات إدراكية ومؤهلات تكوينية تسمح لنا بالتوغل في صميم هذه المعطيات الفنية وفيما يمكن أن تثيره فينا من مشاعر، وهذا ما عبر عنه الفيلسوف الألماني هيجل قائلا: «أن يكون عند المرء ذوق، فهذا معناه أن يكون عنده شعور الجمال، حس الجمال، وهو ضرب من الإدراك لا يتجاوز حالة الشعور، وبالتكوين والتدريب يغدو قادرا على التقاط الجمال حالا ومباشرة، أينما كان وكيفما كان» (١).

بناءً على هذا المعنى يظل الذوق بمفرده دون إعمال الفكر بصدد العمل الموسيقي مجرد انطباع يتأمل المظهر الخارجي للعمل ولا يتوقف عند التفاصيل، ولا ينفذ في عمق العمل: كتوقفه عند الجانب التقني المرتبط بانسجام العزف وانضباط الإيقاع وتماسك اللحن، وعمق مضمون الكلمات وشحنتها الشعرية. لهذا الاعتبار يبقى الذوق « كوسيلة إدراك وتقييم مباشرين لا يغني غناء كبيرا، ويعجز عن تعميق أي شيء. إن المسألة تتطلب تقييما في العمق، ولا يستطيع الذوق والشعور إلا أن يبقيا على السطح و يكتفيا بتأملات مجردة. لهذا يتشبث الذوق بالتفاصيل حتى يكون بينها وبين الشعور توافق « (٢).

هكذا تختلف الأذواق من فرد لآخر ومن مكان لآخر. فقد يستحسن ذوق هذا ما يستهجنه ذوق ذاك. وقد يتذوق أحدنا الموسيقى الغربية أو الموسيقى الشرقية أو أنواعاً أخرى من الأصناف الموسيقية، بل قد نجد جانبا من الجمهور يتجاوب تجاوبا تلقائيا مع أنواع موسيقية هجينة ومرد ذلك يرتبط أساسا بالمرجعية التربوية التي ولّدت لدى كل فرد ألفة بينه وبين الصنف الفني الذي يعشقه، أي مجموعة من القيم الجمالية التي جبل الطبع عليها وتعود الذوق على سماعها والتجاوب معها إلى حد الذوبان، بفعل ما اكتسبه الفرد تلقائيا من بعض هذه المعالم الموسيقية، وملامحها المحددة، وأسسها المنظمة، وأساليبها المعينة، وكلماتها الموزونة، وترتيبها اللحني والإيقاعي. وبانعدام هذه القدرة التفكيكية، والاقتصار على صدى العواطف والأهواء تتسم أغلب أحكام القيمة بالذاتية ولا تتعدى حدود التجاوب الوجداني السطحي: الطرب، الفرح، الشوق......

> "
> **أن يكون عند المرء ذوق، فهذا معناه أن يكون عنده شعور الجمال، حس الجمال**
> "

وقد تنبه إخوان الصفا على هذا الاختلاف في الأذواق قائلين: «اعلم يا أخي.... بأن تأثيرات نغمات الموسيقار في نفوس المستمعين مختلفة الأنواع ولذة النفوس منها وسرورها بها متفننة متباينة. كل ذلك بحسب مراتبها في المعارف. وبحسب معشوقاتها المألوفة من المحاسن. فكل نفس إذا سمعت من الأوصاف ما يشاكل معشوقاتها ومن النغمات ما يلازم محبوبها، فرحت وسرت والتذت بحسب ما تصورت من رسوم معشوقها، واعتقدت في محبوبها، حتى ربما وقع النكير من الآخرين إذا لم يعرفوا مذهبه، ولا ما قصده نحوه». (٣)

لا مراء أن اختلاف نغمات الموسيقى في النفوس سيؤدي إلى تباين درجات اللذة من فرد لآخر. فمن الموسيقى أو الغناء ما يخاطب الوجدان الروحي حيث تتحلى هذه الأعمال بالنغمات اللينة الهادئة أو تعبر عن الحزن أو الخوف أو تحض على رباطة الجأش، فتجعل القلوب أشد فرحا وتجاوبا مع هذا المعطى الفني. ومن الغناء ما يعبر بكلمات مائعة أو خالية من الشعرية بموسيقى صاخبة كتلك التي في جلسات الشرب واللهو، أو التي تعزف في محلات الخفة والطيش إما لتزجية الوقت أو الانقياد و فق أدراج الهوى. ولكل نمط من هذه الأنماط جمهوره الخاص، أي وجود فئة محددة تشترك في الذوق الموسيقي وفي تمثلها لمجموعة من القيم الجمالية واتفاقها على بعض المقاييس التي تشبع رغباتها وتوقعاتها.

والأساس هنا هو أن المستمع الخبير يوظف أدواته الإدراكية و قوته الذهنية وحسه الفني في تقييم هذه الأعمال معتمدا الأسلوب الموضوعي التحليلي، أما المستمع الآخر الذي يفتقر إلى الأهلية فقد يقتصر على إحساسه الوجداني وانفعاله المباشر فحسب، لإشباع رغباته الذوقية دون إدراك المعنى التركيبي العميق. إن جوهر هذه الأحكام النقدية ينبع من صميم التجاوب مع هذه القطع الموسيقية أو الغناء التي صادفت هوى في فؤاد المستمع فنالت إعجابه، فأزجى مدحه عليها، فيكون التفاضل في هذا الأمر لقرب هذه الأعمال وبعدها من النفوس بحسب المعرفة الإدراكية لكل واحد.

حقيقة قد يحصل أحيانا الاتفاق والتجاوب في تقييم هذه الأعمال ذوقيا، فتحصل اللذة لهذا وتحصل لذلك، لكن الإدراك المعرفي كما يقول ابن رشد: «يكون لذيذا بالجملة، فإن الذي يدرك ما هو في جوهره أفضل وأقرب إلى الحقيقة وأولى بالدوام، فله،بالضرورة أفضل اللذات.(٤)

وحول إدراك الفرق بين هذين الصنفين من المستمعين أجرى الباحث ماكس شون MAX SHONS عملا ميدانيا درس فيه مختلف عينات الجمهور، نشره في كتاب «تأثيرات الموسيقى»، و قد قدم في هذه التجارب، -كما يقول فؤاد زكريا-: «قطع موسيقية مختلفة لجمهور فيه الموسيقيون، وفيه من يحب الموسيقى سماعا، ومن لا يتذوقها على الإطلاق، ولوحظ أن ذوي الذوق الفني الرفيع، الذين لا يحترفون الموسيقى ولا يعرفون أصولها، يلجؤون دائما إلى التشبيهات في فهمهم للموسيقى، وإلى إيراد الارتباطات التي تذكرهم بها. أما محترف الموسيقى أو ذلك الذي اكتسب دراية بأصولها، فلا يفكر في أثناء الاستماع إلا في الموسيقى من حيث هي موسيقى، ويتمتع بها تمتعا جماليا يخلو من أية صورة تخييلية أو تشبيهية».(٥)

المستمع الخبير يوظف أدواته الإدراكية وقوته الذهنية وحسه الفني في تقييم الأعمال

إنه لمن الخطل الاعتقاد بأن الحكم الذوقي كاف في التعامل مع الموسيقى والغناء والحق أنه يمثل محطة أولية في تلقي الرسالة الفنية، لتعقبه بعد ذلك عملية تمثل الخاصيات الأساسية المميزة للعمل والتركيز



على الموضوع الذي يشكل مجال الاهتمام وعلى الأخص الجانب الجمالي منه، في هذه المحطة الثانية تستطيع الذات أن تثبت أدلتها المقنعة بعيدا عن النوازع والعواطف الذاتية فهي لا تنشد غير تحقيق جانب من الموضوعية «ولو بشكل نسبي» والتفاعل إبداعيا مع هذه الجوانب التعبيرية من الموسيقى والغناء.

ومادام الناقد في هذه الحالة السامية مبدعاً من الدرجة الثانية فهو يجلو الوظائف البنائية للعيان ويكشف الكيفية التي استطاع من خلالها العمل أن يتواصل معنا – نحن المستمعين-. وهو ما يمكن تسميته بإدراك مستويات اللغة الموسيقية الثلاثة: الصوتية والبنائية والدلالية.

وبتأمل الكيفية التي تنتظم من خلالها هذه الضوابط التي تمارس فعاليتها دون إخلال بالانسجام الكامل للعمل تتعدد الأسئلة العصية عن الإجابة لدى الباحث من جملتها على سبيل التمثيل: ما المصدر الذي حفز انفعالنا؟ أهي المعاني أم التعابير؟ أم اشتراكنا في امتلاك المرجعيات الممثلة في العاطفة التي تنتقل عبر النوتات والألحان من المؤلف إلى المؤدي إلى المستمع؟

ويمكن بإيجاز اختزال هذه الأسئلة في طبيعة التفاعل الذي يتحقق بيننا وبين العمل الفني. وللتدليل على ذلك تبقى هذه الخاصية مقرونة بمستويات التأويل الذي يعتمده المستمع في دفاعه عن خصوبة العمل وثرائه ومحاسنه الخفية والجلية، من ثم تكون المتعة ملازمة لإشباع فضوله المعرفي والوجداني.

يبقى علينا أن نضيف بالقول: إن أحكام القيمة تجد مرتعها الخصب عندما يبتعد الذوق الفني العام كثيرا عن عنوان الغناء و الموسيقى لأسباب متعددة نذكر منها:

أ – هيمنة الفن التجاري، واختلاط الغث بالسمين في مشهدنا الثقافي لأسباب لا يسمح المقام بالخوض فيها.

ب – هيمنة الجانب الأخلاقي على أحكامنا في الموسيقى والغناء، فلأدنى سبب ترمى بعض الأغاني بشهاب من التجريح



والشتم، أو تتعرض للإقصاء والنفي سواء من منطلق ديني أو من منطلق انعكاسات التصور الأفلاطوني للمدينة الفاضلة، أو وفقا لمرجعيات عرقية واثنية، أو إيديولوجية. بهذا يكون الموقف الجمالي مقسيا والقيمة الفنية مهملة، فتسود بعض الأحكام من مثل القول: إن بعض المقامات تؤثر في العفة والحياء، أو إن لبعض الآلات الموسيقية قدرة خاصة على الغواية، أو القول: إن بعض المقامات الموسيقية يجب استبعادها لما فيها من ميوعة وخنث يبعثان على الانحلال الخلقي، إلى غير ذلك من التقويم الأخلاقي للشكل الفني.

ج- ارتباط الذوق بنمودج محدد، واعتباره النمودج المثالي، وكل انزياح عنه، يجعل من لم يألف هذا النمط الموسيقي ولم يستأنس بحسن جواره يشن الحرب عليه أو يغض الطرف عنه بشكل صارم لا لشيء سوى أنّ هذا العمل قد خرج عن النظام المعياري الذي تعودت الأذن على سماعه، والذي غدا يتحكم لمدة طويلة في صناعة الفن الموسيقي ويوجه فهم المستمع. إزاء هذا التغيير لابد أن تتولد مجموعة من ردود فعل المستمعين، ومجموعة من الأحكام النقدية المتباينة. بين هؤلاء الذين يجدون عنتا كبيرا في دخول هذا العالم الفني الجديد فلا يرون فيه إلا الإغراب والابتعاد عن المألوف، وبين من يدافع عن هذه التجربة الجديدة التي يرون أنها شكلت إضافة نوعية لمسار الفن الغنائي والموسيقي وخلقت مسافة جمالية رشحتها لاعتلاء مكان الصدارة ونيل إعجاب المستمعين والدارسين.

فما أحوجنا إذن إلى وقفة تأملية لرسم الحالة الراهنة لفننا الموسيقي والغنائي بكل موضوعية كمّا وكيفاً، من خلال نظرة تحليلية ونقدية بعيدا عن كل المزايدات وأحكام القيمة، ويبقى أن نقول أخيرا ما أكثر المغنين والموسيقيين، فهم يعدون بالمئات إن لم يكونوا آلافا، ولكن الدهر لا يحتفظ إلا بالنزر اليسير منهم. فإن أحصيت عدد المغنين في مصر مثلا في مرحلة معينة فسيجد أن نسبتهم كبيرة، وكذلك الشأن في باقي البلدان العربية، ولكن ماذا عن أخبارهم بعد مضي فترة وجيزة من ضجتهم الإعلامية. أوليست الأغاني الخالدة هي التي تصمد مع مرور الزمان، والدليل على ذلك هو الانتشار الواسع لأغاني أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب والسيد درويش، وفئة قليلة، أما الأسماء الأخرى التي عاصرت هؤلاء فهي الآن في طي النسيان،» أما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض».

* كاتب وإعلامي من المغرب

الهوامش:

١- هيجل «المدخل إلى علم الجمال» ترجمة جورج طرابيشي،دار الطليعة، بيروت ص ٧٤-٧٣.
٢ – نفسه، ص٧.
٣- إخوان الصفاء «الرسائل» ج ١، ص ٢٤٠.
٤- ابن رشد «الضروري في السياسة،مختصر السياسة لأفلاطون» ترجمة عن العبرية د. أحمد شحلان، إشراف د. محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ٢٠٦.
٥- فؤاد زكريا «التعبير الموسيقي» مكتبة مصر، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٠، ص: ٣٨-٣٧.





آفاق جديدة
في التنظير المسرحي
المتلقي والقراءات متعددة المشارب

عواد علي *

نتج عن الاهتمام المعاصر بعملية التلقي في المسرح ظهور آفاق جديدة في التنظير المسرحي، ركز بعضها على الحاجة إلى تقديم نظرية متطورة عن المتلقي، واقترح بعضها الآخر قراءات متعددة المشارب تنهل من أطر مرجعية فلسفية، أو علمية، أو جمالية، في سياق دراستها للعلاقة المسرحية بين منتج العرض المسرحي ومتلق يه.

فمن دراسات اعتمدت على معطيات التحليل النفسي الفرويدي، وخاصةً مقولة «النفي»، ونذكر آن اوبرسفيلد، ومن أخرى تبنت أسساً جماليةً، كباتريس بافيس، ومن دراسات قاربت العلاقة من منظور فينومينولوجي (ظاهراتي يُعنى بدراسة الخبرات بقصد بلوغ ماهياتها أو عللها الجوهرية)، كأندريه إيلبو.

وelm باحثون درسوا المتلقي من منظورعلم الاجتماع النفسي كريتشارد شيشنر، وآخرون اعتمدوا على نتائج علم النفس المعرفي مثل ماركو دي مارينيز، بل إنّ باحثين استندوا إلى أبحاث اجتماعية ونفسية واهتموا بسيمياء الفن، إضافةً إلى مفاهيم لسانية في نظرية التلقي، كريشار دو مارسي.

من الناحية التاريخية تُعد محاولة دو مارسي في التنظير لعملية التلقي المسرحي من أبكر المحاولات التأسيسية التي اقترحت، وهو ما نراه في كتابه «مبادىء سوسيولوجيا العرض»، من القراءات الحديثة للعرض المسرحي من منظور العلاقة بين منتجه ومتلقيه بتأثير من جمالية التلقي الألمانية. وقد سبق في بحثه هذا كلاً من: أمبرتو إيكو، آن أوبرسفيلد، جوزيت فيرال، باتريس بافيس، دافنا بن تشايم، أون شودهيري، جيل دولان، ماركو دي مارينيز، وغيرهم من المنظرين والباحثين الذين ظهروا ابتداءً من ثمانينات القرن الماضي، وقدموا

آفاقاً حديثةً في التنظير لهذا الموضوع، واقترحوا قراءات متعددة الاتجاهات تستند إلى أطر مرجعية نقدية، أو فلسفية، أو علمية.

يستند دو مارسي في بحثه إلى فرضيات نفسية واجتماعية ولسانية، إضافة إلى سيمياء الفن ونظرية القراءة، فيميز بين أنموذجين لتلقي العرض المسرحي، يسمي أولهما بـ «القراءة الأفقية»، وثانيهما بـ «القراءة العرضية»:

تتسم القراءة الأولى بكونها أنموذجاً تقليدياً للتلقي تعتمد أساساً على الانتظار المتلهف للنهاية السعيدة، المصحوب بتورط قوي جداً في الحدث.

في هذه الحال يكون اهتمام المتلقي منصباً بشكل جوهري على الحكاية بتغيراتها وتسلسلها الخفي، ونهايتها المتوجة بالتطهير- التحرر في نهاية المطاف.

وثمة- إلى جانب ذلك- أساس آخر يستند إليه هذا الشكل التقليدي للتلقي يسمح باشتغال الانتظار على نحو ما، ويتجلى في التماهي الذي يصل إلى أقصى درجاته عندما يتعلق الأمر ببطل يتميز بمجموعة من الصفات المثالية، كالقوة والشجاعة والتضحية، وغيرها. ومن الواضح أن هذا النوع من التلقي يحدث في أنماط محددة من العروض المسرحية التي تستغرق في إيهام المتلقي، وتسعى إلى إدماج وعيه ومشاعره في مجرى الأحداث.

أما القراءة العرضية فهي، من وجهة نظر بعض الباحثين، تقترب في طابعها العام، من مفهوم القراءة العالمة، أو الناقدة، إذ لا يتورط المتلقي من خلالها داخل الحكاية، بل يتحول إلى ملاحظ يثير الأسئلة حول كل العناصر الدالة التي تظهر في العرض: ماهيتها، ومعناها، ومصدر هذا المعنى، محققاً بذلك قراءةً غير متصلة.

وباعتماد دو مارسي على السيميائية في مقاربته للتلقي المسرحي، فإنه يرى أن هذه القراءة العرضية، بوصفها شكلاً للتلقي، لابد أن تنطلق أساساً من تحديد الموضوع الذي تقرأه أولاً، وهو المسرح، وعليه يتحدد هذا الفن بوصفه عالماً من العلامات، وفضاءً مشفّراً «أو مسنناً». وفي ضوء هذا التحديد تتحول القراءة العرضية إلى تفكيك وتحليل للعلامات البصرية والسمعية للعرض المسرحي. وهذا الاشتغال على العلامة هو الذي يجعل من هذه القراءة الثانية قراءةً منتجةً للتغريب، على عكس القراءة الأولى التي هي قراءة اندماجية. ومن أجل إضفاء البعد الاجتماعي على تصوره، يذهب دو مارسي إلى أن تفكيك رموز العرض المسرحي وعلاماته يجري من خلال إحالتها على المجتمع لأن معناها لا يتأتى من العرض في حد ذاته، بل من العلاقة بين العلامة والمجتمع الذي ينتمي إليه المتلقي، ولذلك فإن الرجوع إلى الحقيقة السوسيو- ثقافية، كإطار مرجعي للعلامة، يُعد مرحلةً أساسيةً ضمن القراءة العرضية.

ولا يخفى على المعنيين بالمسرح تأثر دومارسي في تنظيره لهذا النمط من القراءة بنظرية بريخت في المسرح الملحمي، فقد هدفت هذه إلى جعل التلقي عمليةً واعيةً، وليس انفعالاً مجرداً، وسعت إلى تغيير الأنماط التقليدية للإنتاج والتلقي، وجاءت بإضافات تقنية لدفع المتلقي إلى التأمل والنقد دون أن يفقد المتعة المسرحية. ولكن تأكيد دومارسي العلاقة بين العلامة والمجتمع الذي ينتمي إليه المتلقي، أو رجوعه إلى ما يسميه بـ «الحقيقة السوسيو- ثقافية» لاستنطاق دلالات العرض ليس صحيحاً في جميع الحالات، فنحن حين نتلقى، مثلاً،



عرضاً يقوم على إحدى أساطير شعوب إفريقيا، أو أميركا اللاتينية، يقتضي بدايةً لكي نفهمه ونفكك رموزه ونؤوله، سياقاً يحيلنا عليه قابلاً لأن ندركه، وشفرات مشتركة، كلياً أو جزئياً، بيننا وبينه، حسب العوامل المكونة لكل فعل تواصلي عند جاكوبسن، ولن ينفعنا الاستنجاد بالعوامل السوسيو- ثقافية في مجتمعنا لاستنطاق دلالات ذلك العرض. ولعل ملاحظة أيوجينيو باربا، صاحب أنثروبولوجيا المسرح، بأن المتلقي الغربي «يجد صعوبةً في استيعاب المنطق الذي تقوم عليه الكثير من الأنماط المسرحية الشرقية» يدعم ما ذهبت إليه، إذ إن هذا المتلقي يعتمد، بشكل تقليدي، على مرجعيته الثقافية بوصفها الوسيط الوحيد الذي يمكن من خلاله تفكيك رموز تلك الأنماط المسرحية وعلاماتها.

---

* ناقد مسرحي من العراق

فنون

فوتوغرافي أردني شاب يرصد جمال الأشياء بعين ثالثة

الفايز: في عدستي أحاور العلاقة الوطيدة بين مفردات الكون

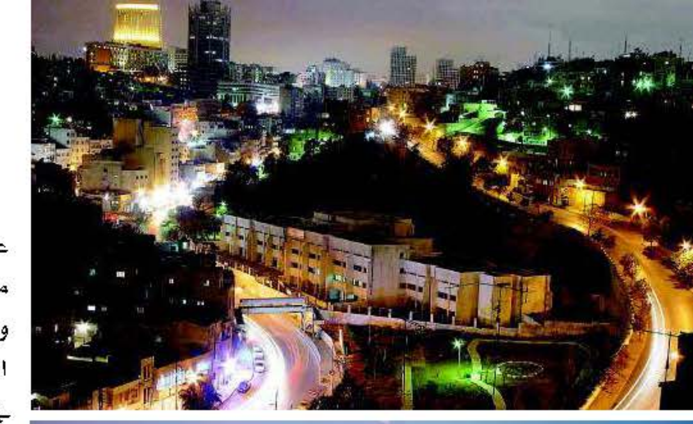
حاوره:

محمد جميل خضر*

من زاوية خلاقة، ينظر المصور الفوتوغرافي الأردني الفنان أيمن الفايز للأشياء من حوله.

وتتحرك كاميرته، محمولة بحس إبداعي جمالي فذ. وعبر علاقة ممتدة مع التصوير والعدسات، وتقنيات المهنة، استطاع الفايز صاحب عديد الجوائز المحلية والعربية في فن التصوير الضوئي، أن يحافظ على مساحة ضرورية، بين عمله المهني في التصوير كوظيفة، وكصورة إخبارية متعلقة بحدث هنا، أو نشاط هناك، وبين التصوير كفن، ورؤية جمالية، تعيد بناء التفاصيل، وتبحث عن لحظة داخل هذه التفاصيل، قادرة على الصمود، وعلى البقاء والتجدد.







ومذ كان صغيراً، واصل الفايز الحاصل على ثماني شهادات من ثماني دورات متخصصة بالتصوير الفوتوغرافي والضوئي ومعالجة الصور واستخدامات الحاسوب، أنهاها الفايز بتفوق، التحديق في الأشياء من زاوية خاصة به، وأسبغ عليها من جمال نظرته لتكوينات الطبيعة من حوله، وقرأ بعين ثالثة، آفاق الدهشة الطالعة من تفاصيل مفرداتها، وعاين دون كلل أو ملل، متواليات الكتلة والفراغ، وثنائية الضوء وظلّه، ورصد ما تعكسه وجوه الناس من مشاعر، وما تبوح به من معنى.

ولم يدم الأمر طويلاً، ليحمل الفايز الذي ما يزال في عمر عطاء متوهج، على كتفه كاميرته الأولى، ويحوّل رصده المثابر،



وزاوية نظره المغايرة، إلى صور تتناسل احتمالاتها، ولا تنتهي مكامن السر والسحر فيها.

يقول الفايز عن إرهاصات التجربة الأولى: «بدأت تجربتي في مجال التصوير منذ الصغر، حيث كنت أرى الأشياء بزاوية جمالية، وأحاول دائماً أن أصنع من المشاهد التي أراها صوراً تظل في ذاكرتي فترة من الزمن. وبعد أن أنهيت دراستي، حاولت صقل موهبتي بتجارب حية، وأصبحت أتابع الأخبار وأقتحم آفاق الشبكة العنكبوتية، وأشتري المجلات الأجنبية التي تختص بالتصوير».

بعد ذلك عمل الفايز في وكالة الأنباء الأردنية (بترا) لمعرفة كيف يتم «تجسيد

الأحداث الساخنة والإخبار عبر لغة الصورة. وكيف تحل الصورة أحياناً، مكان آلاف الكلمات الساعية لوصف الحدث».

ثم أصبح عضواً في الجمعية الأردنية للتصوير الفوتوغرافي واتحاد المصورين العرب «لتعزيز مخزوني الثقافي بأسلوب الصورة الجمالية كون الأردن ليست بلد أحداث وصراعات ونزاعات ولله الحمد».

وخلال كل ذلك، ظل يزداد اهتمام الفايز بوصفه عضوا في الجمعية الأميركية للتصوير PSA، بالتصوير، كفن وكمعطى جمالي لا يقل، برأيه، شأناً عن الرسم، والفنون البصرية الأخرى.

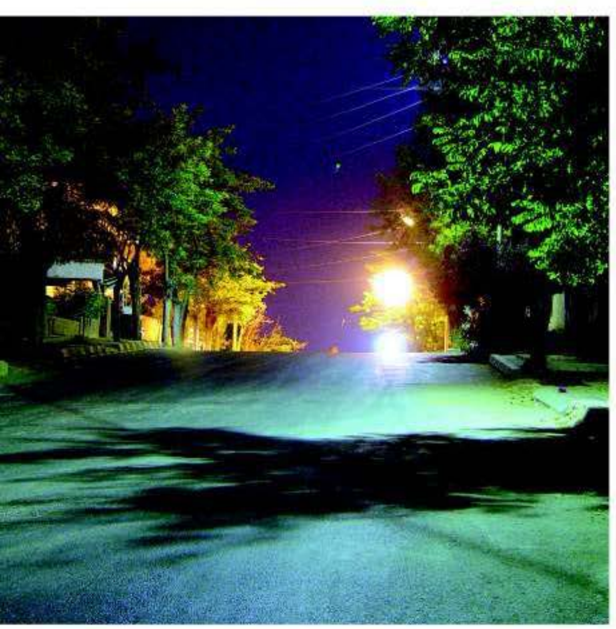
وبدأ يرى فن التصوير بحراً «أستطيع أن أشرب منه ما أريد».

> يرى فن التصوير بحراً يستطيع أن يشرب منه ما يريد.

وكما لم يتوقف اهتمام الفايز بالتصوير كفن وآفاق صورة خلاقة، كذلك لم تتوقف مساعيه لتطوير أدواته في الفن الذي أحب.

ولأن الطموح الإنساني ليس له حدود، فإن الفايز يأمل، عبر مثابرته المجتهدة، وحرصه الصادق على التطور والابتكار، أن يحقق يوماً أسلوبه الخاص به،





الذي «قد ينهل منه من هم من بعدي، كمرجع حقيقي وصادق وخلاق ومبدع».

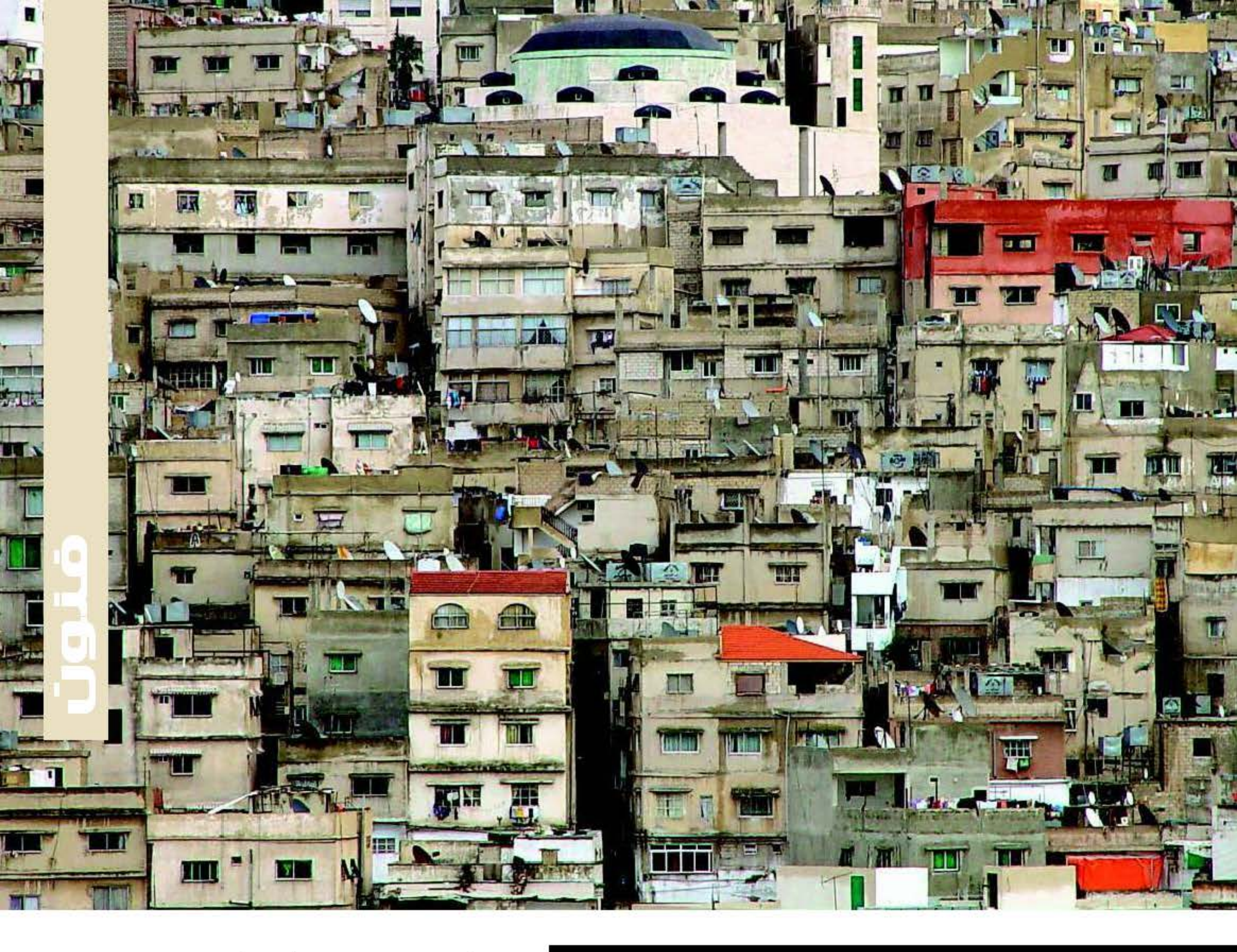
ولعضو الاتحاد العلمي للتصوير الفوتوغرافي في FIPA، مشاركات في العديد من المعارض والمسابقات المحلية والعربية والدولية في مجال التصوير الضوئي: معرض «مهرجان الصورة الفوتوغرافية الثالث» في قاعة المدينة – عمان ٢٠٠٤، معرض «مهرجان العربي الأوروبي للصورة الفوتوغرافية» في ألمانيا، دورات ٢٠٠٤ و٢٠٠٥ و٢٠٠٦ و٢٠٠٧، عدة معارض في

«اختير واحداً من بين أفضل ١١ مصوراً صحافياً محترفاً في الأردن للمشاركة في ورشة عمل عالمية أقيمت في الأردن»



الجامعات الأردنية الحكومية والخاصة، معرض «مهرجان الصورة الفوتوغرافية الرابع» في أمانة عمان الكبرى- عمان ٢٠٠٥، معرض ضد الإرهاب «الأردن يسمو فوق الجراح» في المركز الإعلامي الأردني – عمان ٢٠٠٥، معرض «المهرجان العربي الأوروبي الثاني للصورة الفوتوغرافية»- ألمانيا ٢٠٠٥،

كما أنجز أرشيفاً خاصاً بمهرجان جرش للثقافة والفنون في دورة العام ٢٠٠٥ من المهرجان الوطني الذي توقف منذ العام الماضي



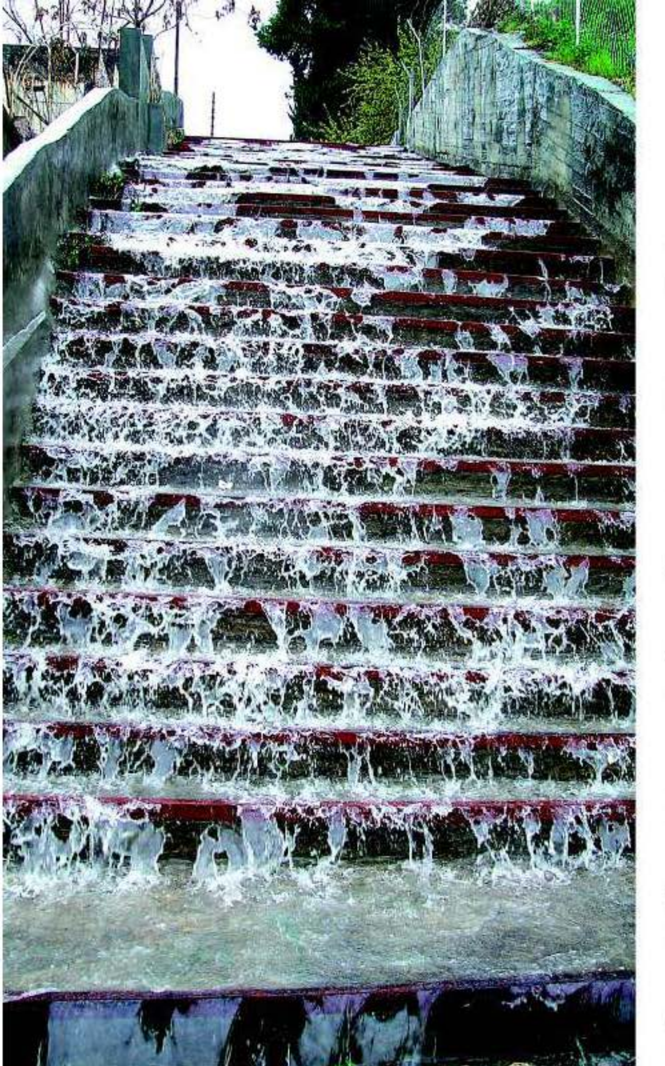
لصالح انطلاق مهرجان الأردن.

وشارك الفايز إلى ذلك في مسابقة «تقاطع النظرات» التي أقيمت في العاصمة الإيطالية روما العام ٢٠٠٥.

وفي معرض أقيم العام ٢٠٠٦ في بلغاريا، عن طريق الجمعية الأردنية للتصوير.

وفي مسابقة «السلطان قابوس للإبداع والتميز» في سلطنة العاصمة العُمانية مسقط ٢٠٠٦، وفي معرض «طه الطه» في مدينة الرقة السورية في العام ٢٠٠٧.

كما اختير واحداً من بين أفضل ١١ مصوراً صحافياً محترفاً في الأردن للمشاركة في ورشة عمل عالمية أقيمت



في الأردن العام ٢٠٠٦.

ونال الجائزة الفضية للمحور العام عبر مسابقة مهرجان العربي الخامس عمان ٢٠٠٧.

وتحت عنوان «ألوان ضوئية»، أقام الفايز قبل عامين معرضه الشخصي الأول في شارع الثقافة.

وشارك في المعرض العالمي «العالم بعيون المصورين» الذي أقيم العام ٢٠٠٨ في دبي.

وعن الفرق بين التصوير الفوتوغرافي الوظيفي المرتبط بطبيعة عمله مصورا صحافيا في الأمانة، وبين التصوير الفني الجمالي من ناحية الزاوية والتقنيات والإحساس، يقول الفايز:

«يختلف التصوير الوظيفي عن التصوير الفني من وجهة نظر الخبراء ومن وجهة نظري أنا شخصياً، اختلافا كبيرا».

ويرى أن التشابه الوحيد بينهما هو في الحرص على إظهار القيمة الجمالية للحظة الملتقطة عبر الكاميرا.

«في مهنتي بوصفي مصورا صحافيا في أمانة عمان الكبرى أسعى لتجسيد اللحظة المناسبة للفعالية، فعند افتتاح مكتبة أو مركز أرصد لحظات الفرح التي تعم المكان، بسرعة، وأرصد بعدستي الانفعالات والابتسامات والتجول في ذلك المكان، مع الأخذ بعين الاعتبار اللمسة الفنية الخاصة بي، إذ أبتعد عن التقاط ما يزعج المسئولين وأحاول أن أخطف اللحظة دون أن يشعروا لكي تكون صادقة وليست مصطنعة».

أما بخصوص التصوير الفني، فيصفه الفايز بأنه نصفه الآخر، ويذهب إلى أنه روح التصوير، إذ يتطلب، بحسب الفايز «التروي والتأني».

وفيه يحاول قراءة المشهد الجمالي أمامه من أكثر من زاوية لكي يضفي على جمالها جمالاً خاصاً بعدسته، لأنه من عشاق تصوير المناظر الطبيعية من زاوية غير تقليدية. ففي الحين الذي يحتاج التصوير الصحفي في معظم الأحيان، إلى عدسة واحدة، فإن التصوير الفني يحتاج، بحسب الفايز، إلى معدات وتقنيات تفوق ذلك «لأنني بتواجد هذه الأجهزة والعدسات والتقنيات أعمل على خلق صورة جمالية من زاوية وذات أحساس مرهف وبتقنية عالية جداً لكي أشبع رغبتي الجنونية بالتصوير الفني وأشبع كذلك عين المشاهد الناظر إلى صوري».

ويرى الفايز أن التصوير الفوتوغرافي، هو توأم الفن التشكيلي لأنهما «يتجسدان من خلال لوحات تعرض مع اختلاف التقنيات والمعدات المطلوبة لتنفيذ لوحة تنال أعجاب المشاهدين».

وإذا كان الفنان التشكيلي يستخدم أصابعه وريشته وهو يغازل قطعة القماش من أمامه، فإن الفنان الفوتوغرافي لا يحتاج إلا «لأصبع ليرصد لحظات جميلة ويخلدها، بصور توازي في بعض الأحيان لوحات الرسم، بل تتفوق عليها في أحيان أخرى».

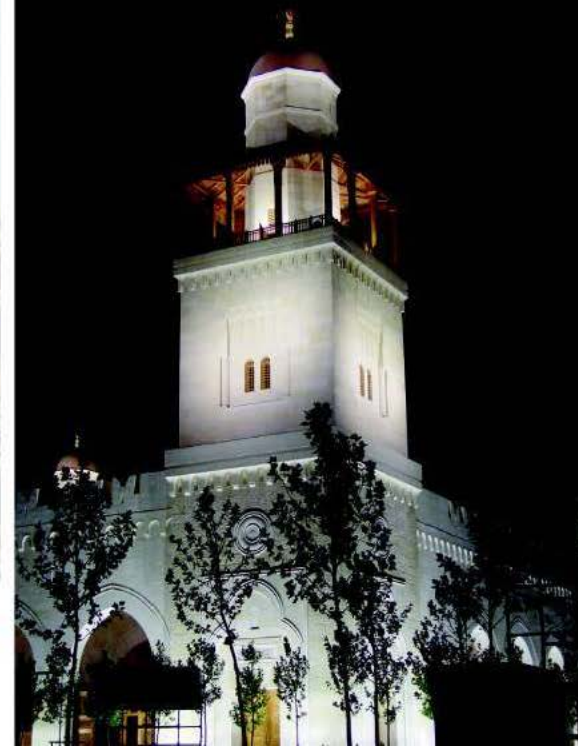
التصوير الفوتوغرافي توأم الفن التشكيلي، لأنهما يتجسدان من خلال لوحات تُعرض مع اختلاف التقنيات والمعدات المطلوبة

اويطلق الفايز على الفن التشكيلي لقب «الأخ الأكبر للفن الفوتوغرافي»، رائياً أنهما كليهما يوصلان «رسالة سامية وجميلة ومليئة بالإحساس والمشاعر للمتلقي».

ويشيد الفايز بدور الجمعية الأردنية للتصوير الفوتوغرافي في خدمة التصوير الضوئي والمبدعين فيه والمختصين في حقله.

ويرى أنها تعد الجمعية الوحيدة في الأردن «صاحبة الاختصاص في بمجال نشر ثقافة الصورة وترويج الأردن عالمياً»، خصوصاً كونها «تتشرف بالرئاسة الفخرية لصاحبة السمو الملكي سمو الأميرة منى الحسين المعظمة أم كل الفنانين الفوتوغرافيين».

ويقول في سياق متواصل «تعد الجمعية الأردنية للتصوير بيت الفنانين الفوتوغرافيين الأردنيين والعرب ومركز تأهيل وتدريب الهواة والمحترفين من خلال ورشات عمل ودورات عن أساسيات التصوير الفوتوغرافي ومدى تأثيره بالحدث والمجتمع من خلال أهل الخبرة والاختصاص الذين







تزخر بهم الجمعية».

ويتيح العمل الميداني في فن التصوير الضوئي، من رحلات ومخيمات إبداع وغير ذلك، للمبدعين في هذا الحقل «فرصة رصد اللحظات والزاوية الجميلة»، كما يقول الفايز.

كما تعمل، بحسب الفايز، على خلق جو تنافسي بين المشاركين في الرحلة أو المخيم من فناني التصوير الضوئي. وتجعلهم يتسابقون على كيفية إخراج كل واحد منهم صورته، وكيفية تعامله «بشكل احترافي» مع معطيات الجمال في الطبيعة.

كما أن العمل الجماعي يخلق، كما يؤكد الفايز، تعاوناً فيما بين المشاركين فيه، تعليماً وصقل مواهب من هم بحاجة لخبرات سابقيهم وتحفيزهم من خلال مسابقات تقام ما بين الحين والأخرى لرفع مستواهم والمشاركة بالمعارض المحلية والدولية «لكي نخرج جيلاً شاباً متعلماً ومتسلحاً بثقافة الصورة، وصاحب نظرة خاصة تميزه عن أقرانه».

> «
> **الصورة الفوتوغرافية هي فن كيفية التعامل «بشكل احترافي» مع معطيات الجمال في الطبيعة**
> «

ولا يؤثر العمل الجماعي برأي الفايز، على خصوصية كل فنان وزاويته لأنه «لو اجتمع أكثر من فنان في المكان والزمان نفسهما، لالتقاط منظر معين، فسيضفي كل واحد منهم، على اللقطة نفسها، طابعه وإحساسه الخاص به».

ويتطلع الفايز إلى الخلود عبر اللحظة، فيقول في ختام حوار «أقلام جديدة» معه، عن ذلك: «أحاور في المشهد المتعين أمامي العلاقة الوطيدة بين مفردات الكون، وأبحث في الصورة الصامتة عما يجمعنا وعن أول لقاء بيننا، وأترك الكلمة النهائية للصورة لكي تتحدث لمن يشاهدها عن مدى روعتها، وأدعها تتباهى بأنني أنا الوحيد الذي استطاع حبس هذه اللحظة الجميلة بعدستي وكاميرتي التي أعدها جزءاً لا يتجزأ مني».

---

* كاتب وصحافي من الأردن



الشباب والمستقبل



ثابت الطاهر *

أتابع بكل الغبطة والسرور والتقدير ما ينشر في هذه المجلة «أقلام جديدة» –التي تصدر عن الجامعة الأردنية– والتي تنقل إلينا في صفحاتها الإنتاج الأدبي لعددٍ من كتابنا شبابا وفتيات. ويستطيع القارئ أن يرى في هذا الإنتاج براعم إبداع يتفتح، وأن يتلمس فيها مواهب وإمكانات وإبداعات تبشر بغدٍ أردني مفتوح على أشكال الإبداع المختلفة.

ولكني وأنا أتابع ذلك، أتذكر أن الشباب في وطننا العربي يشكلون أكثر من نصف السكان، وأشعر أن الشباب يعيشون الآن مرحلة صعبة– ليس في الوطن العربي فحسب، وإنما في العالم بأسره– وذلك بسبب ما نشهده في عالمنا هذا من تطورات وتغيرات متسارعة بدأت بثورة المعرفة، وما تلاها من تقدم علمي وتكنولوجي انعكست آثاره على مختلف نواحي الحياة.

وإذا كانت للعولمة التي رافقت هذه التحولات إيجابيات بالمعنى التقني بسبب ما رافقها من تدفق للمعلومات وانفتاح على العالم من خلال ثورة الاتصالات، فقد كانت لها سلبياتها في النواحي السياسية والاقتصادية وسعيها للهيمنة الثقافية. وبقدر ما استفدنا من التدفق

المعرفي والانفتاح على العالم الذي رافق مسيرة العولمة فقد رأينا في الكثير مما ينقل إلينا، أو يعرض علينا نتيجة لذلك ما يخالف ثقافتنا وتقاليدنا وهويتنا.

ومن هنا يكتسب الحديث عن الشباب والمستقبل أهمية خاصة – باعتبار أن الشباب هم الفئة المستهدفة من سلبيات العولمة التي يمكن أن تهدد ثقافتنا وهويتنا إذا لم نحسن التعامل معها – ومن هنا أنطلق في حديثي للشباب والمستقبل.. فأنا لا أدعو للانغلاق على أنفسنا، وعدم الانفتاح على ثقافات العالم، لكن المطلوب ونحن ننفتح على هذه الثقافات أن نأخذ منها ما يفيدنا وينفعنا، ونتجنب ما يمكن أن يتعارض مع ثقافتنا وهويتنا. وإذا كنت أدعو للاهتمام بلغتنا العربية – باعتبار اللغة هي هوية الأمة – فإن هذا لا يعني الانصراف عن تعلّم اللغات الأجنبية، وإنما يجب أن لا يكون ذلك على حساب لغتنا الأم.

وبقدر ما أحمل في قلبي كل التقدير والاعتزاز لشبابنا وكتّابنا، فإنني آمل منهم مواصلة القراءة.. قراءة كتب التراث والفكر والأدب العربي والعالمي.. وزيادة معارفهم من خلال متابعة ما يحدث في العالم من تطورات علمية وتكنولوجية – لأنهم بذلك يستطيعون مواجهة التحديات بنظرة مشرقة للمستقبل وبتفاؤل وأمل يكون زادهم المستمد من الإيمان بالله والثقة بالنفس وصدق الانتماء لبلدنا ووطننا العربي الكبير.

---

* مدير عام مؤسسة عبد الحميد شومان